

مايو
2022

نحو فكر لاهوتي محافظ مستنير

النسوة



لأول مرة منذ تأسيسه
انعقاد مؤتمر الجمعية العامة
لمجلس كنائس الشرق الأوسط،
في مصر

ملف العدد
الحرب

أندريه زكي
رسالة القيامة
لعالم مضطرب

ملحق العدد
حرب الخليج ونهاية العالم

النسور

نحو فكر لاهوتي محافظ مستنير

مجلة غير دورية تصدر عن

الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية

عدد مايو - 2022

مجلة «النسور»

رئيس التحرير:

د.ق. أندريه زكي

مديرا التحرير :

ق. محسن منير

ق. عيد صلاح

سكرتير التحرير:

جيهان عيد

مستشار التحرير:

هاني لبيب

مجلس التحرير:

د.ق. وجيه يوسف

ق. أمير ثروت

ق. سامح إبراهيم

ق. بيتر وديع

إخراج فني:

وجدي جميل

تصميم غلاف:

أن مجدي

افتتاحية رئيس التحرير

القيامة في عالم مضطرب

د.ق. أندريه زكي

في هذا العدد تقرأ بقلم مدير التحرير

ق. عيد صلاح

دراسة العدد: يسوع على الهامش: قراءة روائية في الإنجيل بحسب مرقس

ق. سامح إبراهيم

القيامة حدث تاريخي أم اختبار يومي؟

ق. محسن منير

ملف العدد

لماذا الحروب؟

ق. فيكتور عطالله

حروب العهد القديم

أ. ديفيد ويصا

الحروب والأوبئة وعلامات نهاية الزمان ومجيء المسيح ثانية

د.ق. عاطف مهني

الأخلاق والحرب

د.ق. هاني يوسف حنا

الحرب العادلة

ق. جوهر عزمي

الفكر اللاهوتي ومآسي الحروب: ديتريش بنهوفر أنموذجاً

د.ق. موريس أمين

قراءة في فكر هيرمان باثينك عن الحرب والمسيحية

أ. مينا عبد الله أنيس

فيلم (قراءة نقدية) Hacksaw Ridge

ق. بيتر وديع

أكثرها تأثيراً وتدميراً الجيل الرابع والخامس... حروب المعلومات الافتراضية!

أ. هاني لبيب

عرض كتاب "الخلاص"

أ. جرجس صبحي

شذرات كتابية

ش. أسامة رشدي

من التراث العربي المسيحي:

مقدمة لسفر رؤيا يوحنا للصفى ابن العسال

أ. إسحق إبراهيم الباجوشي

مؤتمر الجمعية العامة الثانية عشرة لمجلس كنائس الشرق الأوسط في مصر

أ. يوسف إدوارد

ملحق النسور

حرب الخليج ونهاية العالم

د.ق. فايز قارس تحرير وتقديم ق. عيد صلاح

بقلم رئيس التحرير



د.ق. أندريه زكي

رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر

رئيس الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية

رسالة القيامة لعالم مضطرب

القيامة من الأموات، هذا العنوان الذي يحمل في طياته فرحاً جزيلاً، وانتصاراً على الموت والشر، حتى لو كنا نحتفل به في ظروف تشوبها الاضطرابات والقلق في شتى أنحاء العالم؛ فلا يزال الخوف من جائحة كورونا وتبعاتها يسود العالم، رغم أنه من نعم الله على الإنسانية أن أعطانا اللقاح الذي ساعد في السيطرة على الجائحة وانتشار الفيروس إلى حد كبير. وللأسف لم تتعلم الإنسانية الدرس من الجائحة لنفاجاً بحرب مدمرة بين روسيا وأوكرانيا دمّرت الكثير من البنية التحتية لأوكرانيا، وامتدت آثار هذه الحرب لتشمل العالم كله، على شكل أزمات اقتصادية نتجت عن ارتفاع أسعار البترول وانخفاض قيمة عملات محلية في عدة دول مقابل الدولار الأمريكي.

هذه الظروف تدفعنا للتساؤل: ماذا يعني أن نحتفل بالقيامة في ظل هذه التحديات؟

لذا دعونا نقرأ المشهد في اورشليم وقت القيامة؛ مدينة في أزمة، تعيش في ظل اضطرابات سياسية، من قبل مستعمر روماني، قاس متجبر. واضطرابات اقتصادية تمثلت في ازدياد الفقر وارتفاع أسعار السلع، وعدم قدرة الكثيرين على تأمين مسكن آدمي، وفقاً لما سجله المؤرخ اليهودي

يوسيفوس، الذي عاش في القرن الأول الميلادي. بالإضافة إلى ذلك، أثقل كاهل الشعب بالضرائب التي فرضها المستعمر الروماني، ليس بهدف المنفعة العامة، مما تسبب في العديد من الثورات.

هذه الظروف السياسية والاقتصادية انعكست على الواقع الاجتماعي؛ إذ يسجل فيلون -المؤرخ اليهودي السكندري الذي عاش في القرن الأول الميلادي- أن المجتمع في أورشليم كان مليئاً بالتجاذب بين فئات المجتمع المختلفة. وقد عاش السيد المسيح -في قلب هذا المشهد- يعلن قيم ملكوت الله ومبادئه.

ويروي لنا إنجيل يوحنا ٢٠: ١٩-٢٣، كيف ظهر السيد المسيح للتلاميذ بعد قيامته لانتشالهم من روح الاضطراب والخوف، إذ يقول: «وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَسْبُوعِ، وَكَانَتِ الْأَبْوَابُ مَغْلَقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلَامٌ لَكُمْ!» وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرَحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «سَلَامٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا». وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ».

مجموعة من التلاميذ صُلب معلمهم، ويشعرون بالتهديد من أن يلاقوا نفس المصير، يعيشون حالة غير عادية من الاضطراب الاجتماعي، ويختبئون في غرفة أبوابها «مغلقة»، يسيطر عليهم الخوف من مستقبل غير واضح، وظرف اقتصادي صعب إذ ترك أغلبيتهم وظائفهم وتبعوا السيد المسيح.

تتجلى عظمة الله هنا أنه أقدر من كل الأبواب المغلقة، فأياً كان ما يسيطر على مشاعرنا من قلق وخوف، فالله في العلا أقدر، وتدخلاته فائقة للطبيعة، تفوق تصوراتنا وحلولنا البشرية.

إن رسالة القيامة لنا اليوم هي رسالة السلام وسط التحديات؛ فإن كان الموت هو أكثر ما يخيف الإنسان، فالمسيح انتصر عليه وعلى كل ما يخيف الإنسان ويهدده. لهذا ونحن نحتفل اليوم بالقيامة، نتذكر أن الله موجود ويرى، ويشعر بنا وبتحدياتنا، ويأتي وسط الأبواب المغلقة، وسط الخوف، ووسط الحروب لينقذ الإنسانية.

القيامة إرسالية وتكليف لنا اليوم، كل في موقعه، لنشر هذا السلام والدعوة إليه. نعم، القيامة تكليف لنا جميعاً بأن نذهب لكل من يعيش خلف أبواب مغلقة، من الخوف والقلق، من الفقر والعوز، من الشك

والاضطراب ونحمل رسالة السلام بكل أشكاله. إرسالية القيامة تشمل تغيير واقع الإنسانية من حولنا. يدعونا السيد المسيح ككنيسة أن ننطلق للعالم ونحمل همومه ونشاركه اضطراباته ونجعل السلام رسالة فعلية وسط العالم المضطرب.

لقد قدم القادة المسيحيون هذه الدعوة للأطراف المتحاربة أن رسالة الكنيسة أن تعلن أن الحرب لا تحقق مشيئة الله. وحينما تعلن الكنيسة هذه الرسالة فإنها تحمل إرسالية المسيح بشكل فعلي وفعال وسط الاضطراب العالمي. تدمير الآخر لا يحقق مقاصد الله بل هو شر يأتي من حسد وحقد وطمع الإنسانية.

ونحن اليوم كقادة مسيحيين نقدم الدعوة من على المنبر أن تخرج الكنيسة للمجتمع وتحمل آلامه. أعطوا للمسكين والمحتاج. ساعدوا الفقير والمظلوم. فكروا في طرق تغييروا بها حال الضعفاء المهمشين في المجتمع. أن تحتفل بالقيامة هو أن تنفذ إرساليتها بأن: تخلق سلاماً حيث لا يوجد سلام..

في القيامة رسالة تجديد للخليقة، تجديد لشخصياتنا، كما تجددت شخصيات التلاميذ المضطربة إلى أشخاص جاهروا بالحق بكل جرأة، هكذا يريد الله أن يجددنا، أن يجعلنا شخصيات قادرة على المقاومة والصمود، نكتسب من الظروف الصعبة والتحديات قدرة وقوة واستعداداً لمواجهة كافة الظروف.

فلتكن الدعوة لنا جميعاً اليوم، أن نتجدد من داخلنا، نغير ذواتنا، نخضعها ليد الله القوية والقادرة على إحداث التغيير العميق لنفوسنا، وننطلق لنبشر بالسلام، فقد امتدح السيد المسيح صانعي السلام: «طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون» (إنجيل متى ٥: ٩). نحن مكلفون من قبل الله بأن نعين المهمشين والفقراء وكل المضطربين والخائفين من ظروف الحياة وتحدياتها.

أصلي لأجل بلادنا الحبيبة، وقيادتها من أجل نجاح كل المجهودات والسعي نحو تحقيق السلام والتماسك المجتمعي، وتغيير حياة الملايين من الفقراء وتقديم حياة آدمية كريمة للإنسان، أصلي أيضاً لأجل الرئيس والحكومة ليعينهم الله دائماً أمام كل التحديات، وأن يوفقهم في خدمة بلادنا وبناء مستقبلها.

في هذا العدد تقرأ



القسّ عيد صلاح

مدير التحرير

بين روسيا وأوكرانيا دمّرت الكثير من البنية التحتية لأوكرانيا، وامتدت آثارُ هذه الحرب لتشمل العالم كله، على شكل أزمات اقتصادية نتجت عن ارتفاع أسعار البترول وانخفاض قيمة عملات محلية في عدة دول مقابل الدولار الأمريكي، ويركز في هذه الرسالة على أنه في القيامة رسالة تجديد للخليقة، تجديد لشخصياتنا، كما تجددت شخصيات التلاميذ المضطربة إلى أشخاص جاهروا بالحق بكل جرأة، هكذا يريد الله أن يجددنا، أن يجعلنا شخصيات قادرة على المقاومة والصمود، نكتسب من الظروف الصعبة والتحديات قدرةً وقوةً واستعداداً لمواجهة كافة الظروف.

وفي دراسة العدد ومناسبة إعلان

ألقت الحرب الروسية الأوكرانية بظلالها على التفكير المعاصر، ففي ظل الحروب يعيش العالم في قلق واضطراب ويتطلع إلى السلام والطمأنينة، ولذلك كانت افتتاحية رئيس التحرير الدكتور القس أندرية زكي رسالة القيامة لعام ٢٠٢٢ تحت عنوان: «رسالة القيامة في عالم مضطرب»، وقد رصد فيها التحديات في ظروف تشوبها الاضطرابات والقلق في شتى أنحاء العالم؛ فلا يزال الخوف من جائحة كورونا وتبعاتها يسود العالم، رغم أنه من نعم الله على الإنسانية أن أعطانا اللقاح الذي ساعد في السيطرة على الجائحة وانتشار الفيروس إلى حد كبير. وللأسف لم تتعلم الإنسانية الدرس من الجائحة لتفاجأ بحرب مدمرة

ملف العدد

كان لا يمكن تغافل الأزمة الروسية الأوكرانية؛ فقد فكر مجلس التحرير في تناول هذا الموضوع في سياقات مختلفة بالنظر والتحليل وخصّصت ملفاً كاملاً لتناول موضوع الحروب وتأثيرها على الفكر الديني والسياسي والاقتصادي. يتعرض الملف لأشكال الحروب المختلفة، ثم الرؤية الكتابية، والرؤية الأخلاقية، والرؤية اللاهوتية المعاصرة، ثم الرؤية الفنية.

أولاً: المفهوم المعاصر للحروب، ولماذا؟

يكتب الأستاذ هاني لبيب عن مفهوم الحروب مقالة بعنوان: «أكثرها تأثيراً وتدميراً الجيل الرابع والخامس. حروب المعلومات الافتراضية»، تتعرض المقالة لظاهرة الحروب بوصفها ظاهرة قديمة، ثم يتحدث عن أجيال الحروب ليصل بنا إلى خطورة حروب الجيل الرابع والخامس والحرب الافتراضية وأهدافها وموقف مصر بعد ثورتي ٢٥ يناير و٢٠ يونيو.

ثم يحلق بنا القس فيكتور عطالله في مقال على صيغة سؤال هام: «لماذا الحروب؟» ويجب عليه من خلال رؤية كتابية مبنية على رسالة يعقوب الإصحاح الرابع وقد تظهر تجلياتها إلى جذور المشاكل والصراعات البشرية. إنها أنانية وجشع طبيعتنا البشرية. إنها عن محبة الذات لا وبل عن عشق وعبادة الذات. روح الشر هذا يسعى لجذبنا وإغوائنا لتقبل ما يُطرح علينا من فسادٍ فكري وأخلاقي وحتى

الدولة أن عام ٢٠٢٢م هو عام المجتمع المدني يكتب القس سامح إبراهيم دراسة هامة عن «يسوع على الهامش: قراءة روائية في الإنجيل بحسب مرقس» حيث يشير إلى أن الجميع يُحبُّ المركز لا الهامش. الهامش متروك بعيداً، دون أضواء، الهامش لا يستقبل الثناء، مساحته مهضومة من المتن، لا يجذب الانتباه، منبوذٌ، منسيٌّ، مُهمَلٌ، تافهٌ. تبدأ الرواية وتنتهي بالناصره المهمشة، في إصرار لا يلين على وضع الهامش في قلب القصة، في مركز الأحداث. البرية مقابل الهيكل، الجليل مقابل أورشليم، قبر يسوع الناصري المصلوب مقابل قصر بيلاطس الحاكم، إن رواية مرقس كلها هي قصة هذا الصراع، وهذه المقابلات. وتدور الدراسة حول الهامش والمركز واقتراب يسوع من الفئات المهمشة والمنبوذة.

وفي ذكرى القيامة يكتب القس محسن منير دراسة بعنوان «القيامة حدث تاريخي أم اختبار يومي؟» ويخلص إلى أن قيامة المسيح لا يمكن اختزالها فقط في الاحتفال السنوي بها، بل هي حدثٌ يتغلغل في كل جوانب الحياة. ويركز على دروس القيامة بناءً على يوحنا ٢٠ في أربعة مشاهد ودروس: القبر الفارغ رسالة بيقين التدخل الإلهي للتعامل مع العجز والمحدودية البشرية، مريم المجدلية وتجاوز الحزن، التلاميذ واختبار السلام، توما ومواجهة كل الشكوك والمخاوف.

جوهر عزمي في دراسته عن نظرية «الحرب العادلة» وهل توجد حرب عادلة في الأساس؟ ويقدم شرحًا للنظرية من جوانبها المختلفة.

رابعًا: التفكير اللاهوتي المعاصر والحروب، ديتريش بنهوفر وهيرمان بافينك

وفي مناقشة الفكر اللاهوتي المعاصر لقضية الحروب نتعرض لدراستين أولها «الفكر اللاهوتي ومآسي الحروب: ديتريش بنهوفر أنموذجًا» للدكتور القس موريس أمين تناقش هذه الدراسة دور الفكر اللاهوتي أمام الأزمات القومية بشكل عام والحروب بشكل خاص مع التركيز على بنهوفر كنموذج. كيف يستجيب الفكر اللاهوتي لأزمات ومآسي الحروب؟ كيف يتفاعل اللاهوت المسيحي مع احتياجات الإنسان في ظل أزمات كهذه؟ ثم «قراءة في فكر هيرمان بافينك عن الحرب والمسيحية» للأستاذ مينا عبد الله أنيس، يسرد في هذا المقال نظرة المصلح الهولندي هيرمان بافينك للحرب من خلال ثلاثة جوانب. أولاً: نظرة هيرمان بافينك للعهد القديم عن الحرب. ثانياً: نظرة هيرمان بافينك للعهد الجديد عن الحرب. ثالثاً: استنتاجات هيرمان بافينك اللاهوتية عن الحرب.

خامساً: الرؤية الفنية للحروب

يقدم القس بيتر عادل وديع قراءة نقدية لفيلم Hacksaw Ridge والمواقف

ديني، وينمي فينا محبة الذات والطمع، بل والسعي خلف المراكز والسلطة والجاه.

ثانياً: الرؤية الكتابية للحروب

وتثير قضية الحروب دائماً النظر إلى الموضوعات الصعبة في الكتاب المقدس مثل قضية الحرب في العهد القديم التي يتعرض لها الأستاذ ديفيد ويصا تحت عنوان «حروب العهد القديم» وقد ناقش هذا الموضوع بكافة إشكالياته وقضاياها متناولاً بالتحليل للمواقف الصعبة والتبريرات التي لحقت به وصورة الله في العهد القديم وصورة إسرائيل، هي دراسة تثير قضايا كثيرة لمعالجة هذا الموضوع المهم.

وفي ذات السياق، يتناول الدكتور القس عاطف مهني تحت عنوان «الحروب والأوبئة وعلامات نهاية الزمان ومجيء المسيح ثانية»، وتتعرض الدراسة لتساؤلات تتجدد كلما تعرض العالم إلى ضيقات وكوارث وحروب مثل: هل هذه علامات النهاية؟ هل ما نراه هو تحقيق للنبوات الاسخاتولوجية (أي المتعلقة بالأمور الأخيرة) وقرب مجيء المسيح ثانية؟ ماذا علينا أن نفعّل ككنيسة أمام هذه العلامات؟

ثالثاً: الرؤية الأخلاقية للحروب

ومن الناحية الأخلاقية يناقش الدكتور القس هاني يوسف دراسة تحت عنوان: «الأخلاق والحرب» وقد أخذ الكاتب من عشاء الرب مدخلاً للوحدة والحب ونبذ العنف بأشكاله المختلفة. ويناقش القس

الأخلاقية التي تثيرها الحروب بين التزمّت الديني والانفتاح، والمواقف العملية التي تثيرها الحروب.

عرض كتاب

من الأبواب الثابتة في المجلة عرض كتاب، يقوم به في هذا العدد الأستاذ جرجس صبحي لكتاب «الخلاص» لكريستوفر رايت، الذي صدر عن دار الثقافة في عام ٢٠٠٥، ترجمة وليم هارفي. يضم الكتاب سبعة فصول تتناول علاقة الخلاص بمختلف الجوانب الإنسانية والإلهية؛ الخلاص والاحتياج البشري، الخلاص وهوية الله الفريدة، الخلاص وبركات عهد الله، الخلاص وقصة عهد الله، الخلاص واختبارنا، الخلاص وسيادة الله، الخلاص وحمل الله. وينتهي كل فصل بمجموعة أسئلة للمناقشة.

شذرات كتابية

يقدم الشيخ أسامة رشدي مجموعة من الشذرات الكتابية بطريقة تأملية بانية.

من التراث العربي المسيحي

من كنوز التراث العربي المسيحي نشر «مقدمة لسفر رؤيا يوحنا تُقرأ ليلة سبت الفرح» للصفى ابن العسال في القرن الثالث عشر الميلادي الذي يمثل العصر الذهبي للإنتاج العربي المسيحي، عن مخطوط الدار البطريركية ١٩٠، قام بتحقيقها وضبطها وقدم لها الأستاذ إسحق الباجوشي عضو لجنة التاريخ القبطي.

ملحق النسور

ملحق النسور هو كتاب «حرب الخليج ونهاية العالم» للدكتور القس فايز فارس، تحرير وتقديم القس عيد صلاح. يتناول طيب الذكر الدكتور القس فايز فارس (١٩٢٨-٢٠١٢)، الراعي الأسبق للكنيسة الإنجيلية الثانية بالمنيا، في هذه العظات الثلاث تحت عنوان «حرب الخليج ونهاية العالم» نظرة موضوعية لعلاقة الحرب بالنبوات في الكتاب المقدس، والعظات الثلاث هي: الأولى «أزمة الخليج ونبوات انتهاء العالم» يناقش فيها موضوع علاقة حرب الخليج وأية حروب بالأيام الأخيرة، وموضوع تحديد الأوقات والأزمات وواجب الاستعداد الدائم ثم المسؤولية الحاضرة. الثانية بعنوان «صور من انهيار الأمان» التي تُبنى على ثلاثة أمور، وهي: الطمأنينة الباطلة، الحكمة المضللة، الأناية القاتلة. الثالثة تحت عنوان «ملكوت الله وحركة التاريخ» يتحدث فيها عن أمرين هما: ملكوت الله في التاريخ الإنساني، ودور أبناء الله في التاريخ الإنساني. ثم مع الملحق دراسة بمسرد أدبي تحتوي الكتابات التي كتبها طيب الذكر الدكتور القس فايز فارس.



يسوع على الهامش:

قراءة روائية في الإنجيل

بحسب مرقس



القس سامح إبراهيم

يبدأ إنجيل مرقس لا بأورشليم ولا بالهيكل، والصوت البشري الأول لا يصدر عن كاهنٍ أو رجلٍ دينٍ رسمي. هناك في برية يهوذا، يضبط مرقس عدسة سرده لترصد اللقطة الأولى، وبطلها يوحنا المعمدان، رجلٌ بملابس بسيطة خشنة من وبر الإبل، وطعامه عسل وجراد البرية (مر ١: ٦)، في مشهدٍ يعود بالقارئ/المستمع إلى الماضي البعيد، إلى نبي الشمال إيليا (٢ مل ١: ٨)، وإلى الماضي الأبعد، حين حفظ الله شعبه وأطعمهم عسل البرية ممزوجاً بطعم الحرية الذي كانوا قد عدموه طويلاً بسبب عبودية فرعون مصر (تث ٣٢: ٩-١٤).



الأرض، وكانت سمعتهم سيئة وبلا تعليم ديني حيث إنهم مقطوعون عن الهيكل وبعيدون عن مراكز التعليم في أورشليم، بل إنَّ «الجليلي» كان عادة ما يُشار إليه بلغة الأدب الرابيني بـ *Gelilishoteh*، أيّ الجليلي الغبي.

في حقيقة الأمر، يركز مرقس على انتماء يسوع إلى ناصرة الجليل، رغم كل ما يحيط بها من دونية. لاحظ جاك دين كينجسبري في كتابه *The Christology of Mark's Gospel* أن مرقس يُحيطُ إنجيله كله بالتأكيد على أن بطل قصته ينتمي للناصرية (١ : ٩ ؛ ١٦ : ٦). حين ظهر يسوع على مسرح الأحداث، نقرأ أنه من ناصرة الجليل (مر ١ : ٩) وآخر إشارة لیسوع في الرواية، نقرأ كيف خاطب الملاك النساء في القبر عن قيامته بالقول «يسوع الناصري المصلوب. قد قام» (مر ١٦ : ٦). وما بين البداية والنهاية تتكرر حقيقة انتماء يسوع لناصرية الجليل كثيرًا (١ : ٢٤ ؛ ١٠ : ٤٧ ؛ ١٤ : ٦٧).

يرتفعُ صوتُ المعمدان، في المرة الوحيدة التي ينطق فيها في إنجيل مرقس، مُبشراً بمجيء «الأقوى» قائلاً: «يأتي بعدي من هو أقوى مني» (مر ١ : ٧). اللقب «أقوى» *ίσχυρότερός* لن يرد مرة أخرى في رواية مرقس. في الفصل الثالث من روايته، يعرف القراء/ المستمعون أن يسوع هو «الأقوى» الذي ربط «القوي» (الشيطان) ونهب أمتعته (مر ٣ : ٢٧).

يصدم القارئ صدمة شديدة وهو يتربص مجيء هذا «الأقوى» إلى مسرح الأحداث فيكتشف أنه من ناصرة الجليل. يكتب مرقس بطريقته المباشرة المختصرة شديدة الخشونة، قائلاً: «وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن» (مر ١ : ٩). الناصرة مدينة مغمورة. يخبرنا العالم اليهودي *Geza Vermes*، وهو مهتم بالعهد الجديد وبالبحث عن يسوع التاريخي، في كتابه *Jesus and the World of Judaism*، أن الناصرة مدينة حقيرة لا ذكر لها في العهد القديم، ولا في كتابات يوسيفوس، ولا في المشنا اليهودية ولا في التلمود، وأنَّ أقدم إشارة للناصرية، خارج العهد الجديد، جاءت في نقش أثري يؤرخ بالقرن الثالث أو الرابع الميلادي. أمّا الجليل عامة، فكما يقول *Vermes*، فكان يُنظر لأهله من أهل اليهودية على أنهم بسطاء وفقراء وأهل



وصراع بينه وبين تلاميذه حول فهم حياة التلمذة والخدمة، من جهة أخرى. الصراع هنا صراع بين المركز والهامش، ينحاز يسوع فيه إلى البرية، لا إلى الهيكل، يختار الناصرة، لا أورشليم. من بداية الإنجيل ومرقس يرصد مجيء الممهد للرب إلى البرية ومجيء «الأقوى» نفسه إلى البرية. لاحظ Ched Myers في تفسيره المهم لمرقس *Binding the Strong Man*، كيف يحذف مرقس متعمداً في اقتباسه من ملاخي ٣: ١، في مفتتح إنجيله (مر ١: ٢)، إشارة ملاخي لمجيء الرب إلى هيكله ويكتفي باقتباس العبارة «ها أنا أرسل ملاكي قدامك»، ليبرز معاداة يسوع للمؤسسة الدينية، الأمر الذي سيتضح في

يُحِبُّ الجميعُ المركز لا الهامش. الهامشُ متروكٌ بعيداً، دون أعضاء، الهامش لا يستقبل الثناء، مساحته مهضومة من المتن، لا يجذب الانتباه، منبوذ، منسي، مهمل، تافه. تبدأ الرواية وتنتهي بالناصرية المهمشة، في إصرار لا يلين على وضع الهامش في قلب القصة، في مركز الأحداث. البرية مقابل الهيكل، الجليل مقابل أورشليم، قبر يسوع الناصري المصلوب مقابل قصر بيلاطس الحاكم، إن رواية مرقس كلها هي قصة هذا الصراع، هذه المقابلات. يقول كينجسبري في كتابه *Conflict in Mark*، إن قصة مرقس عن يسوع هي قصة صراع؛ صراع بين يسوع والقادة اليهود حول السلطة، من جهة،

من يقبل طفلاً مثله كأنه يقبل المسيح شخصياً (مر ٩: ٣٣-٣٧). كذلك احتضن أطفالاً وباركهم، بعد أن حاول تلاميذه إبعادهم عنه وطردهم من حضرته (مرقس ١٠: ١٣-١٦). الطفل يمثل الفئات المهمشة التي تعتبر ناقصة الإنسانية في المجتمعات القديمة. الطفل غير منتج وغير مفيد اقتصادياً ولا يساهم في المعارك ولا الصراعات. تلفت شرين دود في كتابها Reading Mark الانتباه إلى أن كل الأطفال المذكورين في الإنجيل كانوا غير نافعين لأحد، يحتاجون إلى العناية ولا يفيدون غيرهم؛ ابنة يائرس (٥: ٢١-٤٣)، ابنة المرأة الفينيقية (٧: ٢٤-٣٠)، ابن الرجل الذي كان يعاني من شيطان الخرس (٩: ١٤-٢٧)، أو أنهم يخضعون لتحكم الأشرار كابنة هيروديا (٦: ١٧-٢٩). يسوع يحتضن الطفل وبهذا يعلن أنه قريب من الصغار، والوضعاء، الذين ليست لهم قيمة.

لعلّ مشهداً بارزاً في إنجيل مرقس يدل على هذا التوجه، وهو مشهد إشباع الآلاف في الأصحاح السادس (٦: ٣٠-٤٤). يسوع محاط بالفقراء الذين لا يمتلكون قوت يومهم، يصر يسوع أن يشبعهم وينعش قوتهم الخائرة، يجلس تلاميذه الناس على العشب الأخضر، وهي عبارة تحيل القاريء، ضمن إichاءات أخرى، إلى مزموّر ٢٣ حيث يربض الراعي قطيعه في مراعي خضراء. يتكئ الجميع في وليمة مدهشة

دخوله للهيكل في مرقس ١١، وكأننا أمام الجزء الثاني من نبوة ملاخي «يأتي السيد إلى هيكله» حيث أعلن السيد رفض الهيكل رفضاً نهائياً.

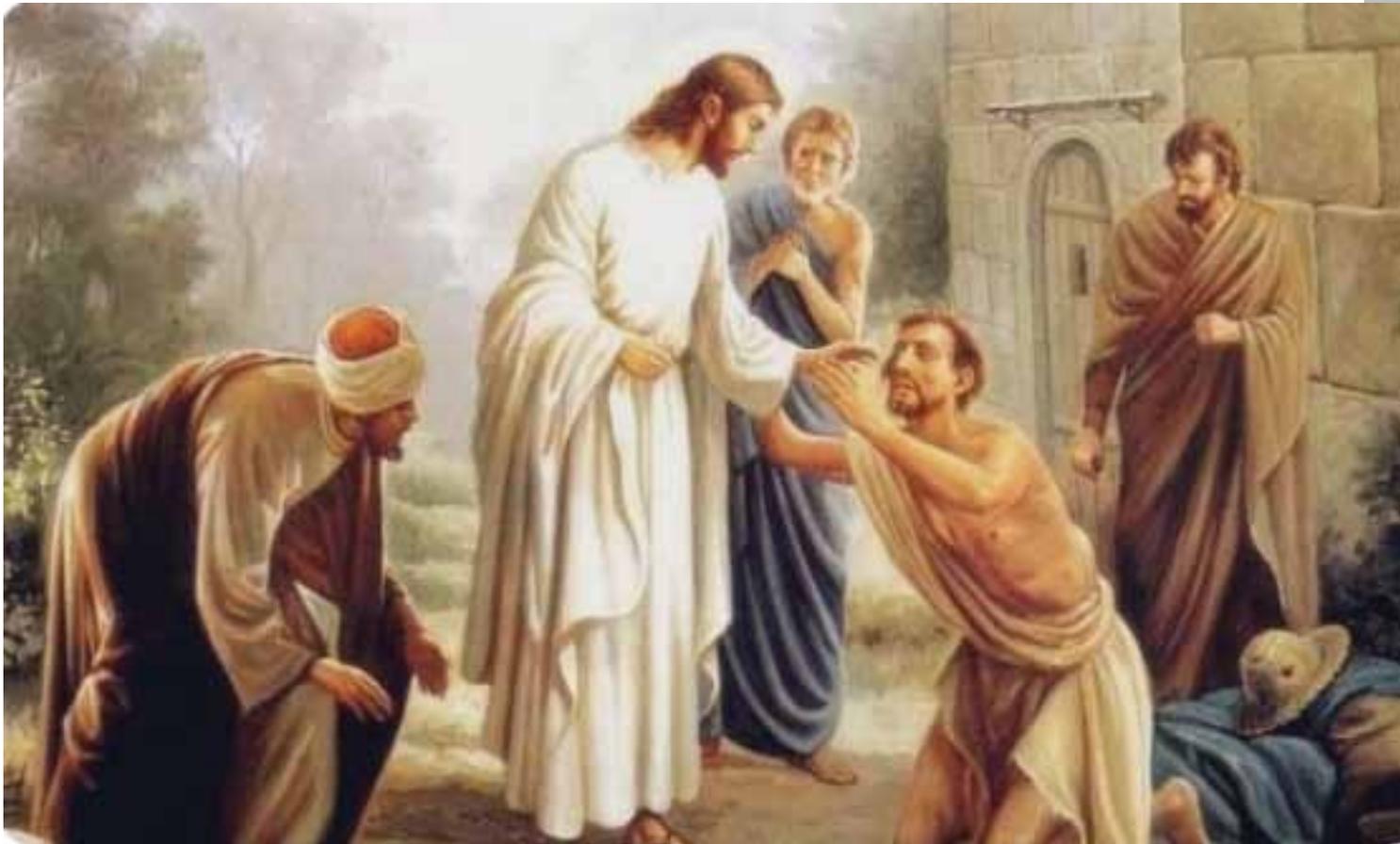
يرتبط يسوع الهامشي بالمهمشين، وأنا هنا أستخدم عنوان عمل العالم الكبير جون ب ماير، A Marginal Jew، الذي يُعتبر بمجلداته الأربعة واحداً من أهم الأعمال عن يسوع التاريخي. يختار يسوع تابعيه من صيادي السمك (مر ١: ١٦-٢٠). يصاحب في ولأتمه المتكررة المنبوذين والعشارين والخطاة (٢: ١٣-١٧). رواية مرقس هي رواية عن يسوع الذي انتمى كليةً للهامش وساكنيه. لا تجده يذهب في اتجاه بيت قائد مئة، الأمر الذي نقرأه في إنجيلي متى ولوقا مثلاً، في واحدة من المرات القليلة التي يتحدان فيها معاً ضد مرقس (متى ٨: ٥-١٣/لوقا ٧: ١-١٠). لا يُحيط نفسه بالأقوياء والقريبين من أصحاب النفوذ، ولا يذكر مرقس أن تابِعاً من أتباعه كان معروفاً من دوائر السلطة، مثلما يذكر الإنجيل الرابع عن التلميذ الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة (يو ١٨: ١٥-١٦). والرجل الغني الذي حاول أن يكرمه كان يوسف الرامي، وقد أكرمه بعد موته بدفنه (مر ١٥: ٤٣)، بينما في حياته رفض غني أن يتبعه و«اغتمّ ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة» (مر ١٠: ٢٢).

يذكر مرقس مرتين أن يسوع احتضن أطفالاً. في صراع التلاميذ حول العظمة، قدم يسوع طفلاً واحتضنه واعتبر أن

أن يحفظ حياة المعمدان. تنتهي وليمة
هيرودس برفع جثة المعمدان (٦ : ٢٩)،
بينما تنتهي وليمة يسوع برفع اثنتي عشرة
قفة مملوة خيراً فائضاً (٦ : ٤٣).

هذا الصراع بين الهامش والمركز
نجده على مستوى شخص راية مرقس.
في الإصحاح العاشر نجد مقابلة بين
شخصيتين، الرجل الغني (١٠ : ١٧-٢٧)
وبارتيمائوس الأعمى (١٠ : ٤٦-٥٢).
بينما يظن التلاميذ أن هذا الرجل الغني
الذي يحفظ الوصايا منذ حدثته سيرته
الحياة الأبدية، رجل في مكانته لا بد من
أنه في المركز، يمضي هذا الرجل حزيناً
من حضرة يسوع، يطويه النسيان ويختفي
ولا يستمر وجوده على مسرح الأحداث إلا

معا، يتقل الطعام من يسوع إلى التلاميذ
ومنهم إلى الشعب. حين نعود، نحن قراء
الإنجيل، إلى المشهد السابق مباشرة نقابل
وليمة أخرى، وليمة ماجنة مميتة. يحيط
هيرودس الملك نفسه، لا بعامة الشعب
ولا المهمشين كيسوع «ملك اليهود» وممثل
ملكوت الله، بل يحيط نفسه بالعظماء
وقوات الألوفا ووجوه الجليل. ترقص ابنة
هيروديا وتطلب رأس يوحنا المعمدان
على طبق يقطر دمًا. يتقل الطبق برأس
المعمدان، في مشهد دموي رهيب، من يد
السياف إلى يد الصبية ومنها إلى يد أمها
الشريرة. بينما يأمر يسوع التلاميذ أن
يهتموا بالناس، لا يستطيع هيرودس الملك



(١٠: ٥٠) بكل ما فيه من عطايا ويأتي إلى يسوع ويتبعه في طريقه للصليب.

في الأصحاح الثاني عشر أرملة فقيرة لا تمتلك إلا فلسين تقف في مقابلة صارخة مع الكتبة الذين يأكلون بيوت الأرامل وفي مقابلة صارخة مع كل الأغنياء الذين ألقوا في خزانة الهيكل من فضلتهم (مر ١٢: ٣٨-٤٤). قدمت هذه الأرملة والمرأة التي سكبت قارورة الطيب كثير الثمن على رأس يسوع (مر ١٤: ٣) مثاليين للعطاء والبذل. كان يهوذا الإسخريوطي في المركز «واحدًا من الاثني عشر» لكنه عكس هذه المرأة التي سكبت الطيب، بحث عن الفضة، مفضلًا الأخذ على العطاء (١٤: ١٠-١١). على عكس من يظنون أنفسهم في المركز ويستحقون المتكآت الأولى (١٢: ٣٩) ويستحقون الثناء، مدح يسوع هذه الأرملة التي قدمت كل معيشتها، أو ὄλον τὸν βίον αὐτῆς («كل حياتها») وصارت إلى جانب ابن الإنسان الذي أتى «ليبدل نفسه» فدية عن كثيرين (١٠: ٤٥).

أخيرًا أقول: طوباكم يا من تقتربون من المنبوذين! طوباكم يا من تخدمون بعيدًا عن الأضواء والمركز! طوباكم لأنكم بهذا تقتربون من يسوع، ملك المهمشين، الذي قلب الموازين رأسًا على عقب حين قال «لكن كثيرين أولون يكونون آخرين، والآخرون أولين» (مر ١٠: ٣١) وأعلن صراحة قانون ملكوت الله، قائلاً: «إذا أراد أحد أن يكون أولًا فيكون آخر الكل وخادمًا للكل» (مر ٩: ٣٥)

قليلاً. كان هذا الرجل الوحيد في مرقس الذي توجه له دعوة التبعية ويرفضها. كان هذا الرجل تربةً شوكية استقبلت كلمة يسوع لكن غرور الغنى منعها من الإثمار فانزوى بعيدًا وانتهى ذكره سريعًا (قابل مر ١٠: ٢٢ مع مر ٤: ١٨). في مرقس ١٠، نرى بارتيمائوس الأعمى، شخصًا على الهامش، «على الطريق» (مر ١٠: ٤٦). في تفسيره لهذا النص يشير يوجين بورينج إلى أن العبارة اليونانية παρὰ τὴν ὁδὸν لم ترد إلا هنا وفي مثل الزارع (٤: ٤، ١٥: ١٠: ٤٦). وفي تفسير جول ماركوس للنص يقول إن الأعمى الجالس على قارعة الطريق يسمع عن يسوع الناصري، الأمر الذي كان بمثابة كلمة الرجاء له. يحاول كثيرون إسكاته وقتل كلمة الرجاء هذه، متخذين بذلك دور الشيطان وهو يحارب الكلمة محاولًا نزعها.

كان بارتيمائوس هذا عنيدًا إلى أقصى حدود العناد وصلب الإرادة إلى أقصى حدود الصلابة، أثار صخبًا عارمًا وكأنه بحرٌ مضطربٌ هائجٌ الموج جعل الناس ينتهرونه كما انتهر يسوع البحر (قابل مر ١٠: ٤٨ مع ٤: ٣٩). تنتهي قصة بارتيمائوس الهامشي، الذي كان يجلس على قارعة الطريق في بداية القصة، παρὰ τὴν ὁδὸν «على الطريق»، بأنه صار ἐν τῇ ὁδῷ «في الطريق» في المركز. على عكس الغنى الذي منعه غناه من تبعية يسوع، يطرح الأعمى رداءه



القيامة

حدث تاريخي

أم اختبار يومي؟



القس محسن منير

في البدء كان الكلمة، والكلمة صار جسداً وحل بيننا (يو ١ : ١) وعاش يعلن ما جاء من أجله وأتم عمله الفدائي على الصليب ودفن وقام في اليوم الثالث حسب الكتب (١كو ١٥ : ٤). وصرنا -كمسيحيين- نحتفل بهذا الحدث كل عام. لكن ترى هل قيامة المسيح يمكن اختزالها فقط في الاحتفال السنوي بها؟ أم هي حدث يتغلغل في كل جوانب حياتنا؟

(٣) التلاميذ ١٩ - ٢٣ .

(٤) توما ٢٤ - ٢٩ .

أولاً: القبر الفارغ ١ - ١٠ :

عندما وصلت مريم المجدلية ثم يوحنا وبطرس بعد ذلك إلى القبر شاهدوا ما لم يكونوا يتوقعونه أبداً. لقد شاهدوا الحجر الضخم مدحرجاً والقبر فارغاً والأكفان موضوعة بطريقة كما لو أنها مازالت تلف جسد المسيح مع الأطياب الملتصقة بها، ومنديل الوجه ملفوفاً بعيداً قليلاً. وكل هذا خلافاً للوضع الطبيعي. قارن ذلك مع يوحنا ١١: ٤٤ عندما أقام الرب يسوع لعازر من الموت «فخرج الميت ويدها ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع: حلوه ودعوه يذهب».

نرى أول ما يعلنه مشهد القبر الفارغ هو يقين تدبيرات العناية الإلهية، فالحجر المرفوع بالطبع لم يكن ليخرج يسوع من القبر.. بل رسالة بيقين التدخل الإلهي للتعامل مع العجز والمحدودية البشرية. فكما سبق القول إن الحجر الذي أغلق القبر كان يحتاج لعدد من الرجال الأشداء لتحريكه.

عزيزي القارئ، مشهد القبر الفارغ يعلن لك أنه مهما كان قدر وعبء ما تواجهه من احتياجات ومشاكل لكنك ابن لهذا الإله القدير صاحب المحبة والقدرة

للإجابة عن هذا السؤال بصورة صحيحة، أدعوك عزيزي القارئ لجولة معاً في الإصحاح العشرين من إنجيل البشير يوحنا. ونحو فهم أفضل لهذا الإصحاح نحتاج إلى فكرة سريعة عن مسرح أحداثه.

لقد كان حلول يوم السبت في المجتمع اليهودي يضع قيوداً على السفر والتنقل، لذا كان لزاماً على أتباع يسوع -المتألمين بعد صلبه وموته- أن يقضوا اليوم في حداد، فقد كان التقليد اليهودي يلزم بطقس حدادي معين يتم في القبر أثناء الأيام الثلاثة الأولى بعد الوفاة. وطبقاً لهذا -جاء في الأحد «أول الأسبوع» بعض من تابعي يسوع ليتمموا هذا الطقس، تمت الزيارة تقريباً في الساعات ما بين الثالثة والسادسة بعد منتصف الليل. ولقد كان القبر منحوتاً في الصخر ومغلقاً بحجر كبير مستدير ينحدر على منزلق من أعلى إلى أسفل ونهايته في مقابل فتحة القبر لإغلاقه. وكان من السهل نسبياً غلق القبر، لكنه كان يتطلب العديد من الرجال الأقوياء لفتحه.

بعد هذه الفكرة المختصرة عن مسرح الأحداث، نتقدم للتعرف على بعض دروس القيامة وفق يوحنا ٢٠ من خلال التأمل في أربع أفكار:

(١) القبر الفارغ ١ - ١٠ .

(٢) مريم المجدلية ١١ - ١٨ .



ما سجلته نبوات العهد القديم عن يقين انتصار المسيح وقيامته من الموت. لكن ماذا عنا نحن الآن الذين نعيش بعد قرون عديدة من هذا الحدث حيث لا نستطيع أن نرى الدليل المادي؟ لدينا ما هو أسبق وأبقى.. الكلمة المقدسة التي فيها كل ما يريد الله أن يعلنه (عدد ٩). وكل ما سجلته الكلمة المقدسة هو حق. فهذا ما تعلمه بطرس من خلال القبر الفارغ وسجله بقيادة الروح القدس في رسالته الأولى ١: ٢٣-٢٥ «مولودين ثانية لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد. لأن «كل جسد كعشب، وكل مجد إنسان كزهرة عشب.

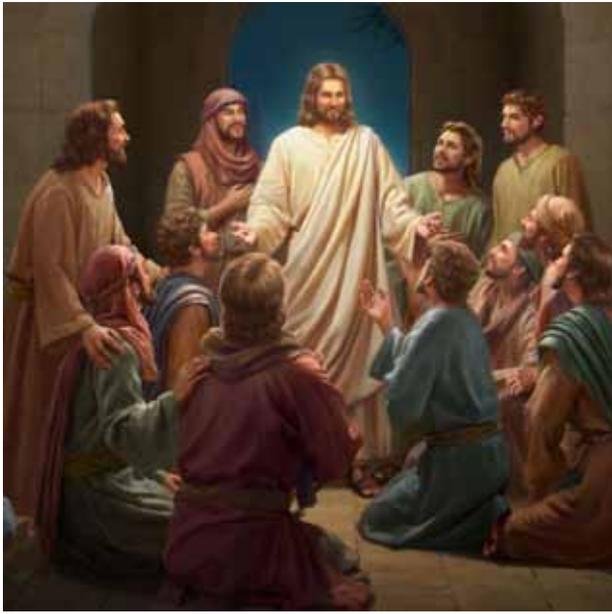
اللانهاية والتي تصنع تدبيرات عنايته الفائقة القادرة على مواجهة كل ما تعاني منه، ومشهد القبر الفارغ يعلن أيضاً لك أين تجد المصدر الصحيح للإيمان. فعدد (٨) يخبرنا أنه عندما دخل يوحنا القبر ونظر المشهد «رأى فأمن». ولقد استخدم يوحنا البشير ثلاث كلمات مختلفة في اللغة اليونانية لكلمة «نظر أو رأى». ففي عدد (٥) كلمة «نظر» تأتي بمعنى «نظر نظرة عابرة» وفي عدد (٦) «نظر» تأتي بمعنى «نظر بتدقيق ولاحظ» ثم في عدد (٨) كلمة «رأى» تأتي بمعنى «رأى بإدراك عقلي واع». كان إيمان بطرس ويوحنا مبنياً على الدليل المادي والبرهان وغاب عنهما

«رابي» Rabbi ثم «ربوني» Rabboni «أرفع مستوى». وما زال حدث قيامة المسيح يجدد الإعلان الدائم والمستمر أننا ننتمي ونرتبط بملك الملوك ورب الأرباب سيد كل الخليقة ونحن تحت رعايته وعنايته وقيادته وحمايته.

وأخيراً، نجد أيضاً في عدد (١٧) تأكيداً جديداً من الرب يسوع انطلاقاً من حقيقة قيامته أن الرسالة الأساسية لمن ينتمون له. هو إعلان هذا الخبر السار -يسوع قام- حقاً قام.

ثالثاً: التلاميذ ١٩-٢٣

رغم إخبار مريم المجدلية التلاميذ



بأنها رأت الرب وأنه تحدث معها (عدد ١٨) إلا أنه من الواضح أنهم مازالوا أسرى حزنهم وخوفهم، حيث كانوا مجتمعين معاً في غرفة مغلقة الأبواب لسبب الخوف من

العشب يبس وزهره سقط. أما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد».

ثانياً: مريم المجدلية ١١-١٨

نعلم من عددي ١٤ و ١٥ أن مريم لم تتعرف على يسوع مع أنها رآته وسمعتة، لقد كان الحزن والدموع يسيطران عليها. فقد كان بكاء مريم عبارة عن نحيب بصوت عال وفق عادات اليهود في ذلك الحين تعبيراً عن حزنهم الشديد (يو ١١: ٣١، ٣٣). بالطبع ليس هناك خطأ في أن يعبر الإنسان عن حزنه الصادق، لكن حزن المؤمن -بعد إدراك حقيقة ومعنى قيامة المسيح- ينبغي أن يختلف عن حزن العالم الذي بلا رجاء (١ تس ٤: ١٣-١٨)، فنحن «ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١ بط ١: ٣). وهكذا دائماً يحرمننا استسلامنا للأحزان وضغوط الحياة من بركة الحضور والرفقة الإلهية في كل ما يواجهنا.. ونعود لحدث القيامة ليؤكد لنا هذه الحقيقة.. لا تدع دموعك وقلقك يحرمانك من التمتع بالحضور الإلهي في حياتك.

فور إدراك مريم للحقيقة الرائعة.. أن يسوع قد قام من الموت، كان رد الفعل هو مخاطبته بـ «ربوني» أي «سيدي» وهي كلمة في اللغة الأصلية تحمل معنى الاحترام والتبجيل، فقد كان لليهود ثلاثة مستويات من المعلمين: «رأب» Rab [أقل مستوى] ثم



الرب». وبعد منحه السلام لهم جاء تكليفهم بالإرسالية في عدد (٢١). «سلام لكم [مرة أخرى]. كما أرسلني الآب أرسلكم أنا» وما زالت هذه الهبات والامتيازات متاحة لكل من يعيش تحت سلطان يسوع المقام. القيامة كحدث تاريخي مؤكد ينبغي أن تستدعي لأذهاننا دائماً عطايا السلام والفرح وبركة وامتياز أننا رسل يسوع المسيح لإعلان الخبر السار.

لا ينبغي فهم عدد (٢٢) على أنه سلطان خاص لشريحة خاصة من البشر -دون غيرهم- بمنح الغفران أو حجه. حيث إن المعنى الصحيح في هذا العدد وأيضاً ما ورد في متى ١٦ : ١٩ كما يعلنه الفهم الصحيح للغة الأصلية هو «أي خطايا

اليهود (عدد ١٩).. في حزن، قلق وتوتر، خوف، إحساس بالهزيمة وعدم الأمان.. في مناخ كهذا ماذا قدمت لهم قيامة المسيح؟

أول ما قال لهم يسوع «سلام لكم». الكلمة «شالوم» في اللغة الأصلية والمترجمة «سلام» معناها أكثر شمولاً وثراءً من مجرد غياب الحزن والتوتر بل هي تعني «الحياة في أفضل صورها» تحت عناية الله ورعايته. واستخدام يسوع لها في مساء يوم القيامة، يعلن عن أولى هبات قيامة المسيح.. السلام الحقيقي الداخلي والتمتع بأعمال العناية الإلهية.

بعد منح المسيح المقام السلام لتلاميذه، جاءت النتيجة الطبيعية التلقائية كما وردت في عدد (٢٠) «فرح التلاميذ إذ رأوا

قيامته. جاء يسوع وفي نفس المكان مرة أخرى وقدم أولاً مرة أخرى منحه السلام ثم بدأ التعامل مع شك توما (عدد ٢٧).

وبغض النظر عن الأسباب التي قادت توما إلى هذه الحالة من الشك والتي قرر أنه لن يبددها إلا العيان ولمس آثار الجروح بيديه، نرى اهتمام يسوع أن يأتي خصيصاً إليه ويدعوه لكي يلمس يده وجنبه ويرى بعينه آثار الجروح، يقودنا إلى درس جديد في القيامة. الرب المقام يهتم باحتياج كل شخص من أبنائه بصورة شخصية في وسط مليارات من البشر، عزيزي القارئ تيقن أنك موضع الاهتمام الإلهي الخاص بكل ما يدور في ذهنك وكل ما تعيشه من ألم أو شك.

رحب الرب يسوع بالإقرار الرائع السريع من توما «ربي وإلهي» لكن في نفس الوقت لفت نظره لحقيقة محورية وهامة «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» أي طوبى للذين يسلكون ويعيشون بالإيمان وليس العيان. الإيمان بشخص وعمل الرب المقام من الأموات وهو الآن عن يمين الآب يشفع فينا كل حين، وليس عيان المحسوس والملموس.

من حدث القيامة نتعلم درساً متجدداً هو أن من الأسلوب الصحيح الوحيد الذي يريده الرب منا في تعاملاته معنا هو اليقين النابع من الإيمان بشخصه وعمله بغض النظر عن ما يواجهنا من متاعب فلا نستسلم لشكوانا

تغفرونها ينبغي أن تكون قد غُفرت من قبل. وأي خطايا لا تغفرونها [تمسكونها] ينبغي أن لا تكون قد غُفرت من قبل. أي وبكل وضوح ليس سلطان لأن «يُقدم» التلاميذ الغفران للآخرين لكنه فقط أن «يُعلن» التلاميذ الغفران الذي يتم فقط بعمل الرب يسوع، فهو وحده الذي يصنع معجزة الغفران.. فهو وحده الذي دفع ثمنه بفداء الصلب والقيامة. فمتى آمن الخاطئ بالمسيح وقَبِل عمله الفدائي يكون دور الكارز البشري هو -فقط- أن يعلن له أن خطاياهم قد تم غفرانها. فنحن فقط نعلن الغفران ولسنا من نمنح الغفران.

رابعاً: توما ٢٤-٢٩

لم يكن توما مع التلاميذ عند ظهور المسيح الأول لهم والمسجل في عدد (٢٤). ولا نستطيع أن نجزم بسبب عدم وجوده. لكن بكل تأكيد نستطيع أن ندرك أنه قد أصابه ما أصاب باقي التلاميذ بعد صلب وموت المسيح من حزن وقلق وخوف، وربما وفق طبيعة شخصيته اختار أسلوب الانعزال كرد فعل لمشاعر الحزن والقلق، وكنتيجة لهذا الأسلوب في التفكير وضع شروطاً لإيمانه بقيامة المسيح، كما نراها في عدد (٢٥) «إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه، لا أؤمن». حتى أن شهادة مريم في عدد (١٨) وشهادة باقي التلاميذ في عدد (٢٥) لم تتجح في إقناعه. وبعد أسبوع من

وشكوكنا.

المجيدة- ألا وهي أن يسوع حي ويفرحوا
ويبتهجوا بها».

يعلمنا حدث القيامة من خلال موقف
توما. أن يكون لنا نفس الشهادة الحاسمة
في مواجهة كل الشكوك والمخاوف،
وأمام كل أشكال وأنواع الآلهة التي تقدم
نفسها إلينا لنتكل عليها ونثق فيها بأنواع
وصور متعددة. أن نعلن في مواجهتها
مخاطبين يسوع وبكل الصدق واليقين
«ربي وإلهي».

خاتمة:

عزيزي القارئ إن الحدث التاريخي
يؤكد أن المسيح قام.. حقاً قام، والاختبار
اليومي يؤكد بنفس القدر أن «المسيح
حي فينا» نعم القيامة حدث تاريخي
تؤكدده العديد من الحقائق لكنها أيضاً
وفي نفس الوقت اختبار يومي. وهذا
يؤكد ما كتبه الرسول بولس بقيادة الروح
القدس في رسالته إلى كنيسة أفسس في
الإصحاح الأول والأعداد من ١٨ - ٢٣.
أدعوك -عزيزي القارئ- أن تتوقف الآن
لتقرأ وتتأمل ذلك النص كما ورد في
الكلمة المقدسة.

بينما كان يستعد دكتور «روبرت دال»
-وهو واحد من أعظم الرعاة اللاهوتيين
في إنجلترا- لعظة القيامة في إحدى
السنوات، شعر بقوة جديدة عندما أدرك
قيامته المسيح بأبعاد جديدة وبدأ يكرر في
نفسه «يسوع حي.. حي.. حي» ثم توقف
وعاد يخاطب نفسه «هل هذا حق؟ إنه
حي كما أنا حي الآن» وقام من على كرسي
مكتبه. وبدأ يتحرك في الغرفة وهو يهلل
«المسيح حي.. المسيح حي».

المراجع:

(١) سعيد، إبراهيم. شرح بشارة يوحنا.
القاهرة: دار الثقافة المسيحية، طبعة الثالثة.
١٩٧٧.

(٢) باركلي، وليم، شرح بشارة يوحنا-
الجزء الثاني. ترجمة عزت زكي. القاهرة:
دار الثقافة. ١٩٨٣.

(٣) ويرزبي، وارين. سلسلة الدراسات
التفسيرية للكتاب المقدس «كن»- الجزء
الأول. القاهرة: مطبوعات إيجلز، ٢٠١٩.

(4) MILNE. Bruce, The Bible
Speaks Today- The Message of John.
England: Inter varsity Press. 1993.

بالطبع لم يكن إيمانه بحقيقة القيامة
وليد هذه اللحظات. فقد كان يؤمن يقيناً
بها منذ سنوات طويلة. لكن وهج حقيقتها
تسيّد عليه ذلك اليوم، والذي من بعده أصبح
موضوع عظاته دائماً عن «المسيح المقام»
وكان يرغم ترنيمة القيامة مع شعب الكنيسة
صباح كل أحد، وظل يردد «أني أريد من
شعب الكنيسة أن يتمسكوا بهذه الحقيقة



ملف العدد العروب

لماذا الحروب؟

يتحدث الفصل الرابع من رسالة يعقوب عن أسباب «الحروب والنزاعات» فيقول:

«مِنْ أَيْنِ الْحُرُوبِ وَالْخُصُومَاتِ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا مِنْ لِدَاتِكُمُ الْمُحَارِبَةَ فِي أَعْضَائِكُمْ. تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تَخَاصِمُونَ وَتَحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ لِأَنَّكُمْ لَا تَطْلُبُونَ. تَطْلِبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخِذُونَ لِأَنَّكُمْ تَطْلِبُونَ رَدِيًّا لِكِي تَنْفِقُوا فِي لِدَاتِكُمْ أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزُّوَانِي أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عِدَاوَةٌ لِلَّهِ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ» (يع: ٤: ١-٤).

وجودُ الخلافاتِ والخصوماتِ بين



د.ق فيكتور عطائلة



تَأْخُذُونَ لِأَنْكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تَنْفِقُوا فِي لَدَاتِكُمْ» (يع: ٤: ٢، ٣).

اللغة المستعملة هنا هي عن رغبة شديدة واشتهاء عميق للحصول على ما هو ليس في متناول أيدينا. يتحدث يعقوب عن العنف الذي يتولد عن الطمع والأناية البشرية.

يمكننا هنا أن نفتكر بلصوص يُصرون على الحصول على ما هو للأخرين، وهم على استعداد لاستخدام الحيلة والقوة للحصول عليها. هذا يحدث كثيراً. بل إن بعض اللصوص يكونون على استعداد للقتل لتحقيق ما يبتغون.

لكن الأمر لا يقتصر على سرقة المال والمجوهرات والسيارات، وكل ما هو ذي قيمة مادية. ما يتحدث عنه يعقوب هو أبعاد كثيرة عن ذلك، وللأسف خلفات أيديولوجية وسياسية شديدة، وحتى مشجعي الأنديّة الرياضية المتنافسة قد تتطور خلفاتهم لعنف جسدي مخيف. أما الخلافات الإثنية

الأفراد والجماعات وحتى بين الدول واضح عبر صفحات التاريخ. وكثيراً ما تكون النتائج عنفاً وضراً شديداً. والواقع أن الصراعات تحدث أيضاً بين الأمم وتقود لحروب مدمرة.

نصنا الإنجيلي يبدأ بالسؤال: «مَنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟» (يع: ٤: ١).

السؤال موجه لأناس واضح أنهم اختبروا خلافات بينهم، شأنهم شأن باقي البشر. ومع أن يعقوب هنا لم يكن يفكر في صراعات عسكرية، لكن ما يقوله ينطبق على طبيعة كل الصراعات البشرية، بما في ذلك، على

الحروب بين الأمم. وهو يتابع بسؤال آخر، يشير لحرب داخلية فينا جميعاً عما نرغب به ونريده. يدعو ذلك لَدَاتِكُمْ الْمُحَارِبَةَ فِي أَعْضَائِكُمْ. ثم يضيف: «تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسُدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ لِأَنْكُمْ لَا تَطْلُبُونَ. تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ

أخرى، عندما تحدث الخلافات والصراعات بين مجموعات أكبر من الناس تكون الخسائر أكثر فداحةً. الشدائد العرقية والقبلية كثيراً ما تقود لمعارك تسبب ضحايا بشرية في مناطق كثيرة من عالمنا. وكلنا نتابع يومياً ما يحدث لقطاعات كثيرة من السكان وهم يواجهون نتائج الأضطرابات الاجتماعية والسياسية في بلادهم. كل مجموعة تشعر بأنها مُستغلة أو أنها تُعامل بعدم إنصاف. لكن بعض المجموعات تُعطي نفسها الحق بقهر الآخرين وظلمهم.

عبر صفحات التاريخ يلعب الدين والتدين أدواراً مهمة في الصراعات بين البشر. البعض يُعطي نفسه الحق في فرض عقائده وشرائعه على الآخرين. في الواقع أننا نرى مرة تلو الأخرى مجتمعات وقرى ومدناً، بل حتى أمماً وهي تتحطم بسبب الصراعات الدينية. الآلاف يفقدون حياتهم، بل ملايين يفقدون بيوتهم ومعيشتهم ويصبحون بلا مأوى ولا حماية. في بعض الحالات تقتل أسر كاملة وتدمر كل مجتمعاتهم لسبب وحيد ألا وهو انتهاؤهم لدين مختلف أو لقبيلة أخرى.

وللأسف الشديد نلاحظ أيضاً أن حتى المضطهدين والظالمين للآخرين هم أنفسهم يُخدعون من قبل قادتهم الذين يستخدمونهم للاحتفاظ بالسُلطة أو المزايا أو الحصول على مزيد منها. كما أن قادة بعض الأمم يخدعون شعوبهم بإقناعهم بالحاجة للخوض في حروب ضد أمم أخرى. وكثيراً ما تكون مبررات القهر والتمييز العنصري والاستغلال والحروب مبنية على أسس مُخادعة ووعود

والعرقية والاجتماعية فهي تلعب أيضاً دوراً مهماً في العنف بين البشر. ومن المُحزن أنه في مراحل مختلفة من التاريخ تسبب التعصب الديني في الكثير من الخلافات بل الحروب بين البشر.

حتى في أيامنا هذه نجد من يرغبون في فرض قناعاتهم الأيديولوجية والسياسية والعرقية والاجتماعية والدينية وحتى ميولهم الجنسية غير المعتادة على الآخرين. فيعقوب لا يتحدث عن الخلافات البسيطة الهادئة المُسالمة بين البشر. إنه يتحدث عن مشاعر عميقة تُعبّر عن نفسها بشكل يُعنف الآخرين. هذا ما يحدث كثيراً عندما يختلف أعضاء الأسرة الواحدة على أنصبتهم في الموارث. ويحدث أيضاً عندما لا يتفق الجيران على وضع حدود لأراضيهم أو بيوتهم. كما يحدث أيضاً بين الأزواج والزوجات عندما يفشلون في تقدير مشاعر واحتياجات الطرف الآخر. كل طرف يُصر على حقه ويتكبر لحق الآخر. وللأسف الشديد فإن ذلك يحدث في هذه الأيام، ويقود لانشقاقات حتى داخل بيوت المؤمنين، ويتسبب في آلام كثيرة للأطفال ويؤثر سلباً على الأجيال القادمة.

الخلاف بين الموظفين أو العمال وموظفيهم حول ظروف وأجور العمل، يقود كثيراً للاضطرابات وتعطيل الاقتصاد. الخلافات حول الممتلكات المادية تقود لصراعات مُكلفة وطويلة الأمد في المحاكم. هذا ينطبق أيضاً على حالات الطلاق. هذه الصراعات تقود أيضاً لعداوات بين الأصدقاء والجيران وحتى بين أعضاء العائلة الواحدة. من جهة



باطلة بتحسين أوضاع الشعوب. كُلُّ تلك مبنية على الرغبة في التسلط على الآخرين وقهرهم والاستحواذ على مقدراتهم وثرواتهم.

إخوتي وأخواتي في المسيح، نصننا يُشير بوضوح لجذور المشاكل والصراعات البشرية. إنها أنانية وجشع طبيعتنا البشرية. إنها عن محبة الذات لا وبل عن عشق وعبادة الذات. إنها العبادة الوثنية في أبشع صيغها. ونصننا الإنجيلي يُشير للطبيعة اللاعقلانية واللامنطقية لسلوك البشر. الواقع أنه لا توجد مكاسب باقية لأنانية البشر الظالمين. الصراعات والحروب لم تنتج أبداً حياة أفضل حتى للظالمين المنتصرين على الضعفاء. نصننا الإنجيلي يؤكد أنهم يتحاربون مع أنفسهم فيقول:

كنفسك» (مت ٢٢: ٣٤-٤٠). وهذا تماماً ما مارسه الرب يسوع، كآدم الجديد.

عندما سأله بيلاطس إن كان هو ملكاً على اليهود أجابه قائلاً: «مملكتي ليست من هذا العالم». شدّد المسيح بشكل متكرر على طبيعته السماوية القدوسة التي تناقض روح العالم تلك. قال إنه: «لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت ٢٠: ٢٨).

نعم، هو دفع بنفسه ثمن خلاصنا، فهو ينقلنا من ظلمة وموت طبيعتنا الفاسدة. وأتباع يسوع الحقيقيون ليسوا بأتباع ديانة بشرية فاسدة ومفسدة، متصادقة مع روح العالم الشرير. بل هم قد صيغوا على صورة بشرية جديدة التي أسسها بمحبته التي وهب بها نفسه حتى لأعدائه غير المستحقين. له كل المجد.

«أليست من هنا من لذاتكم المحاربة في أعضائكم» (يع ٤: ١). هناك دائماً تبكيت وعدم شعب داخلي. نصننا الإنجيلي يقول إنها محبة العالم. والتعبير «العالم» في الإنجيل يمثل الجهل بالحق والعداء له. محبة العالم في مفهوم الإنجيل هي التسليم لفساد المشاعر والفكر واتباع روح الشر في المجتمع والعالم المحيطين بنا. روح الشر هذا يسعى لجذبنا ولإغوائنا لتقبل ما يطرحه علينا من فساد فكري وأخلاقي وحتى ديني، وينمي فينا محبة الذات والطمع، بل والسعي خلف المراكز والسلطة والجاه. كل هذه تمثل رفض الصلاح الإلهي والتمرّد على روح الوصية، وصية المحبة الواهبة للنفس للرب وللبشر من حولنا.

هكذا أوجز الرب يسوع روحي الشريعة «تحب الرب الهك» من كل كيائك و«قريبك»

حروب العهد القديم

المقدمة

إن كنا بصدد مناقشة معضلة حروب العهد القديم، فهذا يعني بالتبعية أن هناك مشكلة تواجهها الكنيسة التي تؤمن بوحي ومصادقية الكتاب المقدس، بكلا عهديه. هذه المشكلة يمكن أن نجدها في الأسفار التي تسرد تفاصيل غزو «إسرائيل» لكنعان، مثل أسفار العدد والتثنية ويشوع والقضاة. هذه الإشكالية مزدوجة، حيث تتمثل في الإشكالية الأخلاقية الخاصة بالعنف والقتل. والإشكالية التاريخية الخاصة بتعارض أحداث الغزو مع الاكتشافات الأركيولوجية!



ديفيد ويصا

فعله كنعان. لكنه، كالقاضي الذي يسرد أسباب الحكم قبل النطق به، قدّم لنا قائمة مطوّلة لخطايا شعوب كنعان التي سلكوا فيها (لا ١٨؛ تث ١٢: ٣٠-٣١؛ ١٨: ٩-١٢)، والتي استدعت دينونته لهم. أمام هذا السياق، قد يتبادر إلى ذهن الكثيرين عدّة أسئلة تختص بصورة الله الذي يقدّمه الكتاب المقدّس. هل هو ديّان؟ هل يعاقب الخاطئ؟ وهل يفعل هذا في العهد القديم فقط أم في العهد الجديد أيضاً؟ وما تبعات ذلك على فهمنا لله وعلاقتنا به؟

لإجابة هذه التساؤلات، سوف ننقّي بعض النماذج من العهدين حيث يُقدّم الكتاب المقدّس الله باعتباره القاضي الديّان الذي يدين الخاطئ، سواء بطريقة مباشرة (أي: دون وسيط)، أو بطريقة غير مباشرة (أي: من خلال وسيط).

أمثلة من دينونات العهد القديم

في العهد القديم، يقدّم النصّ الله -ثلاث مرّات على الأقل- كمن يدين بنفسه دون وسيط من البشر، مثل: (١) دينونته للخطاة بالطوفان في أيام نوح، والتي يشهد عنها العهد القديم ويسوع ورسله باعتبارها دينونة الله، وليست مجرد ظاهرة طبيعية لا تقف الدينونة من خلفها (تك ٦: ٥-٧؛ لو ١٧: ٢٦-٢٧؛ ٢بط ٢: ٤-٥). و(٢) دينونته لشعب سدوم وعمورة، التي يشهد عنها الكتاب ذات الشّهادة (تك ١٩: ٢٤؛ لو ١٧: ٢٩؛ ٢بط ٢: ٦-٧). و(٣) دينونته لملوك الأموريين بإرسال حجارة البرد عليهم من السّماء (يش ١٠: ١١).

من جهة الإشكاليّة الأخلاقيّة، فهي تتمثّل في أمر الله المباشر لإسرائيل (بحسب النص) بقتل شعوب أرض كنعان واحتلال أراضيها، والذي تمّمه «يشوع» عملاً بقول الرب لموسى: «فإنك تحرّمهم. لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم!» (تث ٧: ١-٢)

أما من جهة الإشكاليّة التاريخيّة، فمن بين جملة المدن التي يسرد لنا «سفر يشوع» قصّة غزوها، وجد الباحثون الأثريّون أن بعض هذه المدن لم يكن لها وجود وقت دخول يشوع الأرض، مثل مدينة «عاي» (Israel Finkelstien and Neil Asher Silberman, The Bible Unearthed, 2002, 82). كما أن بعض المدن قد دُمّرت بالفعل بنفس الطريقة التي يصفها السّفر (مثل سور مدينة أريحا)، لكن ليس على يد الإسرائيليين، حيث اكتشف الباحثون أن المصريين هم من دمّروه قبل مائتي عام من التاريخ المُفترض للغزو الإسرائيلي للمنطقة!

في هذه الدراسة المختصرة، سوف نحاول تلخيص وإجمال ما قدّمته الكنيسة على مر العصور لحل هذه المعضلة وفهمها، بأن نقرب من النصوص الكتابيّة وغيرها، حتى نستطيع أن نستنبط صورةً متّسقةً، عن الله وإسرائيل والنصّ الكتابي.

«الله» في حروب العهد القديم

إن الكتاب المقدّس يُقدّم حروب العهد القديم، كقطعة من ثوب واسع، أو كجزء من سياق أشمل، هو سياق دينونة الله على الخطاة. لم يترك لنا الله فرصة تخمين ما



وأيضاً دينونته ليهودا (المملكة الجنوبية) بواسطة نبوخذ ناصر ملك بابل الذي سباهم (إر ٢٩: ١)، هذا السبي الذي نسبه الرب لنفسه أيضاً (إر ٢٩: ٧، ١٤).

هذه الدينونات تعلن بوضوح أن الله ديان عادل، يدين الخاطئ ولو بعد حين، بحسب قوله: «هوذا عينا السيّد الرب على المملكة الخاطئة، وأبيدها عن وجه الأرض.» (عا ٩: ٨)

أمثلة من دينونات العهد الجديد

في العهد الجديد، يقدم النصّ الله - ثلاث مرّات على الأقل - كمن يدين بنفسه دون وسيط من البشر، مثل: (١) دينونته لهيرودس حين ارتضى - في كبريائه - أن يخاطبه الشعب: «هذا صوت إله، لا صوت إنسان؛ ففي الحال ضربه ملاك الرب، لأنه لم يُعط المجد لله؛ فصار يأكله الدود ومات.» (أع ١٢: ٢٢-٢٣). و(٢) تأديبه لمؤمني كنيسة كورنثوس الذين استهانوا

أيضاً في العهد القديم، يقدم النصّ الله - ثلاث مرّات على الأقل - كمن يدين من خلال وسيط من البشر، مثل: (١) دينونته لثلاثة شعوب تسكن حول أرض كنعان، عن طريق طردهم من أرضهم وإحلال شعوب أخرى مكانهم، مثلما فعل مع «الرفائيين»، حين أبادهم من قدام بني عمّون «فطردوهم وسكنوا مكانهم» في «عار» (تث ٢: ٢١). ومثلما فعل مع «الهورييين»، حين أتلّفهم من قدام بني عيسو «فطردوهم وسكنوا مكانهم» في «سعير» (تث ٢: ٢٢). ومثلما فعل مع «العوييين»، حين خرج الكفتورييون «وسكنوا مكانهم» في «غزة» (تث ٢: ٢٣). و(٢) دينونته لشعوب كنعان السبعة (تث ٧: ١)، حين أهلكهم من قدام إسرائيل وبواسطتهم (أع ١٣: ١٩). و(٣) دينونته لإسرائيل (المملكة الشماليّة) بواسطة شلمنأسر ملك آشور (٢مل ١٧: ٢)، لأن الرب نحى «إسرائيل من أمامه... فسُبي إسرائيل من أرضه إلى آشور» (٢مل ١٧: ٢٣)،

أن الله ديان عادل، يدين الخاطئ حتى وإن كان من الكنيسة، بحسب قوله: «لأنه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله. فإن كان أولاً مناً؛ فما هي نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله!» (ابط ٤: ١٧)

كيف نرى الله إذاً؟

أمام هذه المشاهد الواضحة لدينونات الله في العهدين، وقبل أن نستتبط منها صورة الله كما تقدمها نصوص حروب العهد القديم في سياق بقية نصوص الكتاب المقدس، من الجيد أن نلاحظ أن الله حين يدين، لا يفعل هذا عن انفعال أو تسرع أو تشفي، فهو «بطيء الغضب» (خر ٣٤: ٦؛ نا ١: ٣؛ يون ٢: ١٣)، وليس سريع الانفعال. إن كانت دوافع الدينونة لدينا قد يشوبها أناييتنا أو اندفاعنا أو كراهيتنا لمن ندين، إلا أن الله -حين يدين- لا تحكمه أهواء وشهوات البشر. بل أن دينونته تتبع من طبيعته التي لا تُسرّ بالشر (مز ٥: ٤)، بل وتبغض الإثم (مز ٤٥: ٧). كما أنها لا تتبع من كراهيته للشرير، بل من تمهله عليه دون أن يتوب، مما يذخر له غضباً، كان بإمكانه تجنبه إن هو تاب ورجع عن شره (رو ٢: ٥). إن الله لا يُسرّ «بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا» (حز ٣٣: ١١).

من جهة أخرى، لا يعنينا كثيراً وسيلة تتميم الدينونة، لسببين. الأول، أنه مهما كانت الوسيلة فليس من الطبيعي أن تتال إعجابنا، لأن الدينونة هي عمل الله الغريب (إش ٢٨: ٢١)، وليس الأمر الطبيعي. فإن كنا مخلوقين على صورة الله (تك ١: ٢٧؛ يع ٣: ٩)،

بمائدة الرب، غير مميزين جسد الرب (اكو ١١: ٢٩)؛ فكان فيهم «كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون». (اكو ١١: ٣٠)، وهو ما قد فسره بولس بكونه حكماً من الرب عليهم، تأديباً لهم (اكو ١١: ٣١-٣٢). و(٣) دينونة الرب يسوع للخطاة في جهنم، والتي سيتممها الرب بنفسه، بحسب قوله للتلاميذ: «بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم». (مت ١٠: ٢٨). هذه الدينونة الأخيرة، يصور فيها الكتاب الخطاة «وهم يقولون للجبال والصخور: اسقطي علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف [أي: يسوع]، لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف!» (رو ١٦: ٦-١٧)

أيضاً في العهد الجديد، يقدم النصُّ الله ثلاث مرّات على الأقل -كمن يدين من خلال وسيط من البشر، مثل: (١) دينونته على حانانياً وسفيرة، بواسطة «بطرس» الذي أعلن القضاء الإلهي عليهم بالموت (أع ٩: ١٠-١٠). و(٢) دينونته على «عليم» السّاحر، بواسطة «بولس» الذي أعلن القضاء الإلهي عليه بالعمى المؤقت (أع ٩: ١١-١١). و(٣) دينونته على الزاني مع امرأة أبيه في كورنثوس (اكو ٥: ١)، بواسطة «بولس» الذي أعلن القضاء الإلهي عليه بتسليمه للشيطان، حين قال: «قد حكمت... في الذي فعل هذا... أن يُسلّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع.» (اكو ٥: ٣-٥)

مرة أخرى، تعلن دينونات العهد الجديد

استخدمه الله لتتميم دينونته على كنعان. وعلى الرغم من أن هذه الرؤية قد تثير العديد من الأسئلة حول أفضلية إسرائيل عن غيرها، أو عن أهليتها لأن تمثل دور الوسيط. إلا أننا من خلال قراءة نصوص الحروب، نرى أن الرب قد أعطى إسرائيل أربعة تحذيرات، قبل دخولهم أرض كنعان وبدء الحرب.

(١) تحذيرات أخلاقية، بالأ يسلكوا في خطايا كنعان (لا ١٨؛ تث ١٢: ٣٠-٣١؛ لا ١٨: ٩-١٢)، وإلا سيطردهم من الأرض، كما فعل بكنعان، حيث قال لهم: «بكل هذه لا تتنجسوا... فلا تقذفكم الأرض كما قذفت الشعوب التي قبلكم.» (لا ١٨: ٢٤-٢٨). وهو



ما تمّمه الله فعلاً، حين سبى إسرائيل ويهوذا لأشور وبابل.

(٢) تحذيرات ضد العنصرية، لتلا يعتقدوا بأفضليتهم على كنعان، إذ قال لهم: «لا تقل في قلبك حين ينفهم الرب إلهك من أمامك قائلاً: 'لأجل برّي أدخلني الرب لأملك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب'» (تث ٩: ٤)،

ونحن بالطبع كذلك، فلا ينبغي أن نُسر بما لا يُسر به الله! الثاني، أن الله شخصياً حين أفصح عن مشاعره قبيل تتميم الدينونة، قال: «قد انقلب عليّ قلبي، اضطرمت مراحمي جميعاً» (هو ١١: ٨ب). بل أن المسيح قبيل النطق بدينونته على أورشليم بسبب رفضها له، «بكى عليها» (لو ١٩: ٤١). من الطبيعي إذاً أن نتعامل مع مشاهد الدينونة بمنتهى الرهبة وعدم التصالح، لأنها لحظات لم يتعامل معها الله بقبول طبيعي أو بدم بارد. لكن هذا لا يعني أن نرفضها، لأن الديان هو الله العادل، الذي لا يظلم أحداً (تث ٢٢: ٤)، والمُدان هو الخاطئ الذي لم يتعامل مع إمهال الله باعتباره فرصة للتوبة، بل تمادى في خطيته، حتى اكتمل إثمه واستوجب دينونة الله العادلة.

في ضوء الأمثلة التي ذكرناها لدينونات الله في العهدين، يمكن أن نرى الله هو القاضي العادل، الذي من حقه أن يدين الخاطئ، ليس فقط لأنه يرى أفعاله ويزنها (لا ١٨)، بل لأنه يعرف الدوافع ويكشفها (إر ١٧: ٩-١٠)، وهو يدينه بالطريقة التي يراها مناسبة، سواء كان بتدخله المباشر، أو من خلال وسيط بشري. وهو قد أعطى كنعان مهلة للتوبة تقترب من الأربعمئة عام (تك ١٥: ١٦)، ثم تدخل بالقضاء عليهم بالموت، بسبب عدم توبتهم. لأن تمهلّ الله فرصة للتوبة، وليس رخصة للتمادي في الخطية (رو ٢: ٤-٥).

«إسرائيل» في حروب العهد القديم

ليس من الصعب أن نرى إسرائيل كوسيطٍ

يمكن أن نرى إسرائيل كأداة أو وسيط، تمّم الله بها دينونته على كنعان. هذه الوساطة لا تعني أفضليّة إسرائيل على كنعان، ولا تعطي رخصة لإسرائيل لغزو أراضٍ أخرى غير كنعان (سواء حينها أو في المستقبل)، ولا تعني أن إسرائيل حالة خاصّة يحق لها ممارسة خطايا كنعان دون حساب، بل أن تاريخ إسرائيل مع الله يشهد أن كل امتياز يتبعه مسؤوليّة، وهو ما قاله الرب لهم بلسان عاموس: «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض؛ لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم.» (عا ٢:٣)

«النص» في حروب العهد القديم

يقول «چون والتون» عبارةً بليغةً مُفصّلة تستحق التفكير:

إن العهد القديم [بالفعل] يتواصل معنا وقد كُتِبَ لأجلنا، ولأجل كل البشرية. لكنه لم يُكْتَبَ لنا. بل كُتِبَ لإسرائيل. إنه إعلان الله عن نفسه لإسرائيل [أولاً]، وثانياً من خلال إسرائيل لكل واحد أيضاً... حيث إنه قد كُتِبَ لإسرائيل، فقد كُتِبَ بلغةٍ [عبريّة] لا يفهمها معظمنا، ولهذا تتطلب ترجمة. لكن اللغة ليست هي الموضوع الوحيد الذي يحتاج إلى ترجمة. فاللغة تفترض ثقافة، وتعمل في ثقافة، وتخدم ثقافة، وقد صُمِّمت لتتواصل في إطار ثقافة. وبالتالي، حين نقرأ نصاً قد كُتِبَ بلغةٍ أخرى ولثقافةٍ أخرى، ينبغي أن نترجم الثقافة وأيضاً اللغة، إن كنا نبغي أن نفهم النص فهمًا كاملاً.

(John H. Walton, The Lost World of Genesis One: Ancient Cosmology

بل حدّد لهم السبب في دينونته على كنعان، وهو «إثم أولئك الشعوب... ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لأبائكم. إبراهيم وإسحق ويعقوب.» (تث ٩:٥). وقال لهم صراحةً أنهم (أي: إسرائيل) «شعب صلب الرقبة (أي: عنيد).» (تث ٩:٦).

(٣) تحذيرات استيطانيّة، لئلا تسوّل لهم أنفسهم احتلال ما يحلو لهم من الأراضي، إذ منعهم من غزو أراضٍ أخرى مثل موآب، وأدوم، وغزّة (تث ٢:١٧-٢٣)، قائلاً: «فمتى قرّبت... لا تُعَادِهِمْ ولا تهجموا عليهم.» (تث ٢:١٩)، في إشارة واضحة أن الأمر بغزو كنعان ليس رخصةً مفتوحةً من الله لإسرائيل لغزو واستيطان ما يحلو لهم من أراضٍ أو بلاد لا تعبد «يهوه» إله إسرائيل.

(٤) مشابهاً تاريخيّة، بأن شبّه الرب غزو إسرائيل لكنعان، بغزواتٍ أخرى تمّت تحت سلطان ومشيئة الله، مثل غزو بني لوط لعار، وبني عيسولسعير، والفلسطينيين لغزّة (تث ٢:١٧-٢٣). أي أن سياسة الله في هذا الوقت، لم تكن إحلال بالمعنى المتعارف عليه لدينا، بل كانت احتلالاً شعب مكان آخر، بسبب خطايا الشعب الساكن في الأرض، حيث كانت القاعدة الحاكمة آنذاك: «هوذا عينا السيّد الرب على المملكة الخاطئة، وأبيدها عن وجه الأرض.» (عا ٩:٨)

كيف نرى إسرائيل إذاً؟

في ضوء التحذيرات التي ذكرناها، والتي أوصى الله بها إسرائيل قبل غزو كنعان،

بعد موته في (قض ١:١). أيضاً، يذكر الكتاب احتلال «كالب» لحبرون وطرده بني عناق الثلاثة «شيشاي وأخيمان وتلماي» منها، في أيام يشوع (أي: قبل موته) (يش ١٥:١٣-١٤)، ثم يعيد مرةً أخرى سرد احتلال «كالب» لها في (قض ١:١٠) بعد موت يشوع (يش ٢٤:٢٩)، كما لو كانت من ضمن الأراضي التي لم تُخضع لإسرائيل بعد!

إن أسلوب الإجمال الذي يسبق التفاصيل، لا ينفرد به سفر يشوع فقط، بل أننا نجد في بداية سفر القضاة هذه العبارة المطوّلة التي تقول: «فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ؛ فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِيينَ نَهَبُوهُمْ... وَأَقَامَ الرَّبُّ قُضَاةً فَخَلَّصُوهُمْ مِنْ يَدِ نَاهِييِهِمْ. وَلَقُضَاتِهِمْ أَيْضًا لَمْ يَسْمَعُوا بَلْ زَنَوْا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى... وَحِينَما أَقَامَ الرَّبُّ لَهُمْ قُضَاةً، كَانَ الرَّبُّ مَعَ الْقَاضِي وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ كُلِّ أَيَّامِ الْقَاضِي... وَعِنْدَ مَوْتِ الْقَاضِي كَانُوا يَرْجِعُونَ وَيُفْسِدُونَ أَكْثَرَ... فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَقَالَ: 'مَنْ أَجَلُ أَنْ هَذَا الشَّعْبُ قَدْ تَعَدَّوْا عَهْدِي... فَأَنَا أَيْضًا لَا أَعُودُ أَطْرِدُ إِنْسَانًا مِنْ أَمَامِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ يَشُوعُ عِنْدَ مَوْتِهِ. لَكِي أَمْتَحَنَ بِهِمْ إِسْرَائِيلَ... فَتَرَكَ الرَّبُّ أَوْلِيَّكَ الْأُمَمِ وَلَمْ يَطْرُدْهُمْ سَرِيعًا وَلَمْ يَدْفَعْهُمْ بِيَدِ يَشُوعِ.' (قض ٢:١٤-٢٣). غني عن البيان أن سفر القضاة يسرد -بعد هذه الآيات- قائمةً مطوّلة من القضاة الذي قضوا لإسرائيل، ويذكر دورة سفر القضاة الشهيرة المتكرّرة «وعاد بنو إسرائيل

ما يقوله «والتون» هو في غاية الأهمية، فهو يقصد أن خلفيّة النص الحضاريّة، ستساعدنا على فهم ما يقصده النص، حتى وإن لم يقله صراحةً. ولهذا نحتاج أن نفهم النص كما فهمه القارئ الأول. في هذا الإطار، نحتاج أن نمتحن نصوص الحروب بعناية، كما نحتاج أن نقرأ نصوصاً أخرى غير كتابية، تنتمي للشرق الأدنى القديم حيث كانت الشعوب الأخرى تصف انتصاراتها وتدوّنوها بطريقة مشابهة لطريقة



تدوين انتصارات الحروب في العهد القديم.

لغة «الإجمال الذي يسبق التفصيل»

بمقارنة سفري يشوع والقضاة، نجد أن افتتاحيّة سفر القضاة تبدأ بالقول: «وكان بعد موت يشوع، أن بني إسرائيل سألوا الربّ قائلين: 'من منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم؟'» (قض ١:١)، مما يؤكد أن الأرض لم تكن قد أخضعت بعد بالكامل لإسرائيل. ما يؤكد هذا الأسلوب في النص، هو إعادة سرد قصّة موت يشوع في (قض ٧:٢-٩) بعد أن كان قد قدّم لنا ما حدث

وكل ذلك الجيل أيضاً... وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب، ولا العمل الذي عمل لإسرائيل. وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم.» (قض ٢: ٨-١١)

هذا الأسلوب في السرد يوضح أننا لا يجب أن نفهم الأحداث المذكورة في سفر القضاة بصورة متوالية (أو على الأقل بعضها)، وبالتالي لا يمكن تأريخ أحداثها بسهولة، «لأن سفر القضاة (الذي كان محرّره النهائي بلا شك على وعي كامل بهذه الروايات الموجودة في يشوع) لا يرى تناقضاً في أن يخبرنا أن عملية إخضاع الأرض كانت أبعد عن أن تكون قد انتهت، بل أنها استمرت لزمان طويل». (كريستوفر ج. هـ. رايت، ١٢٨)

أمام هذه المقارنة المختصرة بين نصوص يشوع والقضاة، يمكننا أن نفهم أن النص يقدم تقريراً إجمالياً في (يش ١١: ٢٣) قبل أن يعطي تقريراً تفصيلياً لما حدث لاحقاً، بدايةً من (يش ١٣: ١) وحتى نهاية سفر القضاة. وهذا يعني أن إسرائيل قد بسط نفوذه في كنعان، باحتلال المدن المحصّنة ومراكز العبادة، قبل أن يبدأوا في الدخول لكل مدينة على حدة، «فقد كانت المراكز العسكرية المفتاحية - والمدن الصغيرة المحصّنة لممالك الكنعانيين، هي التي أبيدت تماماً.» (كريستوفر ج. هـ. رايت، ١٢٨). مما يؤكد تداخل الأحداث بطريقة متشابكة - وليست متتالية - في السّفر. كما يؤكد لغة «الإجمال الذي يسبق التفاصيل».



يعملون الشر في عيني الرب» (قض ٣: ٧، ١٢؛ ٤: ١؛ ٦: ١٠؛ ١٣: ١). مما يعني أن (قض ٢: ١٤-٢٣) يقدم سرداً إجمالياً لما سيحدث خلال السّفر، ثم يبدأ بعدها في سرد تفاصيل الأحداث، وحتى نهاية السّفر.

بالإضافة إلى هذا، فإننا نجد أن سفر القضاة الذي يبدأ بسرد متوال لقائمة القضاة الذين حكموا إسرائيل، يُختم بقصة من الصعب أن تكون أحداثها قد تمت في نهاية حكم القضاة (قض ١٩-٢١). لأنه يقول إن «فينحاس بن أليازار بن هرون» كان يخدم الرب أمام تابوت العهد (قض ٢٠: ٢٨)، ونحن نعلم أن فينحاس كان معاصراً لموسى (عد ٧: ١٣-٢٥)، وأن الشعب لم يكن ليلتفّ حوله ويسأل الرب، إلا في بداية سفر القضاة قبل أن ينتشر الشر في أسباطه، ويعملون ما يحسن في أعينهم. حين «مات يشوع...

لغة «التهويل الذي يؤيده الدليل»

يتفق رأي كولينز ووالتون مع ما يؤكده «كريستوفر رايت»، على «أن لغة الحرب كان لها خطاب تقليدي يجب أن يقوم بادعاءات مطلقة وشاملة عن النصر الكاملة والإفناء التام للعدو. وكان مثل هذا الخطاب كثيراً ما يتجاوز الحقيقة على أرض الواقع.» (كريستوفر ج. ه. رايت، ١٢٨).

أمام هذه المقارنة البسيطة بين نصوص الكتاب ونصوص الشرق الأدنى القديم، نجد أن نصوص حروب العهد القديم التي تصف الانتصارات والقتلى، لم تُكتب بهدف تقديم تقرير حرفي لما حدث، لكنها تستخدم أسلوب المبالغة في وصف الانتصار، مثلها مثل النصوص غير الكتابية. «ليس هذا معناه أننا نتهم كتاب الكتاب المقدس بالكذب، لكن هذا معناه أن ندرك التقاليد الأدبية للكتابة عن الحروب.» (كريستوفر ج. ه. رايت، ١٢٩). مما يؤكد لغة «التهويل الذي يؤيده الدليل».

لغة «الطرد الذي يفوق التحريم»

إن القراءة السريعة لسفر يشوع، قد توحى أن «التحريم» (أي: الإبادة الجماعية) هو اللغة السائدة في غزو إسرائيل لکنعان. وبسبب ارتباط هذا المفهوم في أذهان الكثيرين بالإبادة الجماعية، فإن القارئ قد يفترض أن غزو إسرائيل لکنعان، هو إبادة عرقية جماعية للشعوب السبعة الساكنين في الأرض (تث ١:٧). لكن القراءة المتأنية للسفر، تكشف أنه على الرغم من التقرير الواضح في نهاية السفر «فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها

في تعليقه على غزو إسرائيل لأريحا، وتحريمهم «كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» (يش ٦:٢١)، يشير «جون كولينز» لأحد نصوص الشرق الأدنى القديم، غير الكتابية، والتي تنتمي إلى القرن التاسع ق.م. حيث يصف كاتبها انتصارات «ميشع» ملك موآب (٢مل ٣:٤) في إحدى الحروب، فيعلق «كولينز» بالقول: «هذا التكريس والتدمير، يُعرف باسم (herem) أو التحريم. وهي عادة معروفة خارج إسرائيل. حيث يفتخر ميشع ملك موآب بالانتصار على إسرائيل وأخذ [مدينة] نبو منهم، فيقول 'قتلت الكل، سبعة آلاف رجل، وولد، ونساء وصبيا وإماء، لأنني كرستهم [أي: خصصتهم] للتدمير (للاله) عشتار-كموش'» (John J. Collins, Introduction to the Hebrew Bible, 2nd ed, 2014, 200).

في ذات السياق، يعلق «جون والتون» على تقارير الانتصار التي تنتمي للشرق الأدنى القديم، بالقول: «هذه التقارير تميل للمبالغة في حجم الانتصار، وفي عدد القتلى من الأعداء جرأ هزيمتهم... وهذا لا يعني أن تلك التقارير افتراء محض، بسبب وصفنا إياها بالدعائية، لكن الكاتب والمستمع كلاهما يدركان النوع الأدبي لها، لذا فلا توجد أي نية للخداع.» (John H. Walton and J. Harvey Walton, The Lost World of the Israelite Conquest, 2015, pp. 150-51).



-أو الإزاحة والسكن جنباً إلى جنب مع الكنعانيين- هي اللغة السائدة في حروب العهد القديم، وليست لغة «التحريم»، مما يتفق مع ما ذكره «رايت» أن «المراكز العسكرية المفتاحية - والمدن الصغيرة المحصنة لممالك الكنعانيين، هي التي أبيتت تماماً. لكن من الواضح أن ليس كل الشعب، أو ما يشبه ذلك، قد تم إهلاكهم في الواقع فعلياً بواسطة يشوع.» (كريستوفر ج. هـ. رايت، ١٢٨). وعلى ما يبدو، فقد كانت تلك المدن العسكرية والمحصنة ومراكز العبادة، قليلة إذا ما قورنت ببقية المدن التي سكن فيها إسرائيل مع الكنعانيين. مما يؤكد لغة «الطرد الذي يفوق التحريم».

كيف نفهم «النص» إذا؟

من خلال ما سبق، يمكن أن ننظر إلى نصوص حروب العهد القديم، باعتبارها تسرد قصة غزو تاريخية (أي: حدثت بالفعل)، لكنها تصفها أحياناً بطريقة غير حرفية. فحين تسرد انتصارات الشعب، تسردها كأحداث

لأبائهم؛ فامتلكوها وسكنوا بها. فأراحهم الرب... ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم، بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم.» (يش ٢١: ٤٣-٤٤)، إلا أن سفر يشوع والقضاة، يوضحان بلغة لا لبس فيها أن شعوب كنعان -في معظمها- سكنت جنباً إلى جنب مع أسباط إسرائيل في كل الأراضي التي قسمها لهم يشوع وامتلكوها (قارن يش ١٥: ٦٣؛ قض ١: ٢١، يش ١٠: ٢٦؛ قض ١: ٢٩، يش ١٧: ١٢-١٣؛ قض ١: ٢٧، ٣٠-٣٦؛ ١٨: ١).

بالإضافة إلى هذا الدليل الواضح على عدم تحريم إسرائيل لكل مدن كنعان، نجد أن اليبوسيين (سكان أورشليم) لا زالوا موجودين حتى أيام داود، أي بعد غزو يشوع لكنعان بمئات السنين، وحين رفضوا دخوله لأرضهم (٢صم ٥: ٦؛ ١أخ ١١: ٥)، حاربهم داود وأخذ حصن صهيون، ودعا المدينة باسمه (٢صم ٥: ٩؛ ١أخ ١١: ٧).

هذه النصوص تؤكد أن لغة الطرد

أمام دينونات الله في العهد القديم، من السهل أن نسأل: وما ذنب الأطفال حتى يُعاقبوا بسبب خطيئة لم يفعلوها؟ لماذا يموتون في الطوفان ويُقتلون في كنعان؟ بل لماذا يبقون في البرية لما يقرب من أربعين سنة، بسبب خطيئة آبائهم؟ وإن افترضنا أن المتهم مذنب، هل من العدل أن يحكم القاضي على زوجته وأولاده بالموت؟

أمام هذا السؤال المشروع، ينبغي أن نُفرّق بين عقاب شخص من أجل خطيئة فعلها (وهو في هذه الحالة مذنب)، وبين تحمُّله لنتيجة خطيئة شخص آخر (وهو في هذه الحالة غير مذنب). لتوضيح الفارق، هب أن أحد الآباء قام بالهجرة إلى دولة راقية؛ فإن أولاده بالتبعية سوف يتمتعون وينعمون بمزايا هذا القرار الحكيم، دون فضل منهم. لكنه إن هاجر إلى دولة فقيرة تعاني من الفقر والحروب الأهلية؛ فإن أولاده بالتبعية سوف يعانون أشد معاناة بسبب هذه القرار غير الحكيم، دون ذنب منهم.

إذا فالسؤال عن ذنب الأطفال أو فضلهم، ليس هو السؤال الصحيح في هذا السياق. لكن السؤال الصحيح هو: ما علاقة الأطفال بهؤلاء الأشخاص أصحاب القرار، حتى يتأثر مصيرهم بهذا الشكل ويرتبط بقرارات هؤلاء الأشخاص، سواء كانت قرارات حكيمة أو غير حكيمة؟ والإجابة المنطقية على هذا السؤال، أنه من الطبيعي أن يتأثر أولئك الذين داخل دائرة مسؤوليتي (إيجاباً أو سلباً)، بقراراتي واختياراتي (صحيحة كانت أو خاطئة). لذا

متشابكة غير متتالية، مما يعني وجود بعض الفجوات الزمنية في النص، أي أن الكاتب انتقى بعض الأحداث وسلط الضوء عليها، دون أن يعنيه أن يسرد كل ما حدث بحسب ترتيبه التاريخي. من جهة أخرى، يُقدّم النص -أحياناً- إجمالاً لما حدث، قبل أن يسرد تفاصيله، مما يوحي بأن النص يناقض نفسه، لكنه ليس كذلك. أيضاً حين يصف النص انتصارات الشعب، سيّما المدن التي حرّموها، فإنه يستخدم لغة مبالغة لا تُخل بمصداقية الكاتب، لكنها لغة أدبية يشترك الكاتب فيها مع غيره من الشعوب الأخرى التي كانت تعيش في نفس المنطقة، وفي نفس الوقت. أخيراً، فالنص يصف غزو كنعان بلغة الطرد والإزاحة، أكثر من كونه إبادة جماعية كما قد يُظنّ للوهلة الأولى.

مواجهة الإشكالية الأخلاقية

غني عن البيان أن لغة المبالغة في وصف انتصارات حروب العهد القديم، لا تعني أن قتل الأطفال لم يحدث، لكنها تعني أنه لم يحدث بالصورة التي يتوقعها القارئ عند قراءته للنص. وحتى إن افترضنا أن قتل الأطفال لم يحدث، فلا يمكن الهروب من موت الأطفال في الطوفان، أو في دينونة خطايا سدوم وعمورة التي يقول الكتاب المقدس عن مرتكبيها إنهم كانوا «من الحدّث إلى الشيخ» (تك ١٩: ٤). وبالتالي تظل الإشكالية الأخلاقية قائمة، مما يستدعي الاشتباك معها.

موت الأطفال، بين العقاب والذنب



وبرّه (تك ١:٧). على ذات القياس نقول، إن الأطفال الذين هلكوا في الطوفان، لم يهلكوا بسبب خطيئة اقترفوها، بل بسبب قرار آبائهم الخاطئ بعدم التوبة، رغم كرازة نوح وتحذيره لهم من الدينونة الوشيكة بسبب شرورهم (ابط ٣:٢٠؛ ٢بط ٢:٥).

أيضاً في حروب العهد القديم، يمكننا أن نستخدم نفس المبدأ للنظر إلى من هم داخل دائرة مسؤولية راحب (أي: أبيها وأمها وإخوتها وأخواتها وأطفالهم)، حيث قالت للجاسوسين اللذين أنقذتهما من الموت: «فالآن احلفا لي بالرب وأعطياني علامة أمانة، لأنني قد عملت معكما معروفاً، بأن تعملوا أنتما أيضاً مع بيت أبي معروفاً. وتستحييا أبي وأمي وإخوتي وأخواتي وكل ما لهم، وتخلصا أنفسنا من الموت.» (يش ١٢:٢-١٣) وهو ما فعله يشوع والشعب بالفعل، حين «استحيي يشوع راحب الزانية

يمكن أن نعتبر أن تحملي نتيجة أخطائي الشخصية، هو عقاب مباشر لي. بينما تحمّل أولادي نتيجة أخطائي الشخصية، هو نتيجة طبيعية بسبب ارتباطهم بي. إن الأمر إذاً لا علاقة له بذنبهم أو فضلهم، بل بطبيعة علاقتي بهم وعلاقتهم بي.

موت الأطفال، بين الطوفان والحروب

إن طبقنا المبدأ السابق، والذي يتعلّق بعلاقة الأطفال الذين هلكوا في الطوفان والحروب، بذويهم. يمكننا أن ندلل على ذلك بالنظر إلى من هم داخل دائرة مسؤولية نوح (أي: زوجته وأبنائه وزوجاتهم)، حيث قال له الرب: «ولكن أقيم عهدي معك؛ فتدخل القلک أنت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك.» (تك ١٨:٦) فمع أن العهد كان مع نوح، إلا أن الذين تمتّعوا بنتائج وامتيازات هذا العهد هم زوجته وبنوه ونساء بنيه، ليس لفضلٍ فيهم، بل بسبب إيمان نوح

نقبله. فالقبول (Acceptance) يختلف عن الموافقة (Approval)، لذا فإننا نقبل بدينونة الله على الخاطئ، ومسؤولية الإنسان عن من هم في دائرة مسؤوليته، لكن هذا لا يعني أننا نوافق على القتل، باعتباره شيئاً طبيعياً.

مواجهة الإشكالية التاريخية

سوف نركز البحث حول عاي وأريحا، باعتبارهما أكثر مدينتين ليس فقط افتقاد الدليل الأركيولوجي، بل أيضاً في مناقضته. ثم نستخلص من خلال البحث، آلية مناسبة للتعامل مع الإشكالية التاريخية بصفة عامة.



إشكالية عاي

كان علماء الكتاب المقدس يفترضون صحة السرد الكتابي بخصوص غزو عاي، إلى أن اكتشفت عالمة الآثار اليهودية الفرنسية «جوديث كراوس» (Judith Marquet-Krause)، عام ١٩٣٥م تقريباً، أن موقع مدينة عاي - والتي يدعى سفر يشوع تدميرها والانتصار على ملكها، بواسطة

وبيت أبيها وكل ما لها، وسكنت في وسط إسرائيل». (يش ٦: ٢٥) فمع أن راحاب وحدها هي من تابت وآمنت بإله إسرائيل (يش ٢: ٩-١١)، ودللت على إيمانها بإنقاذ الجاسوسين (يش ٢: ٤)، إلا أن الذين تمتعوا بنتائج وامتيازات هذه التوبة هم بيت أبيها، ليس لفضل فيهم، بل بسبب إيمان راحاب (عب ١١: ٣١). على ذات القياس نقول، إن الأطفال الذين هلكوا في كنعان، لم يهلكوا بسبب خطيئة اقترفوها، بل بسبب قرار آبائهم الخاطئ بعدم التوبة، رغم وجود راحاب كمثال حيٍّ أمامهم. هذا ما استدعى تسمية كاتب العبرانيين لهم بالعصاة (عب ١١: ٣١)، أي أنهم -وبحسب تعبير الرسول بولس- لما «عرفوا حكم الله، أن الذين يعملون مثل هذه [الخطايا المذكورة في لا ١٨] يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط بل أيضاً يُسَرُّون بالذين يعملون.» (رو ١: ٣٢)

كيف نتعامل مع قتل الأطفال، إذاً؟

إن التوضيحات التي ذكرناها، لا نهدف من خلالها إلى تبرير قتل الأطفال، لكنها فقط تلقي الضوء على جانب آخر نستطيع أن ننظر منه على هذا الحدث المروّع، كي نفهمه ونضعه في سياقه وإطاره الصحيح، حتى تكتمل الصورة ونرى الدينونة بجانب الخلاص، والعقاب كمسؤولية بجانب الذنب كنتيجة. هذا لا يعني أننا مدعوون للتصالح مع قتل الأطفال، لأننا لا يجب أن نتصالح مع الدينونة بحال من الأحوال إن كان الله نفسه لم يتصالح معها (هو ١١: ٨). لكن عدم تصالحنا مع شيء، لا يعني بالتبعية أن لا

«منطقة منخفضة»، كانت بمثابة بوابة بين أريحا في الشرق، ومدن كنعان في الغرب (وتحديداً «بيت إيل» كما أشرنا في (تك ١٢: ٨)، مما يُرجح تجمع بعض القبائل في هذه المنطقة تحت قيادة «شيخ قبيلة»، لحماية هذه المدن. ولهذا يصف سفر يشوع هذه المنطقة بالوادي، والسَّهل (يش ٨: ١٣-١٤)، كما يربط بين خروج «أهل عاي» و «بيت إيل» لمحاربتة (يش ٨: ١٧).

أمام هذا الدليل والفحص اللغوي للنص، يبدو أن اكتشافات «چوديث كراوس» و «چوزيف كولاواي» تتفق بصورة كبيرة مع السرد الكتابي في سفر يشوع، مما يعني أنه بمزيد من الفحص للنص الكتابي، ما كان يبدو أنه يناقضه قبلاً، صار الآن يتفق معه.



إشكالية أريحا

كان علماء الكتاب المقدس يفترضون صحة السرد الكتابي بخصوص غزو أريحا، إلى أن اكتشفت عالمة الآثار البريطانية «كاتلين كنيون» (Kathleen Kenyon)، سنة ١٩٥٨م تقريباً، أن المصريين هم من

يشوع- لم يكن لها وجود وقت دخول يشوع للأرض، لكنها كانت قد دُمّرت قبل وصول يشوع بقرون، في العصر البرونزي المبكر في القرن ال ٣٢ ق.م.، بحيث كانت المنطقة عبارة عن حطام وركام، ولم تكن مأهولة بأي سُكَّان تُذكر بين القرون ال ١٦-١٢ ق.م. إلا بعض القبائل القليلة، بلا ملك أو جيش منظم (Thom Stark, The Human Faces of God, 2011, 142). هذا الاكتشاف أكدته «چوزيف كولاواي» (Joseph Callaway) عالم الآثار الأمريكي، سنة ١٩٧٢م تقريباً، وهو أستاذ مسيحي محافظ بكلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية، مما جعلهم يجبرونه على التقاعد المبكر.

أمام هذا التحدّي الذي استمر لسنوات، اكتشف بعض الباحثين، من خلال التحليل اللغوي للنص، والتاريخي للمنطقة، أن كلمة «عاي» تعني في اللغة العبرية (لغة العهد القديم) حرفياً «كومة من الأنقاض»، وقد جاءت مُعرّفة بأداة التعريف «הַעַי» (يش ٨: ١).^١ والتي تعني: «الحطام» أو «الأنقاض»، مما يرجّح أنها تصف منطقة، أكثر من كونها مدينة. من جهة أخرى، فإن الكلمة العبرية «מֶלֶךְ» (ملك)، والمترجمة بالعربية «ملك»، يمكن أن تعني أيضاً «حاكم» أو «شيخ». (James K. Hoffmeier and Dennis R. Magary, eds., Do Historical Matters Matter to Faith?, pp. 370-71).

أيضاً بالنظر إلى منطقة عاي، نجد أنها

^١ حرف «ה» في العبرية يُنطق مثل حرف «هاء» في العربية، ويُترجم بأداة التعريف «ال»، وبالتالي فإن الكلمة العبرية «הַעַי» تعني «العاي»، أي: الحطام.

James K. Hoffmeier and Dennis R.)
(Magary, eds., 367).

أمام هذا الدليل الجديد، يبدو أن اكتشاف «كاثلين كنيون»، لا يناقض السرد الكتابي بصورة مباشرة، لأن حرق يشوع لأريحا، مع طقسها البارد، يبدو أنه قد طمس الدليل على ما فعله بها. لكن وجود بقايا الأموات والمقابر الجماعية وقت غزوه لها، ينفي أنها لم تكن مأهولة بالسكان وقت الغزو، كما كانت تعتقد «كاثلين». بالطبع، غياب الدليل الواضح، ليس سبباً يؤكد صدق الكتاب، لكن وجود المقابر الجماعية يجعلنا، على الأقل، لا نفترض أن الأدلة تناقض السرد الكتابي. مرةً أخرى نجد أنه بمزيد من الفحص للنص الكتابي، وعدم القفز لاستنتاجات مؤكدة قبل ظهور أدلة أركيولوجية جديدة،

دمروا أسوارها قبل وصول يشوع بنحو مائتي عام. ولا يوجد دليل أن أحداً كان يسكن المدينة من وقت تدميرها على أيدي المصريين، وحتى وصول يشوع إليها (Thom Stark, 142).

أمام هذا التحدّي الذي استمر لسنوات، اكتشف بعض الباحثين بقايا أموات وكأنها مقابر جماعية في منطقة أريحا، يقرب تاريخها جداً من التاريخ المقترح لغزو يشوع لها. مع الوضع في الاعتبار طقس أريحا البارد الممطر وبالأخص في الشتاء، ومع وصف سفر يشوع لحرق المدينة (يش ٦: ٢٤)، قد يشرح هذا غياب الدليل الواضح على ما حدث وقتها بالضبط، لأن الحريق عادةً لا يترك أثراً لما حرقه، والأمطار سوف تزيل بدورها آثار الحريق



قائمة المراجع العربية

كريستوفر ج. هـ. رايت، الإله الذي لا أفهمه: أسئلة في طريق الإلحاد، ط. ٣، ترجمة: هدى بهيج. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٥.

قائمة المراجع الإنجليزية

Collins, John J. *Introduction to the Hebrew Bible*, 2nd ed. MN: Fortress Press, 2014.

Finkelstien, Israel and Neil Asher Silberman, *The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts*. NY: Touchstone, 2002.

Hoffmeier, James K. and Dennis R. Magary, eds., *Do Historical Matters Matter to Faith? A Critical Appraisal of Modern and Postmodern Approaches to Scripture*. Wheaton, IL: Crossway, 2012.

Stark, Thom. *The Human Faces of God: What Scripture Reveals when it Gets God Wrong (and why Inerrancy Tries to Hide It)*. Eugene, OR: Wipf & Stock, 2011.

Walton, John H. *The Lost World of Genesis One: Ancient Cosmology and the Origins Debate*. Downers Grove, IL: IVP Academic, 2009.

Walton, John H. and J. Harvey Walton, *The Lost World of The Israelite Conquest: Covenant, Retribution, and the Fate of the Canaanites*. Downers Grove, IL: IVP Academic, 2017.

ما كان يبدو أنه يناقض السرد الكتابي قبلاً، صار الآن يقف جنباً إلى جنبٍ معه.

كيف نتعامل مع الإشكالية التاريخية، إذا؟

بالنظر إلى ما وصل إليه العلماء، سواء الكتابيين أو غيرهم، نجد أننا - أمام الإشكالية التاريخية - نملك بعض الدلائل التي ترجح صحة النص الكتابي، هذا لا يعني أننا قد توصلنا إلى حلول نهائية لكل الإشكاليات الخاصة بالمدن التي سبق وذكرناها، لكنه يعني أننا نملك من الأدلة ما يجعلنا منفتحين للبحث والتنقيب في الأدلة الجديدة.

إن كنا نتبع ما يقوله «كولينز»: «إن علم الآثار ليس علماً معصوماً، ونتائج دائماً مفتوحة للمراجعة في ضوء الاكتشافات الجديدة، لكن الباحث لا يستطيع إصدار الأحكام إلا بناءً على أفضل الأدلة المتاحة في هذه اللحظة.» (John J. Collins, 193)؛ فإننا - في ضوء الأدلة المتاحة في هذه اللحظة - يمكن أن نقول إن إشكالية عاي وأريحا قد عولجت بصورة كبيرة، ولا زلنا ننتظر نتائج البحث الخاصة ببقية المدن. مما يعني أننا لا يجب أن نتسرع وندافع عن الكتاب بطريقة أصولية، أو نجرف ونرفض شهادة الكتاب بطريقة ليبرالية، بل نصبر ونتعلم ونتنظر الاكتشافات الحديثة، كي نعرف نتائج الأبحاث الكتابية والأركيولوجية.

الحروب والأوبئة وعلامات نهاية الزمان ومجيء المسيح ثانية

مقدمة

إن الانشغال بعلامات نهاية العالم ومجيء المسيح ثانية، هو توجه إنساني ليس بجديد، بل ربما هو مرتبط بالطبيعة البشرية الساقطة والتي ترغب -من جهة- أن تحيا حياة فيها تحرر من كافة القيود، بما فيها قيود حياة الصلاح ومتطلبات القداسة، ومن الجهة الأخرى ترغب في تقليل مخاطر الدينونة لمواجهة مصيرها المحتوم بنهاية الحياة أو انقضاء الدهر.

لذا كان استفسار الإنسان عن طول الحياة المتاحة له فنجده يتساءل «عَرَّفْنِي يَا رَبُّ نَهَائِي وَمَقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ» (مز ٣٩: ٤). وربما بنفس الدافع جاء سؤال التلاميذ للرب يسوع



د.ق. عاطف مهني المعصراني

العالم، والاختطاف، والملك الألفي... إلخ، مع محاولة فهم التوجهات المختلفة في هذه العقيدة مثل الفكر التدييري والفكر المشيخي وغيرهما.

ولكني بحسب طبيعة تخصصي، أود أن أتناول الموضوع من مدخل تفسيري كتابي من أحد نصوص العهد الجديد التي يرى معظم العلماء أنها تتعلق بصورة أو بأخرى بنهاية الزمان ومجيء الرب يسوع ثانية. وبالطبع سيكون هناك استنتاجات لاهوتية وعملية من هذا المدخل الأقرب للاهوت الكتابي منه للاهوت النظامي.

ولما كانت نصوص العهد الجديد المتعلقة بنهاية الزمان ومجيء المسيح ثانية كثيرة (مت ٢٤؛ ٢٥؛ مر ١٣، لو ٢١؛ اكو ١٥؛ ١ تس ٤؛ ٥؛ ٢ تس ٢؛ ٢ بط ٣؛ سفر الرؤيا في معظمه، وغير ذلك) رأيت أن أركز على إنجيل متى الإصحاح ٢٤، والذي يشكل تعليماً مباشراً من السيد المسيح لتلاميذه وهو يجيب على تساؤلاتهم بشأن نهاية الزمان ومجيئه ثانية. هذا الإصحاح الطويل (٥١ عدداً) كتبت فيه دون مبالغة مئات التفسير والمقالات تحمل وجهاً نظراً متباينة كثيراً كما سنرى فيما يلي.

ويعتقد العديد من العلماء أن تعاليم الرسول بولس الاسخاتولوجية والمتعلقة بشكل خاص بمجيء المسيح ثانية في اكو ١٥، ١ تس، ٢ تس قد تأثرت كثيراً بتعاليم السيد المسيح المدونة في هذا الإصحاح والكتابات الموازية له في مر ١٣ ولو ٢١، ويظهر ذلك من ذكر بعض العلامات التي تسبق مجيئه مثل الضلالات والضيقات،

عن توقيت نهاية الزمان وموعد مجيئه «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ عَلَامَةٌ مَجِيئِكَ وَأَنْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» (مت ٢٤: ٣).

ومع كل موجة من الكوارث الطبيعية والأوبئة والحروب الطاحنة، لاسيما التي يكون لها آثار عالمية واضحة، تكثر التساؤلات إن كانت هذه هي علامات نهاية الزمان. وخلال السنوات الماضية على وجه التحديد تعرض العالم بأسره إلى وباء كورونا الذي لم يترك بقعة في العالم دون خسائر في أرواح بشرية وكوارث اقتصادية واجتماعية، ثم تلاها في الشهرين الأخيرين الحرب بين روسيا وأوكرانيا بتداعياتها الكثيرة ليس فقط على الدولتين المتحاربتين ولا حتى على دول قارة أوروبا التي تحتضن الدولتين جغرافياً، بل امتد الأثر الاقتصادي بالذات على كل دول العالم حتى دخلت بعض الدول الفقيرة في انهيار اقتصادي ومجاعات.

وفي هذه المقالة أود أن أتعرض لعدة تساؤلات أعلم أنها تتجدد كلما تعرض العالم إلى ضيقات وكوارث وحروب مثل: هل هذه هي علامات النهاية؟ هل ما نراه هو تحقيق للنبوات الاسخاتولوجية (أي المتعلقة بالأمور الأخيرة) وقرب مجيء المسيح ثانية؟ ماذا علينا أن نفعل ككنيسة أمام هذه العلامات؟

كيفية سنتناول الموضوع؟

من الممكن تناول موضوع الحروب والأوبئة وعلاقتها بنهاية الزمان من توجه لاهوت نظامي حيث نبحت عقيدة الإسخاتولوجي -أي الأمور الأخيرة- كالمعلقة بما بعد الموت، والأبدية، والمجيء الثاني، ونهاية

٤- ما هو البناء المنطقي لهذا الإصحاح؟
وإن كان الإصحاح يتناول كلاً من خراب
أورشليم والهيكل ونهاية الزمان ومجيء
الرب يسوع ثانية فهل من فاصل أو أي
رابط بين الموضوعين؟

للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها
أنصح القارئ بقراءة مت ٢٤ كله ثم متابعتي
في عرض أهم الآراء التي تناولت هذا
النص الهام بالتفسير ومدى نجاح أو فشل
تلك الآراء في تقديم شرح مقنع للإصحاح.
سأحاول بعد ذلك تقديم تفسيري الشخصي
للإصحاح مع شرح مختصر لكل قسم،
وأخيراً سأحاول الوصول إلى خلاصة
تجيب على التساؤل المطروح في عنوان
هذه الورقة عن علاقة الحروب والأوبئة
بنهاية الزمان وموقف الكنيسة من ذلك.

كيف تناول المفسرون هذا النص (مت ٢٤)؟

١- مفسرون تعاملوا مع النص على كونه
كله متعلقاً بنهاية الزمان ومجيء الرب
يسوع ثانية

هناك عدد من علماء العهد الجديد تعاملوا
مع مت ٢٤ على كونه كله وحدة واحدة يعلم
عن علامات نهاية الزمان ومجيء المسيح
ثانية، وعلى الرغم من اتفاقنا أن هناك
أجزاء غير قليلة في النص تتعلق بعلامات
نهاية الزمان، وأجزاء تحث على السهر
والاستعداد لهذا الحدث الهام، إلا أن هذا
التناول يتجاهل عدة أمور ويتسبب في عدة
مشاكل:

أ- هذا المدخل يتجاهل تساؤل التلاميذ

وبعض العلامات التي تصاحب مجيئه، مثل
حضور السيد في مجد مصحوباً بالملائكة
ومسبقاً بصوت البوق. وإذا أخذنا في
الاعتبار أن الرسول بولس ربما كتب رسائله
قبل كتابة الأناجيل، فلا يفسر هذا التشابه
بين ما كتبه بولس وما دونته الأناجيل إلا
كون تعاليم السيد المسيح كانت معروفة
ومحفوظة في التقليد الشفهي، الأمر الذي
يؤكد أصالتها وصحة نسبتها للسيد المسيح.

مت ٢٤: ١-٥١ / مر ١٣: ١-٣٧ / لو ٢١:
٣٦-٥

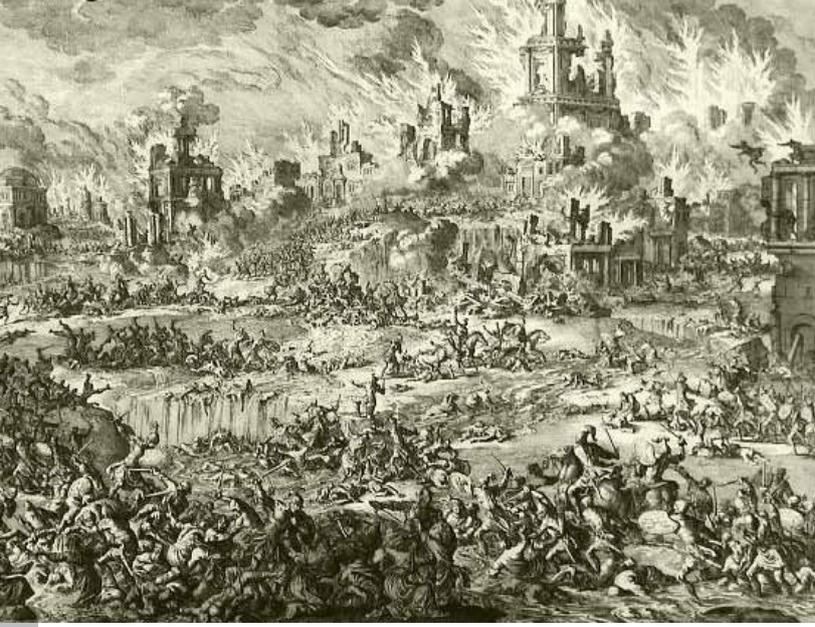
أولاً: صعوبات رئيسية موجودة في النص

بمجرد أن نبدأ في محاولة تفسير هذا
الإصحاح والنصوص الموازية له في مرقس
ولوقا، نصطدم بعدد من الأسئلة التي حيرت
العلماء والمفسرين كثيراً مثل:

١- هل هذا النص معنيٌّ بموضوع واحد أم
أكثر؟ هل هو معنيٌّ بنهاية الزمان ومجيء
المسيح ثانية؟ أم بخراب أورشليم
والهيكل؟ أم بالموضوعين؟

٢- لماذا تأتي بعض النبوات على لسان
السيد المسيح مؤكدةً سرعة وقوع
الأحداث في جيل مستمعيه من التلاميذ
(٣٤ع) ثم تأتي تحذيرات أخرى على
لسانه من تعجل المنتهى والضلال وراء
ادعاءات وقوع المجيء الثاني أو قرب
ذلك؟ (٦ع، ٢٣ع، ٣٦).

٣- ما هي رجسة الخراب التي تتبأ عنها
دانيال (مت ٢٤: ١٥، دا ٩: ٢٧؛ ١١:
٣١) وما هي علاقتها بخراب أورشليم
أو نهاية الزمان؟



الأول «متى يكون هذا» (٢٣ع) والمرتبط بالعددتين السابقين ١، ٢ المتعلقين بهيكل أورشليم «ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ لِكَيْ يَرُوهُ أَبْنِيَّةَ الْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يَتْرَكَ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ!» (مت ٢٤: ١، ٢).

ب- هذا المدخل يصطدم بالأقوال التي تؤكد سرعة وقوع بعض الأحداث حتى أن جيل التلاميذ المخاطبين سيعاصر تلك الأحداث والحروب. إن ربط هذا الأمر بالمجيء الثاني غير ممكن لذلك يلجأ أصحاب هذا الرأي إلى القول إن يسوع، أو كتاب الأنجيل، قد أخطأوا توقع توقيت نهاية الزمان؛ إذ كانوا يظنون أنه سيقع في جيلهم. بالطبع نحن لا نوافق على هذا الرأي لاسيما أن في النص -كما سنرى- ما يدل على خطأ هذا المدخل وذلك الاستنتاج.

٢- مفسرون تعاملوا مع النص على كونه كله متعلقاً بخراب أورشليم ودمار الهيكل

في مقابل الرأي السابق، تبنى بعض العلماء فكرة أن هذا النص كله يتعامل مع سؤال التلاميذ عن الهيكل وجمال بنائه وضخامة أحجاره ولما قال لهم السيد إنه سيزول ولن يُترك فيه حجر على حجر تساءلوا «متى سيكون هذا؟» وشجع هؤلاء المفسرون على تبني هذا الفكر اعتقادهم أن الأنجيل جميعاً قد كتبت بعد عام ٧٠م أي بعد خراب أورشليم.

مشاكل هذا الرأي:

أ. مثلما ركز المفسرون أصحاب الرأي الأول على جزء واحد من أسئلة التلاميذ وهو الجزء المتعلق بنهاية الزمان ومجيء الرب يسوع مهملين التساؤل الخاص بزمان خراب الهيكل، فعل علماء الرأي الثاني النقيض، مُركزين فقط على دمار الهيكل وخراب أورشليم، ومتجاهلين التعليم الذي يخاطب السؤال الثاني عن نهاية الزمان وموعد مجيء السيد.

ب. التشدد في هذا الرأي المدفوع بأن مت ٢٤ والنصوص الموازية قد كتبت بعد خراب أورشليم، وبالتالي فهي متأثرة بما حدث من حروب وخراب وتدنيس للهيكل بالأوثان (رجسة الخراب)، والضيق الذي واجهه سكان أورشليم من شدة الحصار الروماني وطوله (من عام ٦٧-٧١م). هذا الرأي في الواقع متأثر بميل هؤلاء العلماء لإنكار النبوات وعدم تفريقهم بين تاريخ تعاليم يسوع، وتاريخ تدوينها في الأنجيل، وتاريخ

من العلماء. وعلى الرغم من ترحيبنا بهذا المدخل التفسيري وتبنينا إياه، إلا أن التفاصيل التفسيرية لكل عالم لم تكن سهلة. فهناك صعوبة كبيرة في تقسيم الإصحاح وتحليل بنائه لمعرفة أية أجزاء تجيب على تساؤل خراب أورشليم والهيكل، وأيها تجيب على التساؤل المتعلق بعلامات مجيء المسيح ثانية. وفيما يلي أهم الآراء:

أ. هناك من اعتبروا مت ٢٤: ٤-٣٥ متعلقاً بخراب أورشليم بينما الأعداد من ٣٦-٥١ مع أجزاء من إصحاح ٢٥ متعلقة بعلامات المجيء الثاني

مشكلة هذا الرأي

هناك بعض الأقوال في كل جزء من هذا التقسيم ستفهم بشكل أكثر بساطة وتلقائية لو كانت تنتمي للقسم الآخر.

- فمثلاً ع ١٤ «ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى». لا يسهل أن تنتمي مع القسم الخاص بخراب أورشليم.
- بالمثل نجد أن عددي ٢٩، ٣٠ من الصعب وضعهم مع القسم الخاص بخراب أورشليم والهيكل: «ولوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء». لقد حاول هؤلاء العلماء تفسير التغيرات الكونية في الشمس والقمر والكواكب أنها سقوط ممالك، مع العلم أن هذه الظواهر دائماً ما صاحبت التعليم عن

خراب أورشليم. وقد سبق وأكدنا أن كتابات بولس في اتس، ٢٤ المتشابهة جداً مع مت ٢٤ ومتوازياته تؤكد صحة وصدق تعاليم السيد المسيح وكونها كانت معروفة لدى الكنيسة قبل تدوين الأناجيل، ومنها استقى الرسول بولس تعاليمه.

ج. هناك بعض التحذيرات الواردة في مت ٢٤ التي لا تنكرها عين مدقق والتي لا شك تتعلق بأمور مستقبلية لم تتم حتى الآن مثل التحذير من ضلال من يدعون أن المسيا هنا أو هناك أو مثل الحث والتشجيع على السهر وانتظار السيد كالعبد الأمين الحكيم أو مثل التأكيدات على أن هذه الحروب والأوبئة هي مجرد مبتدأ الأوجاع وأن المنتهى ليس بعد.

٣- مفسرون تعاملوا مع النص على كونه متعلقاً بخراب أورشليم ودمار الهيكل من جهة، ونهاية الزمان ومجيء السيد من جهة أخرى

لا شك أن هذا التوجه يحترم المقدمة التي وضعها البشير متى بعناية في بداية الإصحاح (مت ٢٤: ١-٣) والتي تتضمن بوضوح سؤاليين من التلاميذ للرب يسوع: الأول يختص بزمان تدمير الهيكل بحسب نبواته أنه لن يُترك فيه حجرٌ على حجرٍ إلا ويُنقض ٢٤، والثاني يتعلق بعلامات مجيئه وانقضاء الدهر ع ٣٤.

يتبنى هذا الرأي عددٌ من العلماء المحافظين المرموقين مثل R. T. France في تفسير كل منهما لإنجيل متى بالإضافة إلى الكثير غيرهم



الذي يسهل تفسيره إن كان يتكلم على الضيقات التي سيواجهها جيل التلاميذ واليهود عند خراب أورشليم.

• لذلك فإن بعض العلماء تبني فكرة أن متى ٢٤ قد صيغ بصورة تبادلية، تناول فيها السيد الحديث مكرراً عن خراب أورشليم ودمار الهيكل من جهة، وعلامات نهاية الزمان ومجيء السيد ثانية من جهة أخرى.

• وإن كان هذا الرأي يبدو منطقيًا للوهلة الأولى، لكنه يضع عبئًا كبيرًا على المفسر الذي عليه أن يقرر أي نصوص تتحدث عن خراب أورشليم، وأيها تتكلم عن المجيء الثاني، مع احتمال تكرار عملية التبادل بأن أعدادًا تعود مرة أخرى للحديث عن خراب أورشليم وهكذا.

مجيء المسيح ثانية، وأن ما حدث مع خراب أورشليم كان تشبيهاً أكثر لحكم الإمبراطورية الرومانية وليس بأي شكل إعلاناً عن سقوطه، وفي المقابل لم يكن خراب أورشليم يمثل سقوطاً للأمة اليهودية التي كانت بالفعل «ساقطة» ترزح تحت وطأة الاحتلال.

• كذلك أيضاً نجد أن ٣١ع يصعب فهمه تحت القسم الخاص بخراب أورشليم «فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح». من الأسهل استيعاب هذا العدد لو كان ضمن القسم الخاص بالمجيء الثاني.

• تزيد الصعوبة أنه بعد الأعداد ٢٩-٣١ التي يبدو أنها متعلقة بالمجيء الثاني يأتي ٣٤ع مؤكداً أن «لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله»! الأمر

- ٢- مبتدأ الأوجاع (مت ٢٤: ١-١٤)
- التحذير من توقعات قبل أوانها مثل الكلام المضلل عن أن المسيح موجود هنا أو هناك (٤-٥).
 - لا بد أن تحدث حروب وصراعات بين الأمم وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل وكوارث طبيعية ولكن هذا مجرد مبتدأ الأوجاع (٦-٨).
 - أيضًا ستقع ضيقات على أتباع المسيح لأجل اسمه نتيجة اضطهادات البعض وخيانات البعض (٩-١٠).
 - ستكثر التعاليم المضلة والنبوات الكاذبة ويزداد الشر وتضعف محبة الكثيرين (١١-١٢).
 - لكن من يصبر متمسكًا بإيمانه فسيخلص (١٣).
 - هذه الأمور كلها لا تعني قرب المنتهى، الذي لن يحدث إلا بعد أن يُكرز ببشارة الملكوت في كل المسكونة (١٤).
- ٣- سقوط أورشليم وخراب الهيكل (٢٤: ١٥-٢١)
- رجسة الخراب (تدنيس الهيكل بالأصنام) علامة على خراب أورشليم والهيكل (١٥).
 - هروب المحاصرين في أورشليم إلى البراري والجبال في استعجال قد لا يتمكن الجميع منه (١٦-١٧).
 - الهروب من الهلاك سيكون أصعب للحبالي والمرضعات وسيكون أشق إن

• هذا الأمر أيضًا يصعب تخيله مع بشير مثل متى مشهود لأسلوبه بالبناء السهل والمنطقي، مجتمًا التعاليم المتعلقة بأمر ما معًا قبل أن ينتقل إلى موضوع آخر.

كيف سنتعامل إذاً مع تقسيم هذا الإصحاح وبنائه؟

أرى أن هناك وجهة في فكر التبادلية، أي أن مت ٢٤ يتبادل ويتناوب الحديث عن الأمرين معًا، لكنها تحتاج إلى حرص في التطبيق. فهناك تركيز -مما لا شك فيه- على كل سؤال على حدة، ولكن في نفس الوقت ترد تحذيرات من خلط الأمور ما بين خراب أورشليم ونهاية الزمان، وتحذيرات من استعجال حدث قبل الأوان بسبب الربط الشديد في العقلية اليهودية بين خراب الهيكل أو أورشليم الذي قد يستدعي تدخلًا عاجلاً بمجيء المسيا للتعامل مع هذه الكوارث.

مقترح لتقسيم مت ٢٤ كمدخل لتفسيره

أرجو من القارئ العزيز تتبع النص الكتابي في ضوء هذا التقسيم المقترح:

١- القرينة التاريخية (مت ٢٤: ١-٣)

- يسوع وتلاميذه يغادرون الهيكل والتلاميذ يسيرون إلى روعة أبنية الهيكل (١).
- يسوع يتنبأ بدمار الهيكل (٢).
- التلاميذ يتساءلون عن موعد ذلك وأيضًا عن علامات مجيء المسيح وانقضاء الدهر (٣).

- حدث في شتاء أو سبت (١٩ - ٢٠).
- هذا الضيق سيكون على معاصريه أعنف من كل ما عرفوه في تاريخهم (٢١).
- ٤- تحذيرات من المسحاء الكذبة المستغلين لفترة مبتدأ الأوجاع (مت ٢٤: ٢٢-٢٨)
- هنا أتبع رأي D. A. Carson & David Wenham في أن هذا الجزء من الأسهل فهمه بالارتباط بمبتدأ الأوجاع الذي يمثل تمهيداً عاماً للمختارين ودعوة عامة لهم لاحتمال الآلام وعدم الانخداع بضلالات مسحاء وأنبياء كذبة من خلال ما يقدمونه من نبوات ووعد كاذبة.
- الله سيتدخل لتقصير زمن الأوجاع [في كل زمن] (٢٢).
- لا تتساقوا وراء ادعاءات المسحاء والأنبياء الكذبة حتى لو كانت مصحوبة بآيات وعجائب (٢٢-٢٦).
- كما أن البرق لا يمكن أن تخطئه العين، هكذا سيكون المجيء الحقيقي لابن الإنسان (٢٧).
- وكما أن العين لن تخطئ أسراب النسر المنقضة على فريسة، هكذا سيكون المجيء الحقيقي للمسيح واضحاً تماماً (٢٨).
- ٥. مجيء ابن الإنسان (مت ٢٤: ٢٩-٣١)
- تشير الأعداد الثلاثة هذه إلى علامات مجيء ابن الإنسان (السؤال الثاني للتلاميذ) وليس مجرد تدخله في ضيقات أورشليم وخراب الهيكل عام ٧٠م.
- اللغة هنا تتسق مع لغة المجيء الثاني في النصوص الموازية مر ١٣: ٢٤-٢٧، لو ٢١: ٢٥-٢٨، بالإضافة إلى بعض نبوات العهد القديم مثل نبوة زكريا عن نوح الأمم وصوت البوق (مت ٢٤: ٣٠، ٣١).
- ظهور علامة ابن الإنسان، ربما يقصد بذلك منظر المجد المصحوب بالملائكة والبوق (٣١).
- ٦. إذا، استعدوا لمبتدأ الأوجاع مثلما يتأهب الناس للصيف متى رأوا العلامات المبشرة به (مت ٢٤: ٣٢-٣٥)
- تعلموا إذاً الدرس: كما تتأهبون لقدم الصيف عندما ترون شجرة التين بدأت تورق، هكذا استعدوا لمبتدأ الأوجاع واعلموا أنها على الأبواب عندما ترون هذه العلامات كلها تتحقق (٣٢-٣٣).
- هذا الأمر سيتم قريباً في جيلكم (٣٤-٣٥).
- ٧. ضرورة الاستعداد الدائم لأن المجيء الثاني مباغت (مت ٢٤: ٣٦-٥١)
- لأن هذا الوقت بالتحديد لا يعلمه إلا الله الأب (٣٦).
- لا تكرر تجربة الناس أيام نوح، حيث كانوا مشغولين بروتين الحياة عن إنذارات نوح حتى وقع الطوفان.
- يبدو أن الأمور ستتكرر مع مجيء ابن الإنسان بين المستعدين والغافلين (٤٠-٤١).



- اسهروا متعلمين من مثل رب البيت والسارق (٤٢-٤٤).
 - استعدوا كعبيد أمناء للسيد متعلمين من مثل رب البيت والعبد الأمين الموكل على باقي الخدم (٤٥-٥١).
- ختام:

لهم هو «الضيقة العظيمة» ويمكن لأي جماعة في الوقت المعاصر أن تمر بهذه الخبرة القاسية، الأمر الذي نراه مع دول وشعوب تعرضت وتعرض للتدمير والتهجير والاحتلال من دول أخرى.

- تتكرر آلام الحروب والأوبئة والكوارث بشكل عام ومكثف وكذلك غيرها من العلامات قبل انقضاء الدهر ومجيء السيد المسيح ثانية.

- إن إيمان الكنيسة بمجيء المسيح ثانية هو بمثابة حقيقة ثابتة تشكل عقيدة رئيسية من المهم أن لا تبرح عقل الكنيسة ولا وجدانها أبداً.

- على الرغم من كون مجيء المسيح حقيقة مؤكدة تسبقه علامات وضيقات يتكرر بعضها في كل عصر، إلا أن موعد هذا المجيء بالتحديد لا يعلمه إلا الأب وحده.

ثانياً: تحذير من مخاطر متوقعة

- هناك خطران يهددان الكنيسة بنفس القدر: أولها خطر الاستهتار بعلامات الزمان المنبهاة لقرب مجيء الرب نتيجة التعود على أخبار الحروب والأوبئة والكوارث على مر التاريخ دون حدوث المجيء الثاني. هذا الاستهتار بعلامات

هل الأوبئة والحروب المعاصرة هي تحقيق لعلامات انقضاء الدهر ومجيء المسيح ثانية؟ ماذا يفعل المؤمنون مع مثل هذه الظواهر؟

هذه الدراسة لإنجيل متى ٢٤، على الرغم من عدم كفايتها على المستويين التفسيري واللاهوتي، إلا أنها يمكن أن تقود الكنيسة إلى عدة دروس أضعها تحت ثلاثة أقسام:

أولاً: حقائق مؤكدة

- يتضح من دراستنا أن الحروب والأوبئة والكوارث الطبيعية والاضطهاد هم جزء لا يتجزأ من خبرة البشرية منذ سقوطها وحتى انقضاء الدهر.

- لعل ما اختبره التلاميذ من ضيق واضطهاد مع سيدهم ثم بعد صعوده كان بمثابة تمهيد لما ستواجهه الكنيسة كل يوم من ضيقات واضطهادات وأخبار حروب وشرور تتدرج بوجه عام تحت مصطلح «مبتدأ الأوجاع».

- عندما تتفرد الآلام والضيقات بجماعة محددة أو شعب محدد فيصيبهم القتل والخراب والتدمير والتشريد مثلما حدث مع الشعب اليهودي في حصار أورشليم لعدة سنوات انتهت بسقوط المدينة وتدمير الهيكل فإن ذلك بالنسبة

والكوارث والأوبئة لا تكون بقضاء الوقت في البحث إن كانت هذه هي علامات مجيء السيد وانقضاء الدهر أم لا، بل تكون بالسهر والصلاة وممارسة حياة الطهارة والقداسة حتى متى أظهر المسيح لا نخجل منه في مجيئه (ايو ٢: ٢٨؛ مت ٢٥: ١-١٢).

• إن الكنيسة الأمينة لسيدها لا بد أن تسلك سلوك العبد الأمين الحكيم الموكل بمهام معينة. فعليها أن تقوم بما كلفها سيدها بكل أمانة وكفاءة، مستثمرة كل هبات السيد وعطاياه لها في تحقيق مشيئته من الكرازة ببشارة الملكوت للخليقة كلها، وإعداد تلاميذ له (مت ٢٥: ١٤ - ٣٠).

• إن كنيسة المسيح لا بد أن تتوقع أن في العالم سيكون لها ضيق ولكن عليها أن تثق أن سيدها قد غلب العالم (يو ١٦: ٣٣)، وأنه يعد بالخلاص لكل من يصبر معه إلى المنتهى (مت ١٠: ٢٢؛ ٢٤: ١٣).

المراجع

Carson, D. A. Matthew in The Expositor's Bible Commentary, Frank E. Gaebelin (ed.). Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1984.

France, R. T. Matthew, Tyndale New Testament Commentary, Leon Morris (ed.). Leicester: IVP; Grand Rapids, 1985.

Hagner, Donald A. Matthew 14-28, Word Biblical Commentary, Ralph Martin (ed.). Dallas: Word Books Publisher, 1995.

Wenham, David. «This generation will not pass...». A Study of Jesus' Future Expectation in Mark 13, pp. 127-150 in H. H. Rowdon (ed.) Christ the Lord: Studies in Christology presented to Donald Guthrie. Leicester: IVP, 1984.

«The Rediscovery of Jesus' Eschatological Discourse,» in Gospel Perspectives ٤. Sheffield: JSOT Press.

الزمان قد يعرض الكنيسة لمصير الناس أيام نوح حيث كان الناس يزوجون ويتزوجون وينشغلون بروتين الحياة مهملين تحذيرات نوح بالدينونة حتى جاء الطوفان وأهلك الجميع. لذلك من المهم أن يستوعب الإنسان أن النهاية قد تحدث بموته أو بضيقات عظيمة لجماعته وشعبه أو بمجيء الرب. أما الخطر الثاني الذي لا يقل خطورة عن الخطر الأول فهو الهوس بالانشغال بعلامات الزمان ومحاولة تفسير كل كارثة طبيعية أو وبأ أو خطر أو حرب بأنه علامة مؤكدة لمجيء المسيح. هذا الهوس يشغل الكنيسة في مرات كثيرة ويشتها، وربما يشلها من الخوف ويحرمها من القيام بإرساليتها.

• يحذرنا الكتاب أيضاً من الادعاءات والضلالات المظهرية التي قد تُقدم للناس أعمالاً مبهرة، وتستغلها كآيات ودلائل أن المسيح هنا أو هناك.

• يحذرنا الكتاب أيضاً من الانشغال بالموعد المحدد لمجيء المسيح (والمؤكد أنه في علم الآب وحده) عن الاستعداد لمجيئه. هذا يشبه إنساناً ينتظر ضيفاً عزيزاً عليه، وبدلاً من أن يستثمر الوقت في ترتيب البيت وإعداد الضيافة اللازمة، يقف كل الوقت في شرفة منزله ليراقب متسائلاً: «هل وصل الضيف أم لم يأت بعد؟».

ثالثاً: حث وتشجيع على الموقف

الصحيح

• إن المواجهة الصحيحة للحروب

الأخلاق والحرب

في ليلة عيد الميلاد، حين يُغني
المسيحيون «حل في الأرض سلاماً ...
واتحاداً ووثام» (نظم المزامير، ترنيمة ٢
في الملحق)، اندلعت في عام ١٩١٤ حرب
عالمية بين مسيحيي أوروبا مقسمة إياها
وقاتلة أبناءها، لكن الجنود لتدنيهم
حرصوا على الاشتراك في عشاء الرب
وسط الحرب (Weintraub, Silent Night,
4, 2001). وفي ليلة ميلاد أخرى في شيلي
في ثمانينيات القرن العشرين، بعد أن
اشترك سياسيون مسيحيون في عشاء
الرب متعهدين بإنهاء عهد الصراعات
والعنف، انقلب بعضهم على بعض خائنين
عهدهم الذي قطعوه حول مائدة الرب.
وتقريباً عند بداية الصوم الكبير في عام
٢٠٢٢، اقتحم فلاديمير بوتين المسيحي
أوكرانيا المسيحية هادماً إياها وطارداً
أهلها من بيوتهم. ويبدو أن بوتين سيحتفل
بخميس العهد أثناء قصفه لأوكرانيا.



د. ق. هاني يوسف قُسطندي حنا

يسوع. لكنَّ اللهَ قد أقرَّ طريقَ المسيحِ يسوعِ إذْ أقامَهُ مِنَ المَوْتِ، والمسيحُ الآنَ حاضرٌ في الكنيسةِ وفي العالمِ. فبالنَّظَرِ إلى الماضي، يَرى المسيحيونَ أنَّ حياةَ المسيحِ ومَوْتَهُ كانا تحقيقًا لأمانةِ اللهِ لِعَهْدِهِ مَعَ شَعْبِهِ، وَمِنْ خِلالِ هذا الشَّعْبِ مَعَ كُلِّ البَشَرِ. وبالنَّظَرِ إلى المُسْتَقْبَلِ، يَرى المسيحيونَ كُلِّ ما فَعَلَهُ يسوعُ باعْتِبَارِهِ تَوْقُوعًا لَوَليمةِ مَسِيحانِيَّةٍ عَظيمةِ في نِهايةِ التَّاريخِ حينَ يَجْمَعُ اللهُ البَشَرِيَّةَ السَّاقِطَةَ وَيَشْفِي الخَلِيقَةَ الكَسِيرَةَ مِنْ خِلالِ شِركَةِ وَحدةِ ملكوتِ اللهُ الأَبديِّ (رو ٨: ٢١-٢٣؛ رؤ ١٩: ١-١٠؛ رؤ ٢١: ١). وبالنَّظَرِ إلى الحاضرِ، يَرى المسيحيونَ ضَعْفَ العالمِ وانكساره. لَكِنَّهُم يَرَوْنَهُ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ والرَّجَاءِ. فَكَمَا يَنْكَسِرُ الخَبْزُ أَمَامًا في مَائِدَةِ عَشَاءِ الرَّبِّ، اشْتَرَكَ اللهُ في الانكسارِ البَشَرِيِّ مُفْسِحًا مَكَانًا في الزَّمَنِ كي نَتَّحِدَ بِاللَّهِ وَبِبَعْضِنَا البَعْضَ في شِركَةِ شَافِيَةٍ. (Cavanaugh, Torture and Eucharist, 1998 222-34)

والاشتراكُ في مَائِدَةِ عَشَاءِ الرَّبِّ لَهُ تَضْمِينَاتٌ جَادَةٌ. فَمَنْ يَشْتَرِكُ فِيهَا هُوَ مُتَضَمَّنٌ فِي دِينَامِيكِيَّتِهَا، أَيَّ فِي كَيْفِيَّةِ مُنَادَاةِ يسوعِ بِمَلَكُوتِ اللهُ (Spohn, Go and Do Likewise, 1999, 166). فعندما جَمَعَ يسوعُ تلاميذهَ حَوْلَ المَائِدَةِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِهَدَفِ تَحْقِيقِ العَدْلِ عَنِ طَرِيقِ تَشْكِيلِ هُويَّتِهِم بِكَيْفِيَّةِ تَتَسَمُّ بِتَأْمِينِ الذَّاتِ الَّتِي نَرَاهَا فِي مُعْظَمِ التَّحَالُفَاتِ. فَعَوُضًا عَنِ



من الواضح أنَّ المسيحيين عندما يجتمعون حَوْلَ مَائِدَةِ رَبِّهِمْ، هناك أشياء كثيرة هُمْ لَا يُدْرِكُونَهَا. ففي كلِّ حالةٍ مِنَ الحَالَاتِ الثَّلَاثِ السَّابِقَةِ، واضحٌ أَنَّ هناكَ شَيْئًا غَرِيبًا يَصِلُ إِلَى حَدِّ التَّنَاقُضِ بَيْنَ العَقِيدَةِ والأَخْلَاقِ. إِنَّ عَشَاءَ الرَّبِّ يُخَاطَبُ الضَّمِيرَ المَسِيحِيَّ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ الجَدَلِ الطَّوِيلِ حَوْلَ مَدَى مُلَائِمَةِ الاِشْتِرَاكِ فِي الحَرْبِ، مَا زَالَ يَشُوبُ الشُّكَّ الضَّمِيرَ المَسِيحِيَّ حَوْلَ هَذَا الأَمْرِ. وَذَلِكَ حَتَّى فِيمَا يَتَعَلَقُ بِمَا يُسَمَّى «الحَرْبُ العَادِلَةُ».

إِنَّ كُلَّ تَارِيخِ الخِلاصِ يَتَقَارَبُ حَوْلَ مَائِدَةِ عَشَاءِ الرَّبِّ الَّتِي يُعْلَنُ فِيهَا هَذَا الخِلاصُ. فِي كَسْرِ الخَبْزِ والشَّرْبِ مِنَ الكَأْسِ نَفْسِهَا، يَتَذَكَّرُ المَسِيحِيُّونَ وَيَشْتَرِكُونَ فِي الحَدَثِ المَرَكِزِيِّ لِإِيْمَانِهِمْ. فَالمَسِيحُ يسوعُ تَأَلَّمَ وَمَاتَ فِي نِهايةِ حَيَاةِ وَخِدْمَةِ نَادَى فِيهَا بِمَلَكُوتِ اللهُ، مُعْطِيًا حَيَاةَ اللهُ لِلآخَرِينَ وَفَاضِحًا مَظَالِمَ القُوَى والسُّلْطَاتِ الَّتِي تَتَحَالَفُ حَوْلَ ظَنٍّ وَاهِمٍ بِأَنَّهُ يُمَكِّنُ لِلإنْسَانِ تَأْمِينَ حَيَاتِهِ بِطَرِيقِ آخِرِ سِوَى المَسِيحِ



الانضمام للخدمة العسكرية واعتقدوا أن نبؤات إيش ٢ ومي ٤، التي تتحدث عن عصر تكف فيه الأمم عن الحروب، هي نبؤات كانت تتحقق في حياة الكنيسة آنذاك (Kreider, The Change of Conversion and the Origin of Christendom, 1999, 27). ويلجأ السلاميون في إثبات وجهة نظرهم إلى أمثلة تاريخية نجحت فيها السلمية في تحقيق النصر في صراعات هامة-مثل حصول الهند على استقلالها بعد نضال لا عنفي بقيادة غاندي، وحصول الأمريكان من أصل أفريقي على حقوقهم المدنية بقيادة مارتين لوتر كينج، والتخلص من التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا بقيادة نيلسون مانديلا، وتحول الفيليين إلى الديموقراطية، والتخلص من الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. وكل هذه الأمثلة وغيرها تثبت أن السلمية استراتيجية سياسية قوية وليست مجرد أخلاق فردية مثالية. كما يحتاج السلاميون بأن العنف يولد عنفا، الأمر الذي حتما

وَضَع حَوَاجِزَ تَبَعْدُ الْمَنبُودِينَ وَالْأَعْدَاءِ، قَدْ دَعَاهُمْ لِيَتَعَشَوْا مَعَهُ. وَبَدَلًا مِنْ أَنْجَازِ رِسَالَتِهِ عَنْ طَرِيقِ تَهْدِيدِ الْآخَرِينَ بِأَخْذِ حَيَاتِهِمْ، أَرَانَا طَرِيقَ اللَّهِ بِتَقْدِيمِهِ حَيَاتَهُ لِلْآخَرِينَ. وَخِلَافًا لِتَوَجُّهِ شَيْطَانَةِ الْغُرَبَاءِ، قَدْ أَحَبَّ الْأَعْدَاءِ. لَقَدْ حَقَّقَ يَسُوعُ الْأَمَانَ عَنْ طَرِيقِ كَرَمِ الضِّيَافَةِ لَا عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِبْعَادِ، وَعَنْ طَرِيقِ الْمَخَاطَرَةِ لَا عَنْ طَرِيقِ الْخَوْفِ. فَهُوَ لَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا، بَلْ قَدْ مَاتَ. وَهُوَ الْآنَ حَيٌّ. هَذَا هُوَ إِقْرَارُ الْمَسِيحِيِّينَ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَشْتَرِكُ الْمَسِيحِيُّونَ فِي مَائِدَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ وَيَجِدُونَ حَيَاةً فِي حَيَاتِهِ الَّتِي هِيَ حَيَاةُ اللَّهِ الْوَاحِدِ الثَّالُوثِ، فَهُمْ بِالتَّبَعِيَّةِ مُتَضَمِّنُونَ فِي طَرِيقِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ الْحُبِّ وَاللَّاعْنَفِ.

حاليًا هناك نظريتان مسيحيّتان أساسيتان فيما يتعلق بموضوع الحرب: النظرية الأولى هي «السلمية أو السلمية pacifism»، والنظرية الثانية هي «الحرب العادلة just war». وتتفق النظريتان على أن الحرب ليست خيارًا محمودًا من المنظور المسيحي، لكنهما تختلفان حول عمّا إذا كانت هناك ظروف أو شروط يمكن معها اتخاذ قرار الاشتراك في حرب.

فالسلمية بصفة عامة ترفض اختيار الحرب رفضًا تامًا تحت أي ظرف. وعلى الرغم من أن مسيحيي القرون الثلاثة الأولى لم يكونوا سلاميين بالمعنى الحديث، قد اعتبروا أي سفك للدماء خطية. ولذا رفضوا

المسيحيون لِيَسُوا جَمَاعَةً مِّنَ السُّذَجِ الَّذِينَ يَعتقدون أَنَّ كَلَّ الصَّرَاعَاتِ سَتَحَلُّ بِسَهولَةٍ بِوَسَائِلٍ لَاعُنْفِيَّةٍ. فَهَمَّ يَثِقُونَ بِالمسيحِ الَّذِي يَتَعَلَّمُونَهُ فِي الإنجيلِ وَيَقَابِلُونَهُ بِالنِّعْمَةِ فِي مَائِدَةِ عَشَاءِ الرَّبِّ، وَالَّذِي يُدْرِبُهُمْ عَلَى تَوَقُّعِ اللّامْتَوَقَّعِ. وَبِمَقْتَضَى أَنَّهُمْ مُتَضَمِّنُونَ فِي الطَّرِيقِ اللّامْتَوَقَّعِ الَّذِي أَعْلَنَ بِهِ المَسيحُ مَلَكُوتَ اللَّهِ، قَدِ حُرِّرُوا لِكِي يُخَاطِرُوا بِالحياةِ هُنَا وَالآنَ طَبَقًا لِهَذَا المَلَكُوتِ.

إِنَّ بَعْضًا مِمَّنْ يَتَبَنُّونَ نَظْرِيَّةَ «الحربِ العادلةِ» لَا يَسَعُونَ فِي الحَقِيقَةِ لِأَنَّ يَجِدُوا مُبَرَّرَاتٍ لِلحربِ، بِقَدْرِ أَنَّ يَضَعُوا حُدُودًا لِلعُنْفِ المَرْتَبِطِ بِالحَرْبِ. وَنَظْرِيَّةَ «الحَرْبِ العَادِلَةِ» تَقُولُ إِنَّ مَن يَخُوضُ حَرْبًا عَلَيهِ اسْتِيفَاءُ المَعَاييرِ التَّالِيَةِ: (١) أَنْ يَكُونَ لِلحَرْبِ سَبَبٌ مُعْلَنٌ بِدُونِ أَجْنَدَاتِ حَفِيَّةٍ؛ (٢) أَنْ يَكُونَ هَذَا السَّبَبُ عَادِلًا، مِثْلًا لِلرِّدِّ عَلَى

يَدْفَعُ أَطْرَافَ الصَّرَاعِ إِلَى الدُّخُولِ فِي دَائِرَةٍ مُفْرَعَةٍ تُسَبِّبُ دَمَارًا أَشْمَلَ حَتَّى لو كَانَتْ وِرَاءَ هَذِهِ الحَرْبِ تَبَرِيرَاتٌ عَادِلَةٌ أَوْ نَوَايَا حَسَنَةً. كَمَا إِنَّ تَكْلِفَةَ الاسْتِعْدَادِ لِلحَرْبِ، حَتَّى مَن دُونَ الدُّخُولِ فِيهَا، تُمَثِّلُ فِي حَدِّ ذَاتِهَا نَزِيفًا اِقْتِصَادِيًّا لِتَأْثِيرِهَا السَّلْبِيِّ عَلَى الأَنْشِطَةِ الإِنْتاجِيَّةِ لِلبِلَادِ. فَإِنَّ اخْتِيَارَاتِ الحَرْبِ تُمَثِّلُ حُلُولًا قَاصِرَةً الأَمَدِ، وَتَنْتُجُ عَنْهَا مُشْكَلاتٌ اِجْتِمَاعِيَّةٌ مُعَقَّدَةٌ يَطُولُ أَمَدُهَا (بندلي، نِضالُ عُنْفِيٍّ أَوْ لَاعُنْفِيٍّ؟ لِإِحْصَاكِ العَدَالَةِ، ١٩٨٨، ٢٧-٣٥، ١٢٣-٦٧). لَكِنَّ السَّلَامِيَّينَ لَا يَبْنُونَ رَفْضَهُمُ لِلحَرْبِ بِشَكْلِ رَئِيسِيٍّ عَلَى هَذِهِ الأَسْبَابِ. فَالمَوْقِفُ السَّلَامِيُّ مُؤَسَّسٌ عَلَى حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَقِيَامَةِ يَسُوعِ المَسيحِ الَّذِي فِيهِ بَيَّنَّ اللَّهُ أَنَّ تَصْحِيحَ الأَوْضَاعِ لَا يَنْبَغُ مِنْ مَنطِقِ الأَسْبَابِ وَالنَّتَائِجِ، بَلْ مِنْ المَنطِقِ اللّامْتَوَقَّعِ لِلصَّلِيبِ وَالقِيَامَةِ (Yoder, When War is Unjust, 1996, 204). وَالسَّلَامِيُّونَ



للقاعدة الأخلاقية. بكلمات أُخْرَى، تُحاولُ نظرية «الحَرْبِ العادلةة» أن تُصِفَ ديناميكيَّةَ هذا الاستثناء الحتمي، ولكنَّ بِكَيْفِيَّةٍ تَحْتَرَمُ المقياسَ المَسِيحِيَّ الَّذِي يُنْبِرُّ على أَهْمِيَّةِ الحِفاظِ على الحَيَاةِ وَمَحَبَّةِ القَرِيبِ وأيضاً مَحَبَّةِ الأعداءِ عَن طَرِيقِ احْتِرامِ كَرَامَتِهِمُ الإنسانيَّةِ في وَقتِ الحَرْبِ. إنَّ المَسِيحِيِّينَ يَعيشونَ في مَرَحَلَةٍ مُتوسِّطَةٍ بَينَ إعلانِ مَلَكوتِ اللهِ في المَسِيحِ يَسوعَ واكْتِمَالِ إتيانِ هذا المَلَكوتِ. فالْمَسِيحُ المُقَامُ حاضِرٌ مَعنَا بِالرُّوحِ القُدُسِ في مائدةِ عِشاءِ الرَّبِّ، لَكِنَّا ما زلنا نَحيا في فَتْرَةٍ مُتوسِّطَةٍ بَينَ قِيامَةِ يَسوعَ والقِيامَةِ النَّهائِيَّةِ حِينَ يَخْلُقُ اللهُ سَماءً وأرضاً جَدِيدَتَيْنِ (إش ٦٥: ١٧؛ رؤ ٢١).

إنَّ القَراراتِ الأخلاقيةَ دائِماً يَشوبُها قَدْرٌ مِنَ التَّعْقِيدِ، وهذا التَّعْقِيدُ يَتَضاعَفُ فَلِكِيا في حَالةِ قَرارِ الحَرْبِ. ولِتوضيحِ هذا التَّعْقِيدِ، لِنأخُذْ مَثَلاً القَرارَ العَسْكَرِيَّ بِشأنِ أدولفِ هِتْلَرِ ولِنُحَلِّلهُ في إطارِ نَظريَّتِي السَّلامِيَّةِ والحَرْبِ العادِلةِ. فَمِنَ نَاحِيَةِ، يَبْدو أن شَنَّ الحَرْبِ على هِتْلَرِ كانَ ضَروريًّا لَمَنعِ شَرِّ أَفْطَحِ هو اسْتِمْرارِ النَّازِيِّ في قَتْلِ مَلايينَ البَشَرِ. وَمِنَ نَاحِيَةِ أُخْرَى، هِتْلَرُ نَفْسُهُ هو نَتاجُ قَرْنٍ مِنَ التَّسْلِيحِ في أورِيا. كما إنَّ قَرارَ مُحارَبَةِ هِتْلَرِ تَطَلَّبَ تحالُفاتٍ أدَّتْ إلى تَوَطُّيدِ قُوَّةِ الاتِّحادِ السُّوفِييَّتِيِّ وحُدوثِ الحَرْبِ الباردةِ واَفْتِتاحِ عَصْرِ مِنَ الرَّعْبِ النَّوَوِيِّ. وَيُشيرُ هذا التَّعْقِيدُ إلى حَقِيقَةِ أنَّ القَرارَ الأخلاقِيَّ ليسَ فقط يَصنَعُهُ البَشَرُ.

شَرٌّ عَلَنِيٌّ شَدِيدٌ؛ (٣) أن تكونَ الحَرْبُ هي المَلادِ الأخير؛ (٤) أن يكونَ نِجاحُ الحَرْبِ أَمراً مُحْتَمَلاً، وأن تكونَ لنتيجةِ الحَرْبِ المَرَجُوَّةُ قِيَمَةٌ أَكْبَرُ مِنَ تَكْلِفَةِ الدِّمارِ النَّاتِجِ عَن هذه الحَرْبِ. فلا تكونَ الحَرْبُ خِسارةً فظيعةً للأرواحِ وإهداراً فادِحاً للوقتِ والمَصادِرِ؛ (٥) أن تكونَ هناكَ شَرعيَّةٌ لِمَن له سُلْطَةٌ أَخَذَ قَرارَ الحَرْبِ، وأنَّ يَكُونَ قَدْ نُصِبَ لخدمَةِ الشَّعبِ لا لخدمَةِ مَصالِحِ شَخْصِيَّةٍ؛ (٦) أن يتمَ تَأْمينُ المَدَنِيِّينَ، فلا يَمسُّهمُ سُوءٌ؛ (٧) أن تَسْتَمِرَّ النِّوايا الصَّالِحَةُ حَتَّى نَهايةِ الحَرْبِ، أي أن تَسْتَمِرَّ الحَرْبُ حَتَّى نَهايتها مَدفوعَةً بِالرَّغْبَةِ في تَحقيقِ السَّلامِ والعَدْلِ لا الانتِقامِ والكِراهِيَةِ. (سُتوت، المَسِيحِيَّةُ والقَضايَا المُعاصِرَةُ، ١٩٩٠، ٨٨-٩٦).

وَمَنْ يُدَقِّقُ، يُلاحِظُ أنَّ هذه المَعاييرَ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الفِطْرَةِ السَّليمةِ لا مِنَ تَعاليمِ المَسِيحِ. وقد يَكُونُ هذا هو السَّبَبُ الرَّئِيسِيَّ وراءَ اسْتِمْرارِ وتَطوُّرِ نَظريَّةِ «الحَرْبِ العادلةة» عَبرَ العُصورِ. وَيَرى مُفَكِّرونَ مَسِيحِيَّونَ أنَّ المَسِيحِيِّينَ عَلِيهِمُ أن يَنمُّوا دَعوةَ الإنجيلِ لِمَحَبَّةِ القَرِيبِ. لَكِنَّ عَلِيهِمُ أن يَفْعَلُوا ذلكَ في العالَمِ الَّذِي يَجِدُونُ أَنفُسَهُمُ في رِحابِهِ، وهو عالَمٌ ساقِطٌ ولا يَمْتثلُ لِمُلْكِ اللهِ. فحياةُ المَسِيحِ وتعاليمُهُ تَمثلُ المَقِياسَ الصَّحيحَ لِكُلِّ فِعْلٍ بَشَرِيٍّ، وهي تَنهَى (مَعَ وَصاياِ النَّامُوسِ) عَن العُنفِ. لَكِنَّ سُقُوطُ العالَمِ يُحتمُّ عَملياً حُدوثَ اسْتِثناءاتِ

الحياة المسيحية. وبالتالي فوجود هذا التوتر على مائدة عشاء الرب، بين الإدراك بنعمة الله وعدم الاستحقاق الذي يتطلب اعترافاً وتوبة عن الخطية، هو أمر هام وصحي ويعني أن مائدة عشاء الرب تمارس بشكل صحيح.

مراجع

Canavaugh, William. *Torture and Eucharist*. Malden, MA: Blackwell, 1998.

Kreider, Alan. *The Change of Conversion and the Origin of Christendom*. Harrisburg, PA: Trinity, 1999.

Spohn, William. *Go and Do Likewise: Jesus and Ethics*. New York: Continuum, 1999.

Weintraub, Stanley. *Silent Night: The Story of World War I Christmas Truce*. New York: Free Press, 2001.

Yoder, John. *When War is Unjust: Being Honest in Just-War Thinking*. New York: Orbis, 1996.

بندلي، كوستي. نضال عنفي أو لا عنفي؟ لإحقاق العدالة. بيروت: منشورات النور، ١٩٨٨.

سوت، جون. المسيحية والقضايا المعاصرة. ترجمة نجيب جرجور. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٠.

الكتاب المقدس. ترجمة البستاني وفان دايك.

نظم المزامير. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٦.

فالقَرَارُ الأخلاقي أيضاً يصنع البشر، إذ يخلق مساراً عنيفاً يصعب على الفرد والشعوب الخروج منه. وبالتالي فإن تجاهل هذا التعقيد أو التهاون في تقديره هو في حد ذاته قرارٌ لأخلاقي. وهذا التعقيد يعني أنه على الرغم من أن السلاطين لا يمكنهم تفادي التحدي المتمثل في الإبادات الجماعية (مثلاً، التي قامت بها النازية)، استبعاد المزارع السلاطمة لعدم تقديمها حلاً سريعاً لتحدي النازية هو بمثابة لوم طيب لعدم قدرته اليوم على علاج مدخن شره رثته تشوهت جداً على مدار عقود من سوء الاستخدام.

إن مناداة الإنجيل في مائدة عشاء الرب تحتم على المسيحيين إعادة التفكير بشأن سؤال الحرب (وأيضاً بشأن كل أشكال العنف الجسدي واللفظي والمزاجي). فمائدة عشاء الرب هي دعوة للحياة، ووعد بضيافة الغرباء، ومشاركة بالسلاطمة، وتذوق لكرم الله. إنها كسرٌ يخلق مجالاً للشفاء (Spohn, 165-84). إنها تحتمل بنصرة الله على قوى الشر من خلال حمل قدحٍ وشهودٍ له تتبعه (رؤ ٥، ١٢). وإدراك المسيحيين بعدم استحقاقهم للتناول من مائدة إفاخارستيا عشاء الرب وهم يقبلون نعمة الله يعني شيئاً جوهرياً في الإيمان المسيحي. إنه يعني أنهم يقرون بأن الامتثال لحياة مضيافة للآخرين، في تجاوب شاكراً مع نعمة الله البادئة، هو جزء لا يتجزأ من

الحرب العادلة

يتساءل البعض هل هناك حرب عادلة؟ ومن يقرر صحة عدالتها؟ أليس مفهوم العدالة نسبيًا يختلف من شعب وثقافة إلى شعب وثقافة أخرى، أو بين أتباع هذا المذهب أو ذاك؟ وهل هناك مبرر لدولة أن تشن حربًا على أخرى؟ أليس الدفاع عن النفس مشروعًا للدول؟ أليس شن الحرب على الأنظمة والحكومات الظالمة والتي تنتهك حقوق الإنسان أمرًا واجبًا؟ وعلى مدى العديد من القرون كان المسيحيون يبحثون عن تعريف لأخلاقيات ما يُسمى «الحرب العادلة». وعاد الجدل مرة أخرى حولها في العصر الحديث بعد الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١.



القس جوهرة عزمي

أولاً: نظرة تاريخية:

الذي كان يسعى فيه أثناسيوس إلى وضع الكنيسة تحت سيطرة الإمبراطور قسطنطين ظهرت شخصية ذات شأن كبير في الفكر المسيحي وهو أوغسطينوس. لم يكن أوغسطينوس مسيحياً وقتذاك بل كان وثنياً ثم مانوياً ينتمي إلى الديانة المانوية Manichaen. وصار يتلقن تعليمه المسيحي على يد أمبروز Ambrose (٣٢٧ - ٣٩٧). واعتنق أوغسطينوس المسيحية وصار أسقفاً على مدينة هيبيون (حالياً عنابة بالجزائر)، في ذلك الوقت كان المسيحيون المؤمنون يشكلون الأغلبية في المجتمع وزادت عليهم الضغوط لكي يخدموا في الجيش وتزامن هذا الأمر مع تعرض الإمبراطورية الرومانية إلى مهاجمات في أوروبا وأفريقيا من قبل قبائل جرمانية شرقية تُسمى «الونداليين» Vandals. فطلب من أوغسطينوس الرد على اتهامات أثيرت ضد المسيحيين تشكك في ولائهم للإمبراطورية في مواجهتها للتهديدات الحربية التي تتعرض لها، فجاء رده «أن الفرد المسيحي يحق له الخدمة في الجيش وخدمة الله أيضاً وأن يُقتل نيابةً عن سلطات الدولة» (يوسف، مقالة نظرية الحرب العادلة، ٢٠١٢). ويرى أوغسطينوس أنه لو كانت المسيحية تدين جميع أنواع الحروب لكانت النصيحة التي يقدمها يوحنا للجنود عندما جاءوا ليسألوه عن ماذا يفعلوا (لو ٣: ١٤)، هي أن يلقوا أسلحتهم ويهجروا الجيش نهائياً، لكنه نصحهم بالقنوع في مرتباتهم ولا يشوا بأحد. ويستثني أوغسطينوس الأفراد من الحق في شن الحروب وذلك انطلاقاً

يرجع مفهوم «الحرب العادلة» إلى ما قبل العصر المسيحي، ويمكن أن نرده إلى «الحروب المقدسة» في العهد القديم، وإلى بعض التعاليم الأخلاقية اليونانية والرومانية. ولكن هذا المفهوم اكتسب صفة مسيحية في القرن الرابع الميلادي. ويتفق معظم الكتاب على أن القديس أوغسطينوس Augustine (٣٥٤ - ٤٣٠) هو المنظر اللاهوتي لنظرية «الحرب العادلة»، مع أنه كان يرى أن حياة الشخص وممتلكاته لا تعد مبرراً لكي يقتل قريبه، ولكن حينما يتعلق الأمر بحكام الدول المسؤولين عن حفظ السلام فقد يعطيهم هذا الالتزام الحق في شن الحرب (ريموند وفينيليزون، ٢٠١٠). وسوف أعود لاحقاً إلى وجهة نظر أوغسطينوس بشيء من التفصيل.

كما ذكرنا أن مفهوم «الحرب العادلة» لم يتبلور إلا في القرن الرابع الميلادي وبالتحديد في منتصفه، والضرورة هي التي فرضته بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين Constantine (٢٧٢ - ٣٣٧) للمسيحية وجعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية. وأصبح المجتمع الروماني «مسيحياً». وظهر في هذه الحقبة أحد زعماء الكنيسة وهو أثناسيوس (٢٩٦ - ٣٧٣)، الذي قدم دعماً لبعض صيغ العنف وإمكانية القتل فقال «إن القتل غير مسموح به وأما قتل العدو في الحرب فهو مشروع وجدير بالثناء أيضاً» (يوسف، مقالة نظرية الحرب العادلة، ٢٠١٢). في هذا التوقيت

في العصور الوسطى - دعم الكثيرون من قادة وآباء الكنيسة فكرة الحرب العادلة حتى أن البابا جريجوري الكبير (٥٩٠ - ٦٠٣) نزل إلى الميدان العسكري وقام بالتنظير في كيفية الدفاع عن المدن وكيفية حصارها. وكان يرى في أعداء الكنيسة أعداء للرب يجب محاربتهم. والبابا ليو الرابع (٨٤٧ - ٨٥٥) ربط بين الحرب العادلة ومفهوم الخلاص، ووعد من يموت من الجنود المسيحيين في الحرب بالمكافآت السماوية. وكذلك فعل البابا يوحنا الثامن (٨٧٢ - ٨٨٢) وقاد البابا ليو الحادي عشر (١٠٤٩ - ١٠٥٤) بنفسه فرقة عسكرية في إحدى الحروب. أما البابا جريجوري السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥) فقد كرس فكرة الحرب العادلة الهجومية ضد أعداء الكنيسة حتى لو كانوا مسيحيين علمانيين مثلما فعل مع الإمبراطور هنري الرابع. وجاء البابا أربان الثاني (١٠٨٨ - ١٠٩٩) الذي دعا إلى الحروب الصليبية التي أطلق عليها الحرب المقدسة ضد الوثنيين (الطحاوي، مقالة حرب عادلة: التراث المسيحي للعصور الوسطى، ٢٠٠٩). وجاء من بعدهم اللاهوتي والفيلسوف المسيحي الإيطالي توما الأكويني Thomas Aquinas (١٢٢٥ - ١٢٧٤) الذي أجاب عن السؤال: هل تعتبر الحرب أثيمة دائماً؟ ورأى أن الحرب مشروعة لثلاثة أسباب. الأول: للحفاظ على النظام الطبيعي. الثاني: أحياناً تكون هناك ضرورة إلى عقاب أشخاص ما بقسوة بدافع محبتهم رغماً عنهم ويهدف تخليصهم من خطيتهم. الثالث: يقترب توما من أفكار أوغسطينوس في أن الهدف من الحرب هو

من الاقتناع بأن المناصب السياسية عطية من الرب ودور السلطة السياسية الشرعية أن تشن الحرب فقط للحفاظ على سلامة البشر (رومية ١٣: ١-٣). ويفسر قول يسوع «يأخذون السيف» بأن المقصود هو حمله على غير حق، أي بدون سلطان الدولة أو سلطان السماء. ويرى أن البشرية في النظام الطبيعي تسعى إلى الأمن، ويتطلب هذا منح رأس الدولة شرعية شن الحرب إذا كان ذلك ضرورياً وعلى الجنود القيام بواجبهم العسكري من أجل سلام وأمن المجتمع. ويرى أوغسطينوس أنه يجب أن يكون هناك هدف سام للحرب العادلة وأن تكون قائمة على المحبة رغم استخدام العنف وأن محبة القريب تفرض التزاماً أخلاقياً على الدول ذات السيادة للدفاع عن المعتدى عليه. ويرى أن التلاميذ لم يستخدموا العنف ولم يستعينوا بالدولة لاختلاف الظروف. وأيضاً لم ينه يسوع عن الحرب أبداً بل شارك في دفع الجزية وكان يعلم أنها مخصصة لدفع مرتبات الجند. بل أن المسيح امتدح إيمان قائد المئة (مت ٨: ٩، ١٠). ويرى أوغسطينوس أن هناك نصوصاً يجب أن لا تُفهم حرفياً وإلا فإننا نتهم يسوع بمخالفة تعاليمه لأنه لم يدر الخد الآخر عندما لطمه واحد من الخدام وإنما اعترض (يو ١٨: ٢٣). ولكنه كان يرى أن الذين ارتبطوا بخدمة الله كالرهبان والقسوس لا يجب أن يكونوا جزءاً من الصراع (Evangelical Dictionary Theology, p. ١١٥٣)

وعبر العقود والقرون المتتالية وخاصة

وأن هذه الحرب تفرض ظروفًا ملائمة للسلام أكبر من تلك الظروف التي سبقت الحرب. وهذا بدوره سيقبل من احتمال حدوث الحرب مرة أخرى. ولذا لا بد أن يكون بالإمكان التنبؤ بنتائج الحرب.

٦- لا بد من أن تكون وسائلها مشروعة ومراقبة. فلا يجب أن يكون هناك عنف متعمد أو غير ضروري أو بأسلحة فتاكة.

٧- أن تكون الحرب موجهة ضد قوات العدو العسكرية ولأهداف حربية وليس لمدنيين أو منشآت مدنية.

ثانياً: معارضة الحرب العادلة

من جهة أخرى ظهر الكثير من الفلاسفة والمفكرين، وبالذات المسيحيين الذين عارضوا فكرة الحرب بصفة عامة والحرب العادلة بصفة خاصة. فقد ضحى ماكسيمليان الشهيد Maximilian (٢٧٤- ٢٩٥) برأسه بسبب رفضه أداء الخدمة العسكرية. وكما يذكر المطران جورج خضر أن القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠- ٣٧٩) رفض إعلان العسكر شهداء، وقضى أن يُمنع كل من سفك دمًا بالحرب من مناولة جسد الرب لمدة ثلاث سنوات (بندلي...) ومن بعدهما بقرون طويلة جاء القديس فرنسيس الأسيزي Francis Of Assisi (١١٨١- ١٢٢٦)، وكان معروفًا بنبذ العنف بشتى أنواعه وعلم أتباعه بعدم حمل السلاح وعدم أداء القسم. بل أن أوغستينوس نفسه في نهاية حياته اعترف أن تجنب الحرب والوصول إلى اتفاق

إحلال السلام. وبالتالي فهو لا يرى في الحرب خطية أو تعارضًا مع الفضيلة، أي أن الحرب والسلام لا يتعارضان (ريموند وفينليزون، ٢٠١٠).

ويمكن إجمال الإطار الذي تبناه أوغستينوس وكذلك الكنائس المصلحة والمشيخية واللوثرية الميثوديست والمعمدانية والروم الكاثوليك وكل مؤيدي الحرب العادلة، لتطوير نظريتها حول المبادئ الآتية:

١- أن تكون الحرب آخر البدائل وبعد استنفاد جميع الحلول السلمية الممكنة عملياً من دون الوصول إلى نتيجة مرضية، وتصبح الحرب الوسيلة الوحيدة لاستعادة الحقوق والدفاع عن العدالة.

٢- أن تكون الحرب لأجل قضية عادلة وصحيحة. حيث تكون دفاعاً عن أخطار خارجية، فيها تهديدات لحياة الأبرياء أو أخطار تهدد مستقبل المجتمع وتخرق الحقوق الإنسانية. ولكن الحرب تتحرف عن مشروعيتها إذا كانت لمجرد الانتقام أو فرض الهيمنة.

٣- لا بد من إعلان رسمي بالحرب، ومن قبل سلطة شرعية ذات سيادة.

٤- لا بد من توفر نية حسنة لشن الحرب، تتمثل في الأهداف الشرعية التي من أجلها تُشن الحرب.

٥- تكون الحرب ضرورة عندما تكون النتائج السلبية التي تسببها أقل خطراً وشرّاً من الظلم الذي ينبغي القضاء عليه.

إقناع القوات المسلحة بأن العدو هو الشر وبالتالي فهم يحاربون من أجل هدف صالح وعادل. ودائمًا ما تضع الحرب لنفسها أجندة إنسانية تدعي الخير للبشرية وإصلاح الأوضاع المقلوبة وتقديم الخصم بصورة مشوهة.

(٢) أغفلت نظرية الحرب العادلة بعض الجوانب المرتبطة بالسمة العامة للحرب الحديثة بأسلحتها المدمرة. وبالتالي هناك صعوبة في إصدار حكم مُرضٍ وعام حول أخلاقية أي حرب. بل بالعكس فإن الحروب تنتج «انتصارات لا أخلاقية»، وخصوصًا إذا كانت حروبًا نووية حيث ينتج عنها إبادة وتشوه المقاتلين وتطول المدنيين بلا جدال. وبالتالي فلا مجال للحديث عن ما يمكن أن نسميه «إنسانية الحرب».

(٣) هناك إمكانية من الناحية النظرية لحدوث الحرب العادلة واستحالتها من الناحية العملية. لأن الدبابات يمكن أن تحرز نصرًا عسكريًا، لكنها لا يمكن أن تفرض أي نوع من التسويات والحلول. فقد تكون هناك «انتصارات عسكرية» ولكن أبدًا لن توجد «حلول عسكرية».

(٤) صعوبة الاتفاق على قيم مشتركة عند نشوب الحروب. وخصوصًا إذا كانت بين دولتين مختلفتين في الثقافة أو المذهب الديني، مما يؤثر على نظرة كل طرف للآخر وبالذات فيما يتعلق بإنسانيته وحقوقه. فقد تتخذ الحرب طابعًا طائفيًا أو مذهبيًا فتكون أكثر شراسة وتدميرًا حيث يعتقد كل طرف أنه معسكر الله والأبرار في مقابل معسكر

بالحوار يعد أمرًا أكثر مجددًا من الحرب، وكان متأثرًا باتجاه اللاعنف الذي كان عند الكنيسة الأولى. وفي العصر الحديث هناك ما يسمى بكنائس السلام والتي بدأت مع الإصلاح الكنسي في القرن السادس عشر، حيث تشكلت جماعات كثيرة بعد أن انسلخت عن الكنائس التقليدية الرسمية واقتدت بمثال المسيحيين الأوائل فيما يتعلق بعدم الاشتراك في القوات المسلحة أو الحروب. ومنها حركة أنابابديست Anabaptist والمينونيات Mennonites بالإضافة إلى جماعة الإخوة Brethren وجماعة الكويكرز Quakers وكذلك جماعة كنيسة يسوع المسيح وجماعة برودر هوف وجماعة بيت سهيل وهذه كلها جماعات ترفض استخدام القوة وترفض حمل السلاح أو الحروب. بالإضافة إلى وجود حركات سلام داخل الكنيسة الكاثوليكية وغير التقليدية والحركات الرهبانية وشخصيات مختلفة أمثال مارتن لوثر كينج والمنظمات غير المسيحية والأفراد من خلفيات مختلفة في كافة أرجاء العالم. وكذلك الكثيرون من المفكرين والفلاسفة المسيحيين الذين ينتمون إلى الحركة الإنسانية. ويمكن أن نبرز أهم الخطوط الرئيسية لمعارضتي نظرية الحرب العادلة في الآتي:

(١) يرون أن نظرية الحرب العادلة تبرر الحرب باعتبارها عملية إنسانية تُستخدم لإخفاء الأغراض الحقيقية للعمليات العسكرية، وتقدم صورة للمقاتلين كأخلاقيين أصحاب مبادئ، وتهدف إلى

السلام بين الدول، ما هي إلا محاولات لتقليل فرص الحرب وللسيطرة عليها في حال نشوبها وحفظها من الانحراف عن أهدافها المشروعة. ومن المناسب أن نذكر أن منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق اشتعالاً بالصراعات في العالم سواء كانت هذه الصراعات بين الدول أو داخل الدولة الواحدة وتعاني فيها الأقليات العرقية أو الدينية كثير من المظالم، مما يزيد من فرص التدخل الدولي عسكرياً، وبالتالي فالأمر يحتاج إلى وضع قيم حاكمة وإطار واضح ومحدد لشن الحرب أو التدخل العسكري.

ثالثاً: هل يمكن تزكية نظرية الحرب العادلة كتابياً؟ هناك محاولات لتزكية نظرية «الحرب العادلة» كتابياً، فأصحاب نظرية الحرب العادلة يرون أن الوصية الخامسة «لا تقتل» محصورة فقط في القتل المتعمد، ولم تكن لتعني قط المقاومة المسلحة في وجه الظلم والعنف. وكذلك يرجعون إلى الحروب التي أمر بها الرب يهوه ووجهها في العهد القديم (عدد ٣١: ٧، تث ٢٥: ١٩، اصم ١٥: ٣-١٦، وما بعده، اصم ١٩: ١، ٥، أي ١٤: ١٠، مز ٤٤: ١). ولكن هذه المحاولة ضعيفة لأن هذه الحروب

الشیطان والأشرار. وبالتالي يصبح كل شيء جائزاً في سبيل مكافحته وتدميره. ولعل هذا التخوف يلائم منطقتنا العربية حيث يلعب الدين دوراً رئيسياً في أي نزاع حتى لو بسيط، لذلك هناك حساسية خاصة لا بد من وضعها في الاعتبار قبل التدخل العسكري في شئون دول الشرق الأوسط. وأن نشر قيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان لا بد أن يكون بالطرق السلمية.

٥) يلجأ معارضو الحرب - في عرض أسبابهم - إلى الكتاب المقدس في المقام الأول ولا سيما العهد الجديد، والموقف الذي يتبنونه هو أن الرب يسوع عاش وعلم دون أن يستخدم أي نوع من أنواع العنف ودون أن يخوض حرباً مسلحة واحدة. بل بالعكس كانت كل وصاياه وتصرفاته تدعو إلى السلم وإطفاء نيران العنف والعمل على كسر دوامته بالحب والغفران (مت ٥٢: ٢٦). وكل من التلاميذ والرسول وخاصة الرسول بولس (رو ١٢: ١٤-٢١، ٢ كو ١٠: ٣-٦، أف ٦: ١٢) ساروا في الطريق نفسه.

ولعل محاولات المجتمع الدولي لإنشاء بعض المؤسسات الدولية مثل محكمة العدل ومجلس الأمن وإنشاء قوات دولية للتدخل العسكري، إما للردع أو لحفظ



فكما للفرد الحق في الدفاع عن نفسه كذلك الدولة. وإذا كان للفرد الحق في أن يطلب العدل بسبب ظلم ما أو تعويض لخسارة، فإن الدولة يحق لها استخدام القوة لإجبار دولة أخرى على تعويض ما ارتكبه في حقها. ومن جهة أخرى نرى أن الله في العهد القديم كان يستخدم أمة ما كواسطة لتنفيذ أحكامه أو عدالته تجاه أمة أخرى. مثلما استخدم الإسرائيليين في حكمه على شر الكنعانيين في جيل الغزو، وعاد وفعله مرات عديدة في الحكم على الإسرائيليين على أيدي أعدائهم. بل وأحيانا تكون الأمة التي يستخدمها الله لتحقيق أحكامه وعدالته أكثر شرًا والتواءً من الأمة التي يؤديها، كما كانت الإمبراطوريتان الآشورية والبابلية أداتين لتنفيذ دينونة الله. مع أن الله لم يسبب وحشتيهما إلا أنه عين لهما مكانًا ودورًا في مجال غضبه وتحقيق عدالته. وبالتالي فإن «أية عدالة يزعمها أي بلد مشترك في الحرب يمكن تقييمها فقط، من وجهة النظر المسيحية، من خلال علاقتها بأحكام الله وعدالته في إطار التاريخ» (رايت، ص ٢١٧، ٢٠١٠). وإن كان هذا الأمر بالغ الصعوبة ومعقد الفهم، ومحفوظًا بالمخاطر.

خاتمة: إن اعتبرنا الحرب في أوضاع معينة وسيلة لا بد منها لإحقاق العدل، فلا بد أن نعي تمامًا خطر الحرب ومحاذيرها. ويضع الكاتب كوستي بندلي بعض المحاذير في حديثه عن النضال اللاعنفي، ويمكن أن تطور هذه المحاذير

قد أقرت خصيصًا، وما من أمة تستطيع أن تدعي اليوم بأنها تتمتع بوضع إسرائيل الخاص في العهد القديم باعتبارها «أمة مقدسة» تتمتع بعهد خاص مع الله، وكانت تعتبر دولة ثيوقراطية خاصة.

وفي العهد الجديد، لم يرفض يوحنا المعمدان الحياة العسكرية عندما سأله الجنود قائلين: «ونحن ماذا نعمل؟» (لوقا ٣: ١٤). ويسوع نفسه أعجب بإيمان قائد المئة الروماني التابع لجيش الاحتلال والذي يؤمن بوحدانية الله ولم يلمه على حمل السلاح أو عمله بالجندي، بل شفى له غلامه المفلوج لأنه لم يجد مثل إيمانه في إسرائيل (متى ٨: ١٠). وكذلك وصف المسيح كرنيليوس قائد المئة بأنه شخص تقي يخاف الله (أعمال ١٠: ٢). وكذلك مدح الرسول بولس محاربي العهد القديم (عب ١١: ٣٢ - ٣٤). وقدم أساسًا أكثر تماسكًا في تعليمه عن الدولة (رومية ١٣: ١ - ٧)، حيث يؤكد أن السلطات الحاكمة قد وطدها الله وفوضها بسلطته، وخضوعنا لها هو خضوع لله والعكس. بل أن الشخص الذي في السلطة هو خادم الله ليكافئ المواطنين الصالحين ويعاقب الأشرار. ويكرر بولس ٣ مرات أن سلطة الدولة هي سلطة الله. وخدمة الدولة هي خدمة الله. وهذا يترتب عليه نتيجتان:

الأولى: إن المسيحيين مدعوون أن يلتحقوا بقوات الجيش والشرطة وينخرطوا في سلطات الدولة المختلفة.

الثانية: إن الدولة يمكن أن تخرج للحرب وتتصرف كقاضٍ في قضيتها الخاصة.

بعد كل ما طرحناه من رؤى مختلفة لنظرية الحرب العادلة يتردد أمر الرب يسوع لنا أن نحب أعداءنا. فهل من الممكن أن تحب عدوك وتحاربه في الوقت نفسه؟ أصحاب النزعة السلمية يقولون «لا»، وأصحاب نظرية «الحرب العادلة» يقولون «نعم».

المراجع

(١) المريمي، فرانسوا عقل، «الحرب العادلة وحق الدفاع المشروع / الكنيسة الكاثوليكية والحرب». الفاتيكان: ٤ ديسمبر ٢٠٠٩.

(٢) الطحاوي، حاتم، الدكتور. «حرب عادلة: التراث المسيحي للعصور الوسطى». جريدة الحياة، ١٥ مارس ٢٠١٠.

(٣) بندلي، كوستي. «نضال عنفي أو لا عنفي لاحقاق العدالة». بيروت: منشورات النور، ١٩٨٨.

(٤) ريموند، جون. فينيليزون، ريلاري. «نظرية الحرب العادلة». www.kdec.net، ٢٠١٠/٣/٧

(٥) وليم ر. دورلاند، لا ملك علينا إلا قيصر **No King but Ceasar** , ترجمة يعقوب يوسف. دار المحررات للنشر الإلكتروني.

6. Greet, Kenneth G., The Art of Moral Judgment, London: Epworth Press, 1970

7. «The Just War» in Evangelical Dictionary Theology, Grand Rapids: Baker Book & Cumbria: Paternoster Press, 1996

8. «Just War Theory» in Internet Encyclopedia of Philosophy .

ونطبقها في مسألة الحرب العادلة، على النحو التالي:

(١) الحرب العادلة لا تهدف إلى إبادة وتدمير الخصم، فقط تكبح جماحه وتزيل الظلم والقهر. إن هدف الحرب العادلة هو خدمة الحياة، لذلك يجب أن يُكتفى بالتغلب على الخصم إلى حد يسمح بوضع نهاية لإبذائه وتجاوزاته.

(٢) الحرب العادلة لا تتغافل عن إنسانية الخصم وقت الحرب مهما كان جرمه لأنه لا يزال حسب الإيمان المسيحي يحمل صورة الله. إن كان لابد من الحرب فيجب أن لا تتعدى استئصال الشر الكامن في البنى الاجتماعية الظالمة دون الانحراف إلى التتكيل بالعدو، واستبعاد أي عمل يقصد به التشفي والانتقام. بل بالحري لابد من الاهتمام بالجرحى والحرص على معالجتهم وشفائهم. مع عدم استهداف المدنيين بأي صورة من الصور.

(٣) الحرب العادلة ليست مقدسة، وليست مذهباً له مشروعيتها وقدسيته. لأن كل تقديس للحرب - حتى لو سُخرت لخدمة الحق والعدل - يجعلنا نتغافل عن المآسي والألم الذي ينتج عنها. كما أن مذهبة الحرب وتمجيدها من شأنه أن يضخم - دون مبرر واقعي - أهميتها في التاريخ وتبدو وكأنها أداة من أدوات التطور الإنساني، وهذا غير حقيقي. لأن الحقيقة أنه ما من حرب صالحة ولكن كل ما في الأمر أنها حرب لا مفر منها.

الفكر اللاهوتي ومآسي الحروب: ديتريش بنهوفر أنموذجًا!

صادف يوم السبت التاسع من أبريل الماضي الذكرى السابعة والسبعين لإعدام اللاهوتي الألماني ديتريش بنهوفر بيد النازية وبأمر مباشر من أدولف هتلر. يقف نموذج بنهوفر كنموذج للاهوتي فريد ومتميز جدًا في تاريخنا المعاصر للوقوف ضد الإمبريالية، الظلم الاجتماعي، الاستقواء على الضعفاء، وخطورة مهادنة الفكر اللاهوتي للسياسة. يلهمنا أيضًا هذا النموذج للتفكير في دور الكنيسة، جسد المسيح، أمام ويلات الحروب. تناقش هذه الدراسة دور الفكر اللاهوتي أمام الأزمات القومية بشكل عام والحروب بشكل خاص مع التركيز على بنهوفر كنموذج. كيف يستجيب الفكر



د.ق. موريس يوسف

بِحُلُول عام ١٩٢٨ تفاقمت الأزمات الاقتصادية في ألمانيا إلى حد فاق كل التوقعات، وارتفعت معدلات البطالة وتردي التعليم والصحة. لم تتحسن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية نسبياً إلا بقُدوم أدولف هتلر والحزب النازي إلى سُدّة الحكم في بداية عام ١٩٣٣ مع أنّ البعض يرى أنّ هذا الانتعاش الاقتصادي جاء فقط كنتيجة لبناء المصانع التي أنتجت الأسلحة والمُعَدّات الحربيّة التي استخدمتها ألمانيا لاحقاً في الحرب العالميّة الثانية. وُلِد أدولف هتلر في النمسا في ٢٠ أبريل ١٨٨٩ وانتقل للعيش في ألمانيا عام ١٩١٣. أسّس هتلر حزب العُمّال الألماني الاشتراكي القومي والمعروف باسم الحزب النازي (كلمة نازي تعني قوميّ أو وطنيّ في الألمانية) والذي حَكَم ألمانيا ما بين عاميّ ١٩٣٣ و١٩٤٥. يُعتَبَر هتلر من أسوأ الحكام الديكتاتوريين الذين عرّفهم التاريخ المعاصر وهو السبب المباشر في إشعال نيران الحرب العالميّة الثانية (١٩٣٩ إلى ١٩٤٥). انهزمت ألمانيا ودول المحور أمام دول التحالف في الحرب العالميّة الثانية وانتحر هتلر في ٣٠ أبريل ١٩٤٥ ومعه مات حُلُم إمبراطورية ألمانيا العُظمى.

لم تقتصر مخاطر أدولف هتلر والحزب النازي على الأطماع الاستعماريّة وتعدّيهم السافر على سيادة دُول الجوار (مثل هجومه على النمسا وضمها إلى ألمانيا عام

اللاهوتي لأزمات ومآسي الحروب؟ كيف يتفاعل اللاهوت المسيحي مع احتياجات الإنسان في ظل أزمات كهذه؟ قد يكون من المناسب قبل أن أتكلّم عن دور الفكر اللاهوتي في أوقات الأزمات والحروب متخذاً من ديتريش بنهوفر أنموذجاً، أن ألقى نظرة سريعة على الظروف السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي مرّت بها ألمانيا في بداية القرن العشرين، ثم أقدم بشكل موجز نبذة عن هذا العملاق الذي جسّد عمق وغنى الأخلاق المسيحية ومسؤوليتها تجاه المهمشين ومن لا صوت لهم^١.

ألمانيا في بداية القرن العشرين

تُعتَبَر عشرينيّات القرن الماضي وقتاً حرجاً جداً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً للشعب الألماني. صحيح أنّ معاهدة فرساي Treaty of Versailles أنهت الحرب العالميّة الأولى، لكنها اشترطت بقاء بعض القوّات الأجنبية بصفة دائمة في ألمانيا، الأمر الذي أدّى إلى مظاهرات واحتجاجات ومقاطعات قادها قطاعات عديدة من الشعب الألماني والتي بدورها أدت إلى ضعف الدولة الألمانيّة وعرقلة المسيرة الديمقراطيّة.

الدراسة الفكر اللاهوتي لديتريش بنهوفر بأكثر تفصيلاً، يرجى الرجوع لكتاب المؤلف «صوت صارخ في البرية: قراءات في فكر ديتريش بنهوفر» (القاهرة: المؤلف، ٢٠١٩).

هملر (أحد أبرز قادة الحزب النازي آنذاك والمسؤول الأول عن الهولوكوست، «Edwin Robertson, Voices in the Night: The Prison Poems of Dietrich Bonhoeffer, 1999, 123-124). لقد كان الهدف الأوحـد لأقسام اللاهوت Theology Departments في الجامعات الألمانية هو خدمة النازية وترسيخ أخلاق ألمانيا الجديدة. ما أخطر أن يهادن الفكر اللاهوتي السياسة وما أخطر أن تكون الكنيسة دمية تخدم الأجندة السياسية. فمن هو ديتريش بنهوفر، هذا الصوت الصارخ في البرية الذي قضى معظم حياته محارباً ضد سياسات هتلر الديكتاتورية وأيدولوجيات الحزب النازي الفاشية؟ رأى بنهوفر أن الكنيسة في ألمانيا في عصره قد اختطفت عنوة بواسطة هتلر والنازية، وأنها يجب أن تعود لخدمة سيدها وليس أي سيد آخر.

مَنْ هو ديتريش بنهوفر؟



١٩٣٨) فقط، لكنها تعدت ذلك بكثير. قدّم هتلر والنازية نظرية سوسولوجية جديدة مفادها أن الجنس الآري هو أرقى وأسمى أجناس الأرض، وبالتالي في ٧ أبريل ١٩٣٣ أقرّ البرلمان الألماني قانوناً جديداً بتغيير المادة السابعة من قانون الخدمة المدنية والذي منع اليهود وكل من كان له أصول سامية من العمل في أي وظائف عامّة أو حكومية. عُرِفَ هذا القانون بالقانون الآري أو الـ **Aryan Clause**. هذا المَنع شمل أيضاً عدم رسامة قسوس لا ينتمون إلى الجنس الآري في الكنيسة الإنجيلية والكاثوليكية الألمانية. دفعت هذه الأيدولوجية النازية إلى اضطهاد واحتقار ومعاداة كل من لم ينتم للجنس الآري. أمّا الذي زاد الطينة بلة فكان سنودس الكنيسة الإنجيلية الألمانية الذي أقرّ في اجتماعه في سبتمبر عام ١٩٣٣ أن أحد شروط القبول في الخدمة الدينية والرسامة هو الانتماء إلى الجنس الآري. للأسف أقرّ السنودس بالأغلبية أيضاً سُمُو الجنس الآري عن غيره من الأجناس الأخرى وكأنّ النزعة القومية الألمانية أصبحت ديناً جديداً مقابل المسيحية أو **Germanism versus Christianity**.

في أحد الخطابات التي أرسلها ابيهرارد بثجي لصديقه بنهوفر ذكر كيف أنّ كل المعموديات في ألمانيا كانت تُختم بصلاة للطفل المُعمّد لكي يبارك الرب هذا الطفل «لكي ينمو ويصبح مثل أدولف هتلر وهنرخ

أريد أن أكون قسًا لوثرًا لكي أصلح
الكنيسة». (Eberhard Bethge, Dietrich
Bonhoeffer: A Biography, 2000, 36)

في سن السابعة عشرة، أي في عام
١٩٢٣، التحق ديتريش بنهوفر بجامعة
توبنجن Tubingen بألمانيا لبدأ دراساته
اللاهوتية ثم في عام ١٩٢٤ انتقل إلى
جامعة برلين ليستكمل دراساته اللاهوتية
هناك لمدة ثلاث سنوات من عام ١٩٢٤
إلى ١٩٢٧. في جامعة برلين درّس بنهوفر
تحت إشراف أساتذة عظام أمثال أدولف
فان هارناك، كارل هول، هانز ليتزمان،
ورينهولد سيبرج. في جامعة برلين أيضًا
وتحت إشراف رينهولد سيبرج، كتب
بنهوفر أطروحته للدكتوراه تحت عنوان
«شركة القديسين أو The Communion
of Saints»، وفي أطروحته تكلم بنهوفر
عن دور الكنيسة في التاريخ وإرساليتها
في المجتمع. (Geoffrey B. Kelly & F.
Burton Nelson, Dietrich Bonhoeffer, A
Testament to Freedom: The Essential
Writings of Dietrich Bonhoeffer, 1995,
55).

بعد تخرجه، خدم ديتريش بنهوفر كراع
مساعد لكنيسة ناطقة باللغة الألمانية
في برشلونة، إسبانيا، ثم كراع لكنيستين
لوثريتين في لندن، المملكة المتحدة. في
سن الرابعة والعشرين انضم بنهوفر لهيئة

وُلد ديتريش بنهوفر وأخته التوأم سابين
Sabine في ٤ فبراير ١٩٠٦ في بلدة
بريسلو Breslau بألمانيا لأبوين هما كارل
وبولا فون هيس بنهوفر. لديتريش بنهوفر
وسابين خمسة إخوة وأخوات، أربعة أكبر
منهما وواحدة أصغر. كان كارل بنهوفر
طبيبًا وأستاذًا جامعيًا درّس علم النفس
في جامعة برلين. وكعادة معظم الأسر في
القرن العشرين، مكثت بولا بنهوفر بالبيت
لتربية الأولاد والاهتمام بهم أكاديميًا
وروحياً ومساعدتهم على اكتشاف وتنمية
مواهبهم. عندما بلغ ديتريش بنهوفر سن
الثانية عشرة، انتقلت الأسرة للعيش في
مدينة برلين.

عاش ديتريش بنهوفر طفولة عادية
هادئة حتى أبريل عام ١٩١٨ في هذا الشهر
أصيب والتر -الأخ الأكبر لبنهوفر- بجراح
بالغة في الحرب العالمية الأولى أدت إلى
وفاته بعد خمسة أيام فقط متأثرًا بجراحه.
ترك هذا الأمر ألمًا وجرحًا عميقًا في
كل أفراد الأسرة وبصفة خاصة ديتريش
بنهوفر. بعد سنتين فقط من موت والتر،
قرّر ديتريش بنهوفر أن يصبح قسًا ولاهوتيًا
لوثرًا. لم تشجع أسرة ديتريش بنهوفر هذا
القرار موضحة له ضعفات الكنيسة اللوثرية
ومشاكلها وتحدياتها آنذاك. قالوا له إن
الكنيسة «مؤسّسة فقيرة، ضعيفة، مُملّة،
يُرتى لها وبرجوازية». وأمام هذه التحديات
أجاب بنهوفر قائلًا «لهذه الأسباب ذاتها

ألمانيا في ٣٠ يناير ١٩٣٣.

لم يسترح بنهوفر منذ البداية لسياسات هتلر والحزب النازي، بل وانتقده علانية، الأمر الذي لم يجرؤ على فعله إلا القليلون. في خطاب أذاعه الراديو الألماني بعد يومين فقط من تولي هتلر للحكم، حذر بنهوفر الشعب الألماني من أخطار الانصياع للقيادة السياسيّة ولا سيّما تدخلها في أمور الكنيسة. أيّد الكثيرون من قادة وشعب الكنائس الألمانيّة آنذاك الاشتراكية القوميّة ووقفوا وراء هتلر وساندوه، بل ونظروا له وكأنه «المخلص المنتظر».

التدريس في جامعة برلين كأصغر أستاذ متفرغ في تاريخ الجامعة. في جامعة برلين درّس اللاهوتي الشاب ديتريش بنهوفر مادة اللاهوت النظامي. لم تدم للأسف مهنة التدريس الجامعي كثيراً بالنسبة لبنهوفر بسبب مواقفه ومعارضته العلنية لأدولف هتلر وأيدولوجيات الحزب النازي بخصوص طموحاته الإمبريالية ونظرته الدونيّة لكل أجناس الأرض عدا الجنس الأري. وضع صيف ١٩٣٣ نهاية لمهنة ديتريش بنهوفر كأستاذ جامعي بعد شهور قليلة من صعود هتلر والحزب النازي لسدة الحكم في



يصلح أي إنسان آخر مها سمت قيمته أن يكون رأساً للكنيسة. المسيح يبني الكنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.» (Edwin H. Robertson, ed, No Rusty Swords: Letters, Lectures, and Notes 1928-1936, From the Collected Works of Dietrich Bonhoeffer, 1947, 214).

بعد عشر سنوات من العمل الدؤوب ومحاولة إيقاظ ضمير الكنيسة لمقاومة النازية حتى يتجنب العالم ويلات حرب عالمية جديدة، قُبِضَ على ديتريش بنهوفر في ٥ أبريل ١٩٤٣ بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم وأودع بنهوفر سجن تيجل Tegel Prison في برلين. في أكتوبر ١٩٤٤ نُقِلَ بنهوفر إلى سجن المخابرات السريّة The Gestapo في برنز -البرخت- ستريس Prinz-Albrecht-Strasse في برلين. من فبراير ١٩٤٥ حتى أبريل من نفس العام، سُجِنَ بنهوفر في أحد المعسكرات في بلدة بوخنولد Buchenwald. في ٣ أبريل ١٩٤٥ نُقِلَ السجين ديتريش بنهوفر إلى سجن آخر، هذه المرة إلى معسكر الإعدام في مدينة فلوسنبرج Flossenburg. في فلوسنبرج، عُقدت لبنهوفر محاكمة صوريّة هزلية قصيرة حُكِمَ فيها عليه بالإعدام شنقاً. نُفذَ حكم الإعدام في بنهوفر يوم ٩ أبريل ١٩٤٥. يصف طبيب السجن الذي كان شاهداً لحادثة إعدام بنهوفر هذه الحادثة بالكلمات الآتية: «في هذا اليوم،

اعتبرت الكنيسة أن مسانده النازية واجب وطني من أجل مستقبل أفضل للشعب الألماني. بعد أن ألقى بنهوفر هذا الخطاب ببضعة أيام استدعاه الجستابو وحذّره من انتقاده المستمر لسياسات البلاد. بالطبع لم يتوقّف بنهوفر بل في يوليو من نفس العام، ألقى بنهوفر عظة في كنيسة الثالث اللوثرية في برلين قال فيها إنه اتخذ قراره ألا يتوقّف. يقول بنهوفر «إن كان علينا لكنّا تجنبنا اتخاذ هذا القرار الصعب، لكنه مفروض علينا الآن. لقد طلب يسوع نفسه من تلاميذه في قيصرية فيلبس أن يتخذوا قراراً: «من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟» في المواجهة مع المسيح لا يمكن أن نقول (ربما) أنت المسيح ابن الله. أمامنا خياران لا ثالث لهما: إما الصمت كما فعل التلاميذ أو أن نجيب نفس إجابة بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحي! فأجاب يسوع وقال له: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، أن لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلَنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيضًا: أَنْتَ بَطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» متى ١٦: ١٣. كلنا بطرس... ليس هذا الإنسان أو ذاك. يجب أن نتكلم ولا نصمت. وإذا نتكلم بالحق ونحيا في الحق يبني الرب الكنيسة. نحن لا نبني الكنيسة، بل الرب هو الذي يبني كنيسته. إن الرب يسوع المسيح فقط هو رأس الكنيسة وسيدها ولا يمكن ولا

أجمع؟ ما الذي جعل بنهوفر يكرّس حياته لخدمة «هؤلاء الأصاغر» ويقف بجانب المظلومين والمهمشين؟ ما هي الأسس اللاهوتية والأخلاقية التي مكّنت بنهوفر من تفاعله مع قضايا عصره وجعلته يصرخ بأعلى صوته عندما سمع دقائق طبول حرب عالمية ثانية تكتسح القارة الأوروبية قبل أن تحدث بسنوات كثيرة؟ في اعتقادي أنّ بنهوفر بنى تفاعله اللاهوتي على ثلاث عقائد أساسية هي: عقيدة الكنيسة، عقيدة المسيح، وعقيدة الصليب.

أولاً: الكنيسة موجودة لأجل الآخرين

للكنيسة مكانة خاصّة ومتميّزة جدًّا في فكر ديتريش بنهوفر. إنّها كما يقول الكتاب في ١ تيموثاوس ٣: ١٥ «عَمُودُ الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ». كيف يمكن للكنيسة أن تصمت عن قول الحق؟ كيف يمكن أن تتحول لتكون بوقاً لنظام أو أيديولوجية؟ كيف يمكن للكنيسة أن تحيد عن إرسالياتها وأن تتعامى عن دعوتها بهذه الصورة التي حدثت في ألمانيا النازية؟ انشغل بنهوفر مبكراً جدًّا في حياته بدور الكنيسة وإرسالياتها للعالم. في الواقع إنّ أهم ما يميّز الفكر اللاهوتي للكنيسة في فكر وأخلاق بنهوفر كونه مرسلّة للعالم أو ما دعاه بنهوفر *Missional ecclesiology*. كما هو واضح هنا، لم يفصل بنهوفر بين «لاهوت الكنيسة أو ال *Ecclesiology*» و «لاهوت الإرسالية أو ال *Missiology*»،

رأيتُ القس بنهوفر من خلال الباب الذي كان نصف مفتوح في إحدى غرف السجن حيث استبدل ملابس السجن بملابس الإعدام. رأيتُ القس بنهوفر يجثو على ركبتيه مصلياً بحرارة لإلهه قبل أن يترك الغرفة. إنّ هذه الطريقة التي صلى بها هذا الإنسان المحب لمستّ حياتي وقلبي. لقد كان شخصاً باراً وكان متيقناً أنّ الله قد سمع صلواته بالفعل. (Eberhard Bethge, 927-928). ثم يضيف الطبيب قائلاً «في غرفة الإعدام صلى القس بنهوفر ثانية صلاة قصيرة ثم صعد لمنصّة الإعدام شجاعاً و متماسكاً. في الخمسين عاماً التي عملت فيها طبيباً في السجن لم أر إنساناً يموت خاضعاً بالتمام لمشيئة الله كما رأيتها في حياة القس بنهوفر.» (Eberhard Bethge, 927-928)

لقد كانت حياة ديتريش بنهوفر حياة قصيرة -تسعة وثلاثين عاماً فقط عاشها بنهوفر على الأرض- لكنها حياة حافلة بالعطاء والإنجاز والإثمار. إنّ الحياة لا تُقاس بطولها، لكنها تقاس بعمقها ومدى تأثيرها. لقد تكلم بنهوفر عندما صمت الكثيرون، بل وقدّم نموذجاً نادراً للشجاعة في وقت عاش فيه الكثير من أشباه الرجال. السؤال الآن: ما الذي يجعل هذا اللاهوتي الشاب يخاطر بحياته ومستقبله ويسبح ضد التيار معلناً بأعلى صوت أنّ «يسوع الناصري» وليس «هتلر» هو مخلص ألمانيا، بل والعالم

بثته شاشات التلفزيون وشبكات الأخبار والإنترنت منذ سنوات قليلة مضت من مشاهد دموية ومجازر ارتكبتها تنظيم داعش ضد المسيحيين والأيزيديين في شمال العراق وفي سوريا وفي غيرها من مناطق العالم المختلف! ما أبشع ما نراه اليوم في أوروبا الشرقية والحرب غير العادلة ما بين روسيا وأوكرانيا.

إن الأخلاق المسيحية لا تقبل ظلماً أو عنفاً أو استقواءً أو تسلط مجموعة عرقية أو دينية ضد أخرى، كما أن هذه الأخلاق لا تواجه العنف بالعنف، لكنها تدعو للسلام وتسعى له. تحيا الكنيسة كجماعة مسؤولة في العالم فتكون صوتاً لمن لا صوت له. صحيح أن الكنيسة يجب أن تمد يد العون للمحتاجين، وأن تقدم مساعدات إنسانية لمساعدة اللاجئين ومتضرري الحروب، وألا تدخر جهوداً دبلوماسية لتدعو للسلام، لكن بنهوفر رأى أن الكنيسة يجب ألا تكفي بأن تضمّ جراحات الضحايا تحت عجلات قطار الظلم، بل أن تجد طريقة تتمكّن بها من إيقاف العجلة نفسها. (Larry L. Rasmussen, Berlin: 1932-1933: Dietrich Bonhoeffer Works, Volume 12, 2009, 365).

ثانياً: من هو المسيح بالنسبة لنا؟

يعتقد كثير من اللاهوتيين اليوم أن عقيدة المسيح Christology هي بالفعل

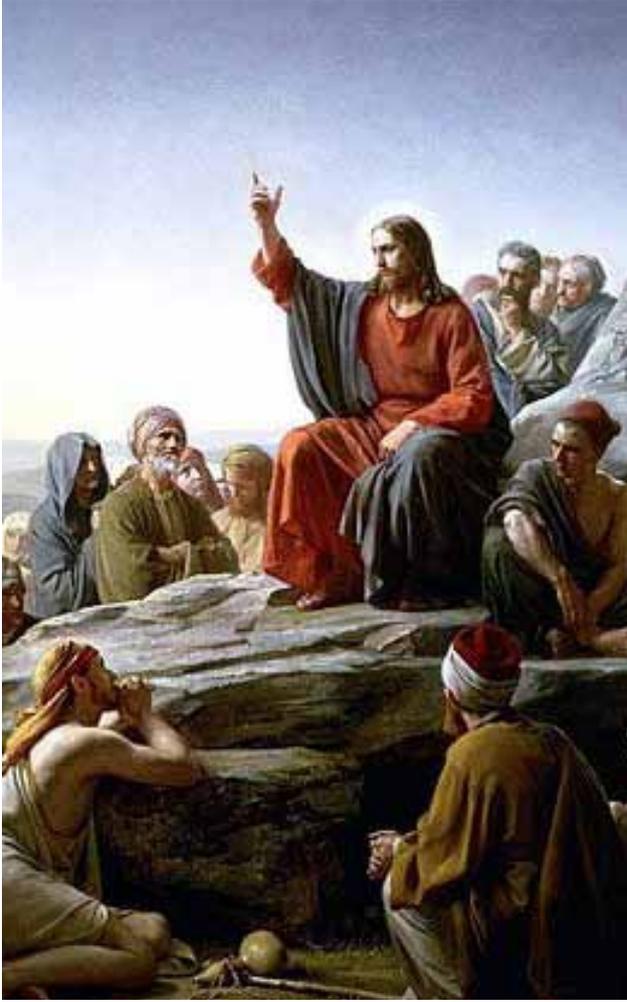
فلا كنيسة بدون إرسالية. رأى بنهوفر أن الكنيسة لن تكون كنيسة ولن تحقق هدف وجودها إن لم تتواجد من أجل الآخرين. في «خطابات وأوراق من السجن Letters and Papers from Prison» أشار بنهوفر للمسيح على أنه «الرجل الذي عاش لأجل الآخرين The man for others». (Dietrich Bonhoeffer, Letters and Papers from Prison, 1971, 381-82). إن كانت الكنيسة بحق هي جسد المسيح في العالم، ينبغي أيضاً أن تتواجد لأجل الآخرين. رأى بنهوفر أن الكنيسة في ألمانيا في بداية القرن العشرين عاشت للحفاظ على وجودها كمؤسسة أكثر من حفاظها على رسالتها، فصار لها اسم أنها حية لكنها ميتة.

كان حرياً بالكنيسة أن تصرخ «لا يحل لك» في وجه هتلر والنازية، لكنها قدمت طاعة عمياء. كان حرياً بالكنيسة أن تدعو إلى ثقافة العيش المشترك، في الوقت الذي صمتت فيه عن مظالم النازية التي طالت كل من لم ينتم إلى الجنس الآري. إن الأزمة التي مرّت بها ألمانيا في النصف الأول من القرن العشرين دعت بنهوفر أن يفكر في آلية لغرس ثقافة وقيم العيش المشترك. ما أحوج عالمنا اليوم لهذه الرسالة. عندما ننظر إلى عالمنا اليوم تزعجنا جداً عمليات التطهير العرقي والجرائم والعنف الموجهة ضد عرق أو جنس أو دين ما. ما أبشع ما

قلب فكر بنهوفر اللاهوتي وُصِّبَ إيمانه. بالرغم من أن بنهوفر قبل الإرث التاريخي لمجمع خلقدونية بخصوص عقيدة المسيح، إلا أنه أخذ مدخلاً مختلفاً لفهم هذه العقيدة وفي هذا اختلفت منهجية بنهوفر عن الكتابات اللاهوتية الكلاسيكية لفهم عقيدة المسيح. رأى بنهوفر أن المدخل لفهم عقيدة المسيح بالنسبة للكنيسة في ألمانيا في القرن العشرين يجب أن يكون «من» هو هذا الإله-الإنسان أكثر من كونه «كيف» يمكن أن يكون يسوع المسيح إلهاً وإنساناً في ذات الوقت وهو السؤال الذي ركز عليه مجمع خلقدونية. من هو المسيح بالنسبة للكنيسة في وجه النازية هو السؤال الذي دعا بنهوفر الكنيسة للصراع معه. رأى بنهوفر أنه على الكنيسة في كل عصر أن تُعيد اكتشاف من هو يسوع بالنسبة لها.

هذا التحول الاستفهامي مهم جداً لفهم عقيدة المسيح في فكر بنهوفر. إن التركيز هنا ليس على «حقائق»، مع أنها هامة، بل على «شخص» لأنه أكثر أهمية. ولأن الكنيسة -وليس المجتمع الخارج- هي التي قبلت إعلان المسيح باعتباره «كلمة الله»، فالكنيسة أيضاً منوطة اليوم أن تجيب على هذا السؤال المهم في قرينتها: «من أنت، يسوع المسيح، كلمة الله؟» (Dietrich Bonhoeffer, Letters and Papers from Prison, 1971, 381-82). بالنسبة لبنهوفر لا يمكن الحديث عن لاهوت وناسوت المسيح وكأنها «أشياء». إننا لا نتكلم عن شيء، بل عن شخص - شخص ربنا يسوع المسيح له كل المجد. وبناءً عليه فالسؤال الذي يدعونا بنهوفر للصراع معه باستمرار هو: أين يتواجد المسيح اليوم؟ إلى أين يدعونا المسيح؟ إلى ماذا يدعونا المسيح؟ سيظل إيماننا بالمسيح حبيس مجلدات اللاهوت





وإقرارات الإيمان الكنسية حتى تأخذ الكنيسة مجدداً الى العالم في صراع وتفاعل أمين مع واقعها. على الكنيسة في الزمان والمكان أن تحيا أمينة لدعوتها ورسالتها حيثما وكيفما وأينما يدعوها المسيح.

ثالثاً: مركزية حمل الصليب

تحتل عقيدة الصليب مكانة خاصة في اللاهوت الكتابي وفي الفكر المسيحي. لم يقل الرب يسوع أبداً إنَّ طريق التلمذة سيكون مفروشاً بالورد أو خالياً من التحديات، لكنه طريق حمل الصليب وقبول الموت الاختياري كما يذكر إنجيل لوقا ١٤: ٢٥-٢٧. لا مسيحية بدون صليب ولا صليب دون ألم وصراع وموت. حذر بنهوفر الكنيسة من الهروب من الصليب، من مسؤوليتها التي دعاها الرب لها في الزمان والمكان، والانجذاب إلى لاهوت المجد. عندما تهمل الكنيسة دورها ومسؤوليتها تجاه المحتاجين والمتألمين، المظلومين والمهمشين في المجتمع فهي تعيش ما أسماه بنهوفر بـ «النعمة الرخيصة Cheap grace» والعكس صحيح، عندما تعيش الكنيسة عمق دعوة ورسالة المسيح وتتصرف من منطلق مسؤوليتها وتعلن استعدادها لدفع الثمن مهما كان غالياً فهي تعيش «النعمة المكلفة Costly grace»، وشتان الفارق بين هذين النوعين من التجاوب مع نعمة الله المقدمة لنا بغنى في شخص المسيح. لقد تناست

الكنيسة في ألمانيا النازية هذه النعمة المكلفة.

لقد حارب بنهوفر «الإيمان السهل». يصف بنهوفر النعمة الرخيصة بأنها إيمان سهل، إيمان يرفض الصليب، بل ويتهرب من المسؤولية. يقول بنهوفر «إنَّ النعمة الرخيصة هي النعمة التي نصَّبغها نحن على أنفسنا... النعمة الرخيصة هي نعمة بدون تلمذة، هي نعمة بدون صليب، هي نعمة بدون يسوع المسيح الحي المتجسد». Dietrich Bonhoeffer, 2001, 44). النعمة الرخيصة لا تخلق فينا سلام الله؛ سلام المصالحة، لكنها تخلق فينا الرضا الكاذب والخادع



Incarnational Theology إذ أنه يحمل لنا عمق محبة الله وتضامنه مع الخليقة والإنسان ليس في الحياة فقط، بل في حياة نحن نعلم أن الصليب والالم الاختياري هو جزء لا يتجزأ منها.

لقد تكلم بنهوفر عن إله بدا ضعيفاً للناظرين. إله توحد مع الضعفاء. هذا الطرح من أصعب الأمور في قراءة فكر بنهوفر اللاهوتي، فكيف يكون الله ضعيفاً متألماً؟ رأى بنهوفر الله كما رآه النبي إشعياء، كالعبد المتألم، أو كما تقدمه لنا الأناجيل في صورة طفل بيت لحم، رآه في يسوع الناصري المصلوب. (Dietrich Bonhoeffer, 1971, 122) هذا الضعف، والذي هو أيضاً في نفس الوقت منتهى القوة، هو الطريق الذي رسمه الله لنفسه؛ الطريق الوحيد ليكون معنا ويُعين ضعفاتنا ويجعل عالمنا أفضل. لقد انتصر الله على القوة في العالم بضعفه. فهذا الإله المعلق مصلوباً، المتألم بأيدي الأثمة والأشرار، هو أيضاً إله ظافر منتصر قوي غالب. إن الله قد يتركنا

لنفس وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان. إنَّ النعمة الرخيصة هي نعمة دون تغيير عملي ملموس في واقع حياتنا. نعمة لا تأخذنا مجدداً للعالم. نعمة لا تكلفنا شيئاً. إنها نعمة سلبية لا تكثرث بأنات المتألمين وصرخات المظلومين.

وبينما نجد أن النعمة الرخيصة امتصت عصارَةَ الحياة من كنيسة الرب يسوع، وجد بنهوفر في النعمة المُكَلِّفة الحل الأمثل واحتياج الكنيسة الأكبر. يصف بنهوفر النعمة المُكَلِّفة بهذه الكلمات «النعمة المُكَلِّفة مُكَلِّفة لأنها تدعونا لحياة التلمذة. إنها نعمة لأنها تدعونا أن نتبع يسوع المسيح. إنها مُكَلِّفة لأنها قد تكلف التلميذ حياته. إنها نعمة لأنها تمنحنا حياة أفضل. إنها مُكَلِّفة لأنها تدين الخطيئة، لكنها نعمة لأنها تبرر الخاطئ. (Dietrich Bonhoeffer, 2001, 45).

لاهوت الصليب هو لاهوت منشغل بالعالم او World-oriented جوهره هو أخلاق المشاركة Participatory. إنه لاهوت يرفض أن يغلق عينيه أو يصم أذنيه عن احتياج المهمشين وعن صرخة المظلومين. إن قلب لاهوت الصليب هو إصراره الشديد على ربط العالم برسالة الإنجيل. يذكرنا لاهوت الصليب أن الله منشغل ومهتم بهذا العالم، بحروبه وصراعاته ومآسيه. الله مهتم بعالمنا قدر ارتباط صليب يسوع الناصري بأرض وصخور الجلجثة. بكلمات أخرى، إن لاهوت الصليب هو لاهوت تجسدي

فِي الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوْمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلًا لِإِلَهِنَا. كُلُّ وَطَاءٍ يَرْتَفِعُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكْمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَيَصِيرُ الْمَعْوَجُّ مُسْتَقِيمًا، وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلًا. فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا، لِأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ» (إش ٤٠: ٣-٥).

قائمة المراجع

Bethge, Eberhard. *Dietrich Bonhoeffer: A Biography*. Edited by Victoria J. Barnett. Translated

Eric Mosbacher, et al. Minneapolis: Fortress Press, 2000.

Bonhoeffer, Dietrich. *Discipleship*, vol. 4 of *Dietrich Bonhoeffer Works*. Edited by Geoffrey B.

Kelly & John D. Godsey. Minneapolis: Fortress Press, 2001.

Bonhoeffer, Dietrich. *Letters and Papers from Prison*. Edited by Eberhard Bethge. Translated by

Reginald Fuller, Frank Clark, and others. London: S.C.M. Press Ltd., 1971.

Kelly, Geoffrey B. & F. Burton Nelson, eds. *Dietrich Bonhoeffer, A Testament to Freedom: The*

Essential Writings of Dietrich Bonhoeffer. New York: Harper Collins, 1995.

Rasmussen, Larry L. *Berlin: 1932-1933: Dietrich Bonhoeffer Works, Volume 12*. Translated by

Douglas W. Scott, Isabel best, and David Higgins. Minneapolis: Fortress Press, 2009.

Robertson, Edwin. ed. *No Rusty Swords: Letters, Lectures, and Notes 1928-1936, From the*

Collected Works of Dietrich Bonhoeffer. Translated by Edwin H. Robertson and John

Bowden. New York: Harper and Row, 1947.

Robertson, Edwin. ed. and trans. *Voices in the Night: The Prison Poems of Dietrich*

Bonhoeffer. Grand Rapids: Zondervan, 1999.

إلى حين، لكنه في ذات الوقت الإله الذي معنا باستمرار. هو إله حاضر وموجود لكنه أيضًا إله محتجب. الله هو الأبعد عن أفكارنا وفوق تصوراتنا وهو في ذات الوقت الحاضر في وسطنا. «God is

the beyond in the midst of life.» (Dietrich Bonhoeffer, 1971, 93) قد لا

نرى الله اليوم حتى على هامش الحياة، لكنه سيظل دائمًا مركزها. إنه المتعالي وفي ذات الوقت الموجود في الوسط. إنَّ لاهوت الصليب لاهوت يملأنا بالرجاء.

ما أعظم الدور وما أكبر الرسالة التي دعا الله الكنيسة لها! لكننا في نفس الوقت نعلم جيدًا أنَّ الله عندما يدعونا لهذه المهام الجسام، فهو يؤهلنا لها أيضًا. لقد ترك بنهوفر للكنيسة إرثًا غنيًا ونموذجًا يُحتذى به في التكريس للسيد وشجاعة في مواجهة الشر. كيف تتحدى حياة بنهوفر الكنيسة اليوم باعتبارها جسد المسيح في العالم؟ إنَّ ديتريش بنهوفر لم يمت. إنه حي. إنه حي في تلاميذ المسيح اليوم الذين ما زالوا يتبعون خطى سيدهم بأمانة منكربين ذواتهم وهم يحملون الصليب كل يوم. إنه حي في الجماعة التي تموت كل يوم لتُظهر حياة يسوع فيها «حاملين في الجسد كل حين إمامة الرب يسوع، لكي تُظهر حياة يسوع أيضًا في جسدنا» (٢كو ٤: ١٠). ما زال صوت النبي إشعيا وصوت يوحنا المعمدان وصوت ديتريش بنهوفر يدوي في آذاننا حتى اليوم «صوت صارخ

قراءة في فكر هيرمان باقينك عن الحرب والمسيحية

«مَا هُوَ مَوْقِفُ الْأَخْلَاقِ الْمَسِيحِيَّةِ
تَجَاهِ الْحَرْبِ؟ هَلِ الْحَرْبُ لَهَا مَكَانٌ
فِي الْمَنْظُورِ الْمَسِيحِيِّ لِلْعَالَمِ؟ هَلِ
يَنْبَغِي إِدَانَةُ الْحَرْبِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي
كُلِّ مَكَانٍ وَمَعَارَضَتُهَا كَجَرِيمَةٍ؟ هَلِ
الْحَرْبُ لَهَا أَيُّ مَعْنَى أَمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ
سِوَى الظُّلْمِ وَالْقُوَّةِ الْغَاشِمَةِ وَعَمَلِ
الشَّيْطَانِ؟ (The) Herman Bavinck, «(Problem of War,» 46–53. Online
يتساءل هيرمان باقينك كغيره من
اللاهوتيين هذه الأسئلة عن الحرب
ويُجاوب مُعَبِّراً عن لاهوته بالاستناد
إلى الفكر الكتابي والفكر المسيحي
عبر القرون. فهذه الأسئلة لن تُحسَمَ
بنص واحد أو نقاش واحد كما
يدعي البعض؛ ولكن سيظل السؤال
مفتوحاً لمزيد من البحث، ولكل جيل
منهجية خاصة به ولكل جيل ظروفه
التي فيها ينشأ ويتفكر. فنعلم جميعاً
أن الحرب والانقسام وكل خطية هي



مينا عبدالله أنس

إسرائيل ضد الآلهة الوثنية. فيذكر الكتاب المقدس: الرب إله إسرائيل هو رب الجنود (اصم ١٧: ٤٥)، رجل الحرب (خر ١٥: ٣)، جبار في القتال (مز ٢٤: ٨)، يخوض حرباً مع شعبه (قضاة ٤: ١٤). هذه ليست وجهة نظر الناس فقط عن الحرب! بل وجهة نظر الأنبياء أيضاً: فشارك إبراهيم في المعركة ضد طغاة سدوم وعمورة (تك ١٤)، قاد موسى ويشوع والقضاة والملوك إسرائيل في المعارك ضد أعدائهم، حشد صموئيل النبي بني إسرائيل ضد الفلسطينيين (اصم ٧). بناءً على هذه النصوص يوضح بافينك: إن إسرائيل القديمة عاشت في ظروف مختلفة تماماً عن ظروف المجتمع المسيحي، ومن ثم لا يمكن أن يكون تاريخها مبدأ توجيهياً أو مثلاً لنا في حياتنا (Herman Bavinck, «The Problem of War», 46-53). ويمكن تلخيص وجهة نظر بافينك للعهد القديم في جانبين: أولاً، ما حدث من حروب في العهد القديم ليس دافعاً لتبرير حرب ما اليوم أو استخدام النصوص خارج قرينتها للدفاع عن قضية ما كما يفعل البعض؛ فهذه النصوص تخضع لتفسيرات سياقية وروحية ينبغي مراعاتها. ثانياً، لا يمكن إنكار أن الرب استخدم الحروب في العهد القديم لهدف أعلى وأسمى، فكثيراً ما يُخرج الله من ما يفعله الإنسان من شر غاية نافعة للبشرية. فقال متحدثاً عن طبيعة الله: «إن الله بالحقيقة صالح وقدير بحيث يجعل الخير يخرج من الشر، ويستطيع أن يجبر الشر، رغم طبيعته، على المساهمة في تمجيد اسمه وتوطيد ملكوته (هيرمان بافينك، بين العقل والإيمان، ج ٢، ص ٩٨)».

نتيجة لسقوط الإنسان، ولا يمكن أن ننكر أن هذه المعضلة شغلت الكثير من اللاهوتيين وتنوعت إجاباتهم وما زالت مفتوحة للتنوع لصعوبتها وارتباطها بالواقع بصورة مباشرة. فيسرد هذا المقال نظرة المُصلح الهولندي هيرمان بافينك للحرب من خلال ثلاثة جوانب. أولاً: نظرة هيرمان بافينك للعهد القديم عن الحرب. ثانياً: نظرة هيرمان بافينك للعهد الجديد عن الحرب. ثالثاً: استنتاجات هيرمان بافينك اللاهوتية عن الحرب.



أولاً: نظرة هيرمان بافينك للعهد القديم عن الحرب

لا أحد يستطيع أن ينكر أن الحرب في العهد القديم يُشار إليها على أنها حق إلهي من وقت الخروج حتى سقوط أورشليم عام ٧٠٠م، فكان يُنظر إلى هذا الصراع دينياً وأخلاقياً على أنه حرب شنّها إله

ثانياً: نظرة هيرمان بافينك للعهد الجديد عن الحرب

إنَّ الْمَسِيحَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ هُوَ الَّذِي جَلَبَ السَّلَامَ عَلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُودُنَا لِلسَّلَامِ، وَيؤَسِّسُ مَمْلَكَتَهُ عَلَى السَّلَامِ. فمضمون الإنجيل: هو تعبير عن صناعة السلام ما بينَ اللهُ والإنسان، وهذا السلام بالتأكيد له نتائج أخلاقية في الواقع بين الشعوب والأمم المتنوعة. فالجميع واحد في المسيح؛ فهو ليس فقط لأنقياء القلوب والفقراء! ولكن أيضاً صناع السلام والمسالمون يُدْعَوْنَ أبناءَ اللهِ. ففي العظة على الجبل حث تلاميذه على أن يتعاملوا بلطف وأن لا يُجاوبوا الشر بالشر. فالبعض يرى المعيار الأخلاقي للعهد الجديد مرتفعاً للغاية، لدرجة إنه من الناحية العملية يبدو غير قابل للتطبيق على أرض الواقع. فمقارنة كلمات السلام هذه بالواقع المرؤوع للحرب يقفان في تناقض حاد! لدرجة يبدو التوفيق بينهما يبدو مستحيلاً. فيأمرنا المسيح ألا نقاوم الشرير وأن نحب عدونا، ولكن في الحرب يكون العكس تماماً؛ مطلوب القتل والحرق والدمار وكل ما يُساهم في سقوط العدو. ومن هنا ظهر التناقض في نظرة رجال الكنيسة منذ العصور القديمة للحرب، وأدى ذلك إلى محاولات مختلفة للإجابة عن معضلة الحرب: فرفض البعض العالم باعتباره ملكاً للشيطان وسعى إلى الانعزال عن العالم، آخرون رفضوا تعاليم المسيح باعتبارها غير عملية في الواقع وأنكروا فاعليتها (Herman Bavinck, «The Problem of War», 46-53). وينتقد هيرمان بافينك هذين التوجهين القائلين بالانعزال أو ترك التعاليم، بأنه لا يمكن

موازمة مثل هذه المشاعر مع المسيحية سواء الانعزال أو ترك التعاليم المسيحية بحجة عدم فاعليتها في الواقع! فيقول: «فينعزل الراهب عن العالم ويدينه، أما يسوع فقد عزل نفسه وذهب إلى موضع خلاء ليقوي نفسه على الأعمال في وسط الناس (An. Willem J. de Wit, Invitation to Read Herman Bavinck in the Middle East,» 36). بالنسبة لبافينك من الضروري أن يكون لدى المسيحيين دعوة للمشاركة في الثقافة وهذه هي رسالتنا، كمؤمن لا يجوز للمرء أن ينسحب من المجتمع، فدعوتنا هي أن نذهب للعالم. وهذا ما قاله على الثورة الفرنسية ناقداً الاتجاهين المتطرفين: ليبراليون ومناهضون للثورة. ومن جانب آخر، يؤكد بافينك أنه لا ينبغي مساواة العظة على الجبل بالحياة المسيحية بالكامل، فمشكلة الحرب ليست بهذه البساطة بحيث يُمكن حلها من خلال نص واحد؛ بل هي جزء من قضية أوسع تَمَسُّ علاقة المسيحية بالحياة ككل. فهو لا يعني التقليل من شأن هذا النص، بل يشير بهذا إلى أهمية النظر إلى لاهوت الكتاب بصورة كلية عند تحليل قضية ما ذات أهمية مثل قضية الحرب سواء بالموافقة أو الرفض.

ويفسر بافينك نظرة العهد الجديد للحرب بأنَّ العهد الجديد لا يرفض أبداً المهنة العسكرية في حد ذاتها؛ فتلقى الجنود الذين أتوا إلى يوحنا المعمدان أمراً بعدم أخذ نقود بالقوة، ولكن ليس أمراً بترك الخدمة (لوقا ٣: ١٤). أعرب يسوع عن دهشته من الإيمان العظيم لقائد المئة وشفى عبده (متى ٨: ١٠)، تمَّ تعميده

الظلم والشر (The Problem of War, Herman Bavinck, 46-53). فالوقوف ضد الشر والظلم هو دعوة كتابية واضحة، فلا يمكن أن نتعايش مع ظالم أو نقبل تكبيل حرية أحدهم سواء شخص أو شعب على أساس خطأ أو بدعوة النظر فقط لجانب المسامحة والغفران في كلمات المسيح، فلم يدعنا يوماً أن نحيا بلا حرية أو بلا كرامة أو نترك الظالم بلا أن نقف أمامه ونعلن الحق. وأعتقد أن بافينك هنا يكرر ما قاله جون كالفن عن الحرب ودور الحكام: «فالحكام ينبغي أن يدافعوا عن رعيتهم، فلو كان التعليم المسيحي يدين كل الحروب بصورة مطلقة لكان ينبغي أن يقول يوحنا المعمدان للجنود الذين طلبوا مشورته حول خلاصهم أن يتخلصوا من أسلحتهم ويتركوا الخدمة ولكن قال لهم لا تظلموا ولا تشوا (لوقا: ٣: ١٤) (جون كالفن، أسس الدين المسيحي المجلد الثاني، ص ١٣٩٨)».

ثالثاً: استنتاجات هيرمان بافينك اللاهوتية عن الحرب

إنَّ الحُبَّ المسيحي يختلف اختلافاً جوهرياً عن الحُبِّ الحر، الذي يتم ترديده وتجميله كثيراً هذه الأيام. فالحُبُّ الحر ليس في الحقيقة سوى نقص في الانضباط وتحريم للعاطفة بلا حدود. فالمحبة المسيحية هي بالأحرى إتمام الناموس، وهي مفروضة بمشيئة الله؛ وواجب على الإنسان الذي يقيد بالضمير. هذا الحُبُّ ليس تعسفياً ولا اختياراً شخصي؛ لا يكمن فينا تحديد من/ ماذا يجب أن نحبه. فيعلمنا الكتاب المقدس أنَّ نحب الله كما يكشف عن ذاته هو وليس كما نتخيله نحن. ينبغي أنَّ نحب الجار الذي

كرنيليوس وعائلته بأكملها وتم قبولهم في الكنيسة (أعمال الرسل ١٠). دون أيّ تخوف تحدث يسوع في أحد أمثاله عن ملك جلس قبل ذهابه إلى الحرب، يفكر فيما إذا كان بإمكانه الانتصار بعشرة آلاف رجل، مقابل خصمه الذي لديه عشرون ألفاً (لوقا ١٤: ٣١). وبالمثل يسعد بولس باستخدام الصور العسكرية لوصف حياة المسيحي (رومية ١٣: ٦؛ ١ كورنثوس ٩: ٧، أفسس ١٠: ١٧-٦، ٢ تي ٢: ٣). وتشير أقوال المسيح هذه بوضوح إلى أن هناك ممتلكات روحية لها قيمة أكبر بكثير من الرخاء والسلام الشخصي، يأتي الله قبل الإنسان دائماً. محبته هي الوصية العظمى والأولى لنا (متى ٢٢: ٣٧-٣٨). فينبغي أن نطيعه أكثر من طاعة الرجال (أعمال الرسل ٥: ٢٩). لذلك يجب البحث عن مملكته وبره فوق كل شيء (متى ٦: ٣٣). لأن ملكوت السماوات كنز ولؤلؤة غالية الثمن (متى ١٣: ٤٤-٤٦). وهكذا فإن الإنسان أكثر قيمة من العالم كله (متى ١٦: ٢٦)، والنفس أكثر من الجسد (متى ٦: ٢٥). إذا ترشدنا تعاليم المسيح والرسل إلى إنه ينبغي علينا دون تردد أن نتخلى عن الأصغر لكي نشترك في الأعظم ونحافظ عليه. الحياة والازدهار والسلام ليست أعلى الممتلكات، هناك حالات ينبغي فيها التخلي عن الأعلى ومعارضته. لقد ترك لنا الشهداء مثلاً على ذلك، حتى المسيح لم يرض نفسه، فاحتمل عار الصليب (رومية ١٥: ٣). فالمسيح يشجع على الغفران والتسامح، ولكن من جانب آخر لم يختر الاتفاق والانحياز إلى مملكة الظلمة من أجل سلام مؤقت؛ فكان الحق والعدل أولوية عن السلام المزيف مع

المرء الدفاع عنها والإدلاء بالشهادة. على سبيل المثال، الحياة هي ملكية يمكن ويجب الدفاع عنها، في حالة الحاجة الضرورية، لكل إنسان الحق والواجب في الدفاع عن حياته والأسلحة في يده، قد يصعد المُتسلل إلى أي منزل بالعنف والقتل والنهب! فإن السُلطات المدعوة للحفاظ على العدل لا تحمل سيف الحرب عبثاً؛ إذا لزم الأمر في حالة الطوارئ ينبغي عليهم استخدام السيف في الداخل والخارج (Herman Bavinck, «The Problem of War», 46-53 of «War»). فيسعى هيرمان بافينك في هذا الجزء إلى محاولة التوفيق بين النص الكتابي والواقع، فالنص يأمر بالتسامح من جانب وجانب آخر يحثنا على قول الحق. والواقع يصرخ من العنف والشر ويقضي منا الدفاع والرد على الشر سعياً لمحاولة تجنب شره، وهذا ليس ضد الكتاب بل هو مطلب هام لنا في العالم الساقط (وهذا ما يُتبع من جهة الحكومات التي تسعى لحماية مواطنيها). فمن الجدير بالذكر أن رجال الكنيسة المسيحية بمختلف توجهاتهم لم يدينوا المحارب/الحرب التي تختص بالاستدعاء للجيش والخدمة للوطن «خدمة الوطن لا تعني الاعتداء على آخرهما كان المبرر؛ ولكن فقط من أجل الدفاع والحماية لما لنا كبشر سواء في الداخل أو الخارج»، فدعوتها حسب كلام المسيح أن تقدم لله ما هو لله وأن تقدم لقيصر ما لقيصر (Herman Bavinck, «The Problem of War», 46-53). وفي وجهة نظري لا يمكن تعميم هذا الرأي القائل بأن رجال الكنيسة لم يدينوا المحارب والحرب التي تختص بالوطن! لأننا نقرأ في كثير من المصادر معارضة الآباء لكثير من الحروب التي تختص بالدولة. «فالمسيحيون

يضعه الله بجوارنا وليس من نختاره ونتلذذ معه، ينبغي أن نحب كل ما هو حقيقي وصالح ونقي - لذلك يوجد حُب حقيقي وحُب زائف. وبالمثل، هناك سلام جيد يجب أن نجاهد ونسعى إلى الحفاظ عليه مع الجميع، ولكن هناك أيضاً سلام مزيف وخاطئ يجب كسره. فمن أجل سلام، بالأكاذيب والظلم عن طريق التنازل نعقد معاهدة أو سمحنا بهدوء على أساس ما هو خطأ! فإننا نكون ضعفاء وننكر الحقيقة والفضيلة ضد هذا السلام الزائف. ادعى يسوع أنه جاء ليلقي النار على الأرض (لوقا ١٢: ٤٩). هناك قوى في هذا العالم لا يمكننا أبداً العيش معها بشروط سلمية، هناك حقائق وحقوق وممتلكات روحية وكنوز غير مادية يجب أن نكون مستعدين للتضحية بكل شيء من أجلها: السلام والهدوء والاحترام والسمعة، وحتى الحُب لعائلتنا وحياتنا. قد تكون الظروف في هذا العالم غير مفهومة، خطيرة، معقدة لدرجة أن الحُب نفسه قد يجبرنا على كسر السلام والانخراط في المعركة. كان من الأفضل أن يلتزم الأنبياء مثل إرميا الصمت ويقضون أيامهم في سلام وطمأنينة، لكنهم لم يستطيعوا ذلك ولم يُسمح لهم بذلك؛ تكلموا لأنهم آمنوا وكافحوا ضد أمتهم لأنهم أحبوا. بمحبته الكبيرة لله وللإنسان، دفع يسوع نفسه حتى الموت لمقاومة كل قوى الشر. بولس الذي بشر بنفس روح المغفرة (رومية ١٢: ١٧-٢١)، (١ تسالونيكي ٥: ١٥)، (١ بطرس ٣: ٩) أيضاً يناشد حقوقه كمواطن روماني (أعمال ٢٢: ٢٥). الإهانات الشخصية يمكن ويجب أن تُغفر، ولكن عندما يتم الاعتداء على الحق أو العدالة وفقاً للمبادئ المسيحية التي تضع ملكوت الله وبره فوق كل شيء آخر، من واجب



الذي يحتاج إلى مزيد من البحث والاجتهاد: من الذي سيحدد مقياس العدل والحق الذي على أساسه تُقام الحرب؟!

تجدر الإشارة إلى إنه بعد الاجتياز بخبرة الآثار المدمرة للحرب يكون للشخص توجه أكثر نحو محاولة منعها بكل الطرق، بدلاً من محاولة تقييمها هل هي عادلة أم لا وهذا ما أقر به بافينك. «فعندما نظر هيرمان بافينك Herman Bavinck إلى الحرب العالمية الأولى في عام ١٩٢٠م والآثار المترتبة عليها كتب هذه الكلمات تعبيراً عن رفضه الشديد للحرب: عندما يستعرض المرء الحرب في بدايتها وتقدمها ونهايتها، يجد أنه من الصعب قول أي شيء جيد عنها؛ فالحرب لم تجلب سوى اليأس للعالم. إن دعوتنا المسيحية قبل كل شيء أن نستخدم كل الوسائل المتاحة والمسموحة، وأن نبذل قصارى جهدنا لمنع تكرار مثل هذه الكارثة مرة أخرى. لا شك أن الله لديه القدرة على إخراج الخير مما ابتكره الإنسان من شر، ويبقى ذلك تعزية لنا في وسط هذا البلاء- لكن قوة الله هذه ليست قاعدة لسلوكنا ولا مبرر لنا! (Dirk Keulen, «Herman Bavinck and the van War Question,» in Christian Faith and Violence, (140).»

الأوائل عارضوا الانضمام للعسكرية للعديد من الأسباب وتم تلخيص هذه الأسباب بواسطة Adolf von Harnack: سفك الدماء في المعركة، التعذيب في المحاكم... إلخ (Robinson, The Testimony of the. Jerry) Early Church Fathers On Violence and «(War. online

فيرى بافينك أن الأخلاق المسيحية تسمح باستنتاج أنه يمكن أن تكون هناك حروب جيدة وعادلة! ربما هم قليلون من حيث العدد. وفي كل حرب حتى أكثرها عدلاً، تحدث أشياء كثيرة تدينها المسيحية والإنسانية بشدة، ومع ذلك لا الكتاب المقدس ولا التاريخ يقدمان أسباباً كافية لشجب كل حرب دون قيد أو شرط. ويقدم بافينك معايير يمكن أن تكون الحرب فيها عادلة: أن تمتثل لمطالب المبادئ العليا الأخلاقية الإنسانية، وتخدم وتحفظ العدالة، عندها فقط يتم شنها في حالة الضرورة القصوى. إذاً لا يمكن تبرير الحرب في حق القوة ولا الفضائل مثل: حب الوطن، البطولة، الصمود، الوحدة، الاستعداد لتقديم التضحيات. إذا كان يجب الدفاع عن الحرب، ينبغي أن تمر هي نفسها قبل خوضها باختبار العدالة الصارم جداً. ولا يوجد أي تبرير آخر للحرب مثل: التوسع الثقافي المكاني أو التقدم بالمسيحية أو بأي معتقد (The Problem. Herman Bavinck, «of War,» 46-53). إن بافينك ينكر أي مسعى للحرب سوى العدل، فلا مجال لتبرير أي توجه يكون إقصاء الآخر أو الحصول على المنفعة المادية. ولم تأمر المسيحية يوماً بأي اعتداء على الآخر بهدف تبشيري أو أي توسع، ولا يمكن تبرير أي توجه بحجة انتشار دين أو طلب للهيمنة. ولكن يبقى السؤال

(قراءة نقدية)

Hacksaw Ridge

مُقدمة

تُناقش النسور هذا العدد أمراً من أهم الأمور التي تواجه الإنسانية جمعاء، وهو الحرب، فمنذ قديم الأيام والحرب موجودة بين البشر بأشكال وأنواع مختلفة. وبالطبع يوجد رؤى وردود أفعال متباينة اتجاه الحرب، فأصبحت قضية الحرب ليست مجرد قضية عملية بل قضية فلسفية وأخلاقية ذات أهمية كبرى في مجال الفكر والفلسفة.

وفي إطار هذا السياق، رأينا أن نُقدّم لك عزيزي القارئ عرضاً لأحد الأفلام التي تعرضت لقضية الحرب، ولا سيما من خلفية دينية شبه مسيحية، ورأينا ليس أن نُقدّم عرضاً فقط بل أن نُقدّم نقداً لهذا العمل السينمائي. وللتوضيح نؤكد أن النقد ليس نقداً فنياً بل نقداً فكرياً



القس بيتروديع

منها شخصاً مريضاً نفسياً يداوم على شرب الكحول، في يوم كاد الأب أن يقتل ابنه من كثرة الثمالة، حاول دوس الدفاع عن أخيه حتى كاد أن يقتل والده بالمسدس. مما جعله يشعر بالذنب، ومن هنا أخذ دوس عهداً على نفسه ألا يقوم باستخدام المسدس مرة أخرى.

وفي يوم ذهب دوس إلى المستشفى للتبرع بالدم من أجل الجنود في الحرب، وهنا قابل دوروثي الممرضة الجميلة الرقيقة، كان حلم دوس أن يصبح طبيباً، فمن هنا انجذب كثيراً لدوروثي، ووقعا بالحب سوياً.

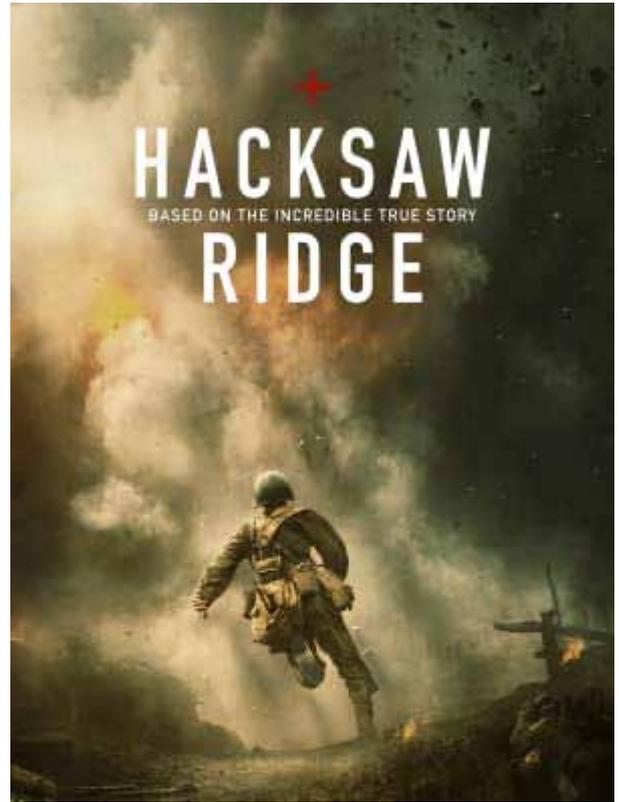
ثم بعد ذلك قام الجيش باستدعاء دوس للمشاركة في الحرب، لكن دوس كان رافضاً كلياً أن يستخدم السلاح في وجه أي إنسان، لأن ذلك مُخالف للوصية الدينية «لا تقتل». ولأن القانون لا يجبر أي شخص على فعل شيء لا يريده، تم نقل دوس إلى قسم الخدمات والإسعافات الطبية، وبالطبع ذلك بعد تدخل من القيادات العسكرية بالجيش.

الجميع كان يرى دوس شخصاً جباناً عديم الفائدة، قاموا بالتمرد عليه وحتى بالضرب، وهو بالمقابل كان شخصاً مسالماً لا يريد أن يتعامل بالعنف مع زملائه إطلاقاً.

وأثناء الحرب العالمية الثانية، ذهب دوس إلى ساحة المعركة، وما زال يُصمم على عدم استخدام السلاح ضد أي شخص. وعندما اشتدت حدة القتال بين الجيش الأمريكي والجيش الياباني، حاول دوس إسعاف عدد كبير من الجنود معرضاً حياته للخطر. وأثناء

ولاهوتياً، وهذا ليس إلا على سبيل التفكير في هذا العمل الهام المرتبط بتلك القضية الهامة، ومحاولة الاقتراب من هذه القضية بطريقة مختلفة.

عرض الفيلم



فيلم Hacksaw Ridge يُترجم حرفياً: مرتفع المنشار. Hacksaw = منشار المعادن، Ridge = مُرتفع/قمة جبل. تم إنتاجه عام ٢٠١٦م، وكان من إخراج ميل جيبسون، تأليف روبرت شينكان. عُرض لأول مرة في ٤ سبتمبر ٢٠١٦م، من خلال مهرجان البندقية السينمائي الثالث والسبعين، حيث استُقبل بحفاوة بالغة.

الفيلم يروي قصة دوس، شاب متدين، ينتمي للمذهب السبتى المسيحي، يعيش مع أسرته المكونة من الأم، الأب، الأخ، شارك والده في الحرب العالمية الأولى، وخرج

من أنه شخص جبان عديم الفائدة إلى أنه جندي شجاع خاطر بنفسه لينقذ غيره. استطاع دوس أن ينزل عبر الجبل مثلما فعل مع الجنود المصابين وتم نقله ومعالجته، وذهب قائد الجيش ليقدم له الاعتذار عما بدر منه من تمر وسوء معاملة.

وينتهي الفيلم بمشهده الأخير باشتباك القوات الأمريكية واليابانية، واستسلام اليابانيين ورفع الراية البيضاء كخدعة، وبعدها يقومون برمي المتفجرات على الجنود الأمريكيين، ويحاول دوس صد القنابل ورميها نحو الجنود اليابانيين، فيصاب وينقل على مخيمات الإسعافات.

تنتهي الحرب ويتزوج دوس من حبيبته دوروثي، ويأخذ وسام الشرف، ويظل دوس ودوروثي متزوجين إلى عام ١٩٩١م، وهو العام الذي تموت فيه دوروثي، ويلحق بها دوس في عام ٢٠٠٦م.

نقد الفيلم

من الواضح أن هذا الفيلم هو فيلم عظيم فعلاً من الناحية الفنية فالمخرج ميل جيبسون، هو مخرج عالمي، وله العديد من الأعمال العظيمة. ولكن نحن هنا ليس بصدد تقييم الفيلم من الناحية الفنية والسينمائية، ولكننا بصدد التقييم فكري/ لاهوتي لهذا العمل. ونحن نرى أن لهذا الفيلم جانبين، أحدهما إيجابي والآخر سلبي، وسنقوم بذكر الإيجابي أولاً ثم السلبي.

الجانب الإيجابي

نرى في البطل العديد من الأمور الإيجابية،

إسعاف أحد الجنود الأمريكيين، لوحظ رؤيته من قبل الجنود اليابانيين فذهب مسرعاً لخدق للاختباء فيه.

وإذ فجأة ينظر أمامه ليرى جندياً يابانياً مصاباً داخل الخندق فيقوم بإسعافه، ويأتي الليل ويذهب دوس إلى ساحة المعركة، لينقذ ما يمكن إنقاذه، فيقوم بإنقاذ عدد كبير من الجنود، تقريباً ٧٥ جندياً، عن طريق ربطهم بحبل ونزولهم عبر الجبل لتقوم سيارات الجيش الأمريكي بنقلهم إلى مخيمات الإسعافات.

وأثناء تفقد قائد الجيش المصابين لاحظ الارتفاع في شفاء عدد المصابين، الذين كانوا ٣٥ جندياً فكيف أصبحوا ٧٥ جندياً؟ فمر عليهم لسؤالهم عن أنقذ حياتهم فكانت إجاباتهم جميعاً بأن الجندي دوس من أنقذنا وخاطر بحياته.

في النهاية تغيرت نظرة الجميع لدوس





فهو متدين ومُتمسك بالعتيدة التي يتبناها، وهذا ما قاده لأن يكون مُسعفاً مُسالماً، ولم يرد أن يمسك سلاحاً حتى أثناء الحرب. وهذا يُرينا أمرين في غاية الأهمية، أولاً هو أن يكون للشخص مبدأً، فليس من الجيد أن يكون الإنسان بلا مبادئ خلال رحلة الحياة، فمن المفروض أن يكون للشخص مبادئ واضحة ومنظومة قيم تحكم سلوكه وتصرفاته.

ومن زاوية أخرى تأتي هذه الوصية للأفراد، ولا تتكلم عن الدول والبلاد، التي تريد أن تحمي أوطانها.

وعلى كل حال، من الرائع أن نتمسك بالنصوص المقدسة وأن يكون لدينا منظومة قيم دينية وأخلاقية. ولكن يجب دائماً توخي الحذر من التشدد الديني الذي قد يقود للتطرف والتزمت، حيث إن كل الجماعات المتطرفة دينياً، تتبنى تفسيراً حرفياً للنصوص، وهذا أمر في غاية الخطورة، ويجب أن نكون على وعي به، حتى لا نقع في هذا الفخ.

أخيراً

تعتبر قضية الحرب من أصعب القضايا الأخلاقية، وليس من السهل أبداً تحديد موقف بسهولة، وفي فيلم **Hacksaw Ridge** تعرض لهذه القضية بناء على واقعة تاريخية حدثت بالفعل، ونحن لسنا بصدد الحكم أو إدانة أي شخص مهما كان توجهه الفكري أو الديني، ولكننا أردنا أن نُفكر بشكل نقدي، ونُقيم هذا الفيلم بطريقة موضوعية، حتى نحقق أقصى استفادة من الفيلم، ومن ثم الاقتراب من قضية الحرب بطريقة جادة وموضوعية.

والأمر الثاني هو التمسك بتلك المبادئ، فليست القضية أن يكون للفرد منظومة قيم سامية وراقية، ولكن المسألة تكمن مدى التمسك بهذه المنظومة، ومدى تطبيقها بشكل عملي في الحياة. وبالتأكيد يُختبر التمسك بهذه القيم أمام التحديات وفي المواقف الصعب التي تكون ضاغطة، فمثل هي المحكات هي بمثابة الاختبار الحقيقي لهذه القيم.

الجانب السلبي

ينتمي بطل الفيلم إلى مذهب مُتشدد دينياً وهو مذهب السبتيين، الذين يأخذون وصية تقديس يوم السبت بشكل حرفي، ولا يريدون أن يفعلوا أي فعل يوم السبت تطبيقاً لهذه الوصية.

ولم يرد بطل الفيلم أن يُمسك سلاحاً ولا أن يقاتل في الحرب ضد أعداء وطنه، وذلك استناداً على تأويل حرفي للنصوص المقدسة، فهو تمسك بشكل متزمت جداً بالوصية التي تقول «لا تقتل»، في حين أن هذه الوصية تتكلم عن المبادرة في القتل، ولا تتكلم عن الدفاع عن النفس من زاوية،

أكثرها تأثيرًا وتدميرًا..

الجيل الرابع والخامس.. حروب المعلومات الافتراضية!

تعد الحروب ظاهرة إنسانية قديمة.. وعلى مر التاريخ الإنساني.. كانت النزاعات والحروب لها وجود في كافة العصور بين الممالك والإمبراطوريات القديمة، ودائمًا ما تترك الحروب خلفها الآلاف من القتلى والجرحى. وتندلع الحروب في بعض الأحيان من أجل حصول دولة ما على استقلاليتها، أو لدفاع شعب معين عن حريته واستقلاله وتحرير نفسه من أطماع دولة أخرى تكون قد فرضت هيمنتها بقوة السلاح.



هاني لبيب

تعريفات

من أكثر التعريفات شيوعاً لمفهوم الحرب بأنها «قتال بين فئتين» حسب تعريف معجم المعاني الجامع. كما يرى العديد من المفكرين أن الحرب هي ظاهرة تعبر عن شكل من أشكال العنف الجماعي المنظم التي يصل تأثيرها إلى إعادة صياغة شكل العلاقات بين بلدين أو مجتمعين أو أكثر، وما يترتب على نتائج هذا العنف من تشكيل مراكز قوة جديدة سواء داخل المجتمع أو دولية.

أضرار الحروب

للحروب آثار سلبية ومؤثرة جداً على المجتمعات البشرية.. وعلى سبيل المثال:

١- إهدار موارد الدولة وثرواتها.. مما يكون له تداعيات سلبية على الحياة اليومية للشعوب.

ترتبط الحروب الآن بوضع نتيجة حاسمة للخلافات الدولية المرتبطة بالكيانات الاقتصادية والاجتماعية للدول الأطراف والمشاركة في الحرب بعد أن يتعثر حل النزاعات والخلافات بالطرق السلمية. والقاعدة الأساسية أنه لا توجد حرب عادلة.. في ظل سعي كل طرف للانتصار وتحقيق مكاسب على أرض الواقع في مقابل تكبيد الطرف المهزوم أكبر قدر من الخسائر التي من شأنها تمهيد الطريق لانكساره وتراجعها، وتدمير قوته. فضلاً عن عدم الالتزام بقواعد ومحاذير ما هو مسموح وغير مسموح في علاقات أطراف الحرب فيما يخص التعامل مع المدنيين ومع الأسرى وغيرها.. طبقاً للقوانين والأعراف والمواثيق والمعاهدات الدولية.



بدلاً من محاربة الدول الأعداء بنفسها بشكل مباشر. على غرار العديد من الصراعات العسكرية التي حدثت خلال الحرب الباردة: مثل الحرب الكورية وحرب فيتنام، والتي يمكن وصفها بأنها كانت حروباً بالوكالة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

أجيال الحروب

الجيل الأول: وهي الحروب التي كانت تُمارس باستخدام السيوف والسهام والعجلات الحربية. على غرار الحروب المنقوشة على جدران المعابد الفرعونية.

الجيل الثاني: وهي الحروب التي اعتمدت على استخدام البارود، واختراع البنادق والمدافع. على غرار معارك نابليون بونابرت.

الجيل الثالث: وتنقسم إلى..

- حروب تقليدية: استخدمت الدبابات والمدرعات والطائرات المقاتلة والمدمرات والبوارج والغواصات، واستخدمت القوات البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوي والقوات الخاصة. على غرار الحرب العالمية الأولى.

- حروب نووية: باستخدام التكنولوجيا الحديثة في تطوير الأسلحة الفتاكة والأكثر تدميراً. على غرار إلقاء الولايات

٢- الاستهانة بحياة العديد من المواطنين.

٣- التكلفة المادية الضخمة.. تتسبب في تراجع التقدم في البرامج والخطط الاقتصادية والاستثمارية للدول.

٤- زيادة معدل ارتكاب الجرائم، وشيوع مناخ الفوضى المجتمعية وعدم الاستقرار.

أنواع الحرب

يصنف الخبراء الحروب على النحو التالي:

١- الحرب الشاملة: مدمرة للغاية، ويتم فيها استخدام كل الوسائل لتدمير كل طرف للطرف المقابل، وذلك على غرار الحربين العالميتين الأولى والثانية.

٢- حرب العصابات «الميليشيات المسلحة»: استخدام المجموعات المسلحة بدلاً من الجيوش النظامية المدربة لإسقاط حكومات دولهم، على غرار: ما حدث للولايات المتحدة الأمريكية في حربها مع فيتنام.

٣- الحرب الأهلية: حرب بين مجموعات مختلفة من المواطنين داخل الدولة الواحدة بهدف السيطرة على الحكومة، وعدم الاعتراف بحق المنافسين من قبائل وعائلات وعشائر وأعراق وغيرهما في الحكم. على غرار: الحرب الأهلية الأمريكية بين ولايات الشمال والجنوب.

٤- الحرب بالوكالة: حرب يخوضها مرتزقة

إلى استخدام العنف الجسدي والقتل والتخريب والعمليات الإرهابية.

تاريخ

ظهر مصطلح «حروب الجيل الرابع» في نهاية ثمانينات القرن الماضي. وتم الترويج له بعد حرب الخليج بسبب ما تكبدته الولايات المتحدة الأمريكية من خسائر بشرية ومادية فادحة. وهو ما جعل مراكز الأبحاث الأمريكية تجتهد في وجود قواعد وحلول بديلة لأي حرب تكون هي طرف فيها. وأول هذه القواعد هو عدم التدخل في مواجهات مباشرة مع أعدائها، واستخدام المواجهات غير المباشرة.

لم يجد مفهوم «حروب الجيل الرابع» اهتماماً لدينا سوى بعد ما أطلق غربياً على ما يحدث في البلاد العربية منذ بداية شهر يناير ٢٠١١ بـ«ثورات الربيع العربي». والتي استهدفت الإطاحة بالأنظمة السياسية.. اعتراضاً واحتجاجاً على التحديات والمشكلات التي تواجه المواطنين في كافة مناحي الحياة. وزاد الاهتمام بمفهوم تلك



المتحدة الأمريكية القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكي في اليابان، ونهاية الحرب العالمية الثانية.

الجيل الرابع: يركز على هدم الدولة من الداخل، دون استخدام القوة العسكرية المباشرة، ثم فرض أجندة خارجية بشروط محددة. على غرار ما أُطلق عليه «ثورات الربيع العربي».

الجيل الخامس: يركز على احتلال العقول لا الأرض، واستخدام العنف غير المسلح من خلال استخدام وتوظيف جماعات عقائدية مسلحة وعصابات التهريب المنظمة والتنظيمات الصغيرة المدربة من أجل صنع حروب داخلية لإسقاط الدول.

حروب المعلومات الافتراضية

من أخطر أنواع الحروب هي حروب الجيل الرابع والجيل الخامس لكونها تركز على هدم الدولة من الداخل من خلال الترويج لمعلومات وأفكار موجهة دون الحاجة إلى استخدام القوة العسكرية المباشرة.. لكونها تعتمد على استخدام وسائل الإعلام الحديثة للترويج لمعلومات محددة بهدف رسم صورة ذهنية تراكمية تصل في نهايتها لحالة الفوضى المطلوبة باستهداف عقول الشعوب. وتستخدم كافة الأدوات المتاحة سياسياً واجتماعياً ودينيًا.. حتى لو وصل الأمر

والانتماءات الوطنية للأرض والوطن، وتوظيفها في الدفع بها للشارع تجنباً لدخول في أزمة المواجهات المباشرة مع القوات المسلحة للدول المستهدفة.. بهدف تراجع الدولة وإجبارها على التخلي عن تحقيق مصالحها الوطنية لصالح أهداف دول خارجية، والوصول لحالة يتم الإيحاء فيها بفشل الدولة، وفرض واقع جديد يتم فيه زعزعة الاستقرار وشيوع مناخ التشكيك والعمالة والخيانة للمزيد من الانقسام في المجتمع بين الشعب والحكومة وبين الشعب وقواته المسلحة. وهو ما يعني عدم التزام تلك الحروب بأي قواعد أو قيود أخلاقية.

أهداف حروب الجيل الرابع والخامس

ويمكن تحديدها بين أهداف داخلية وخارجية..

الداخلية:

- إنهاك قوة الدولة، وزعزعة استقرارها، وتشثيتها من خلال الانفجار الداخلي.
- تحفيز الانقسام والفرقة بين التيارات السياسية والاجتماعية من خلال نشر الفتن والشائعات والنزاعات.

الحرب بعد أن وصلت بعض المجتمعات العربية إلى حالة الصراع الداخلي المسلح أو ما يعرف بـ«الحروب الأهلية». وما نتج عن ذلك من انتشار التنظيمات والجماعات الإرهابية التي استغلت حالة عدم الاستقرار والفوضى في المنطقة لمحاولة فرض شكل جديد يتخذ من الدين وسيلة لفرض دولة الخلافة التي تحقق لهم المزيد من الهيمنة والسيطرة لصالح تنفيذ أجندات ربما تكون أبعد وأكبر كثيراً من طموحاتهم في مجرد تثبيت مكانتهم في السلطة والسيطرة. وهي مصالح لها ارتباط بمنظومة الاقتصاد العالمي خاصة في مجال السيطرة على مراكز الطاقة بالدرجة الأولى.

ويجب الانتباه هنا إلى أن حروب الجيلين الرابع والخامس.. لا تستهدف الجيوش النظامية بشكل مباشر لكونها تستخدم القوات والجماعات غير النظامية التي تتجاوز الولاءات





بأهمية الحفاظ على قوة الدولة.. لكسب المزيد من المؤيدين والموالين، وتحييد من يرفض أفكارهم.

نقطة ومن أول السطر..

بعد أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١.. واجهت مصر حرب الجيل الرابع، والتي استخدمت مخططات مركبة.. تحالفت فيها تقنيات الميديا ووسائل التواصل الاجتماعي للاختراق السياسي وتغيير المجتمع في أشكال افتراضية وهمية للإصلاح السياسي.

ولكن.. تبقى ثورة ٣٠ يونيو كعلامة فارقة.. للتأكيد على قدرة الشعوب في مواجهة أي مخططات خارجية والحفاظ على المستقبل ضد التقسيم والتزييف وهدم المجتمعات.

- دعم ظهور العديد من الحركات الاحتجاجية، والتشكيك في الهوية الوطنية.
- تفتيت مؤسسات الدولة وإضعافها، وإفشال مخططات الدولة للتنمية والنهوض.
- اللجوء للاعتصامات والاحتجاجات لتعطيل الحياة اليومية.
- استخدام العنف واللجوء للتخريب والتدمير.
- توظيف الميديا ووسائل التواصل الاجتماعي في تجنيد واستقطاب الشباب والمرأة.

الخارجية:

- إسقاط الدولة من الداخل.. دون التورط في الدخول العسكري.
- تجنب التورط في انتهاك القوانين الدولية، والاتهام باقتحام الشأن الداخلي للدول.
- القدرة على تشويه صورة النظام السياسي للدول المستهدفة.
- فرض العقوبات الاقتصادية، وتعليق المساعدات الدولية والإنسانية.
- ومع ملاحظة، أن توظيف الميديا ووسائل التواصل الاجتماعي للتأكيد على الحفاظ شكلاً على المؤسسة العسكرية للدول، والترويج افتراضياً

عرض كتاب

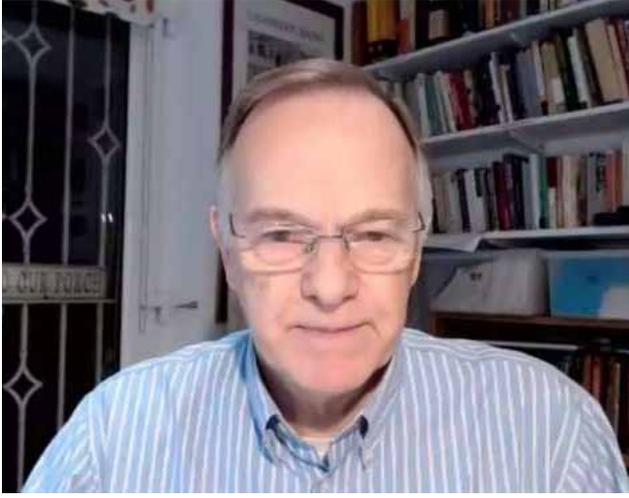


الخلاص

كريستوفر رايت



جرجس صبحي



والحقيقة» لجون ستوت، «لغز الإنسان» لجو كابوليو.

يضم الكتاب سبعة فصول تتناول علاقة الخلاص بمختلف الجوانب الإنسانية والإلهية؛ الخلاص والاحتياج البشري، الخلاص وهوية الله الفريدة، الخلاص وبركات عهد الله، الخلاص واختبارنا، الخلاص وسيادة الله الخلاص وحَمَلُ الله. وينتهي كل فصل بمجموعة أسئلة للمناقشة.

الخلاص والاحتياج البشري

يستهل الكاتب أفكار هذا الفصل بتشبيهه بديع للنص الكتابي رؤيا ٧: ١٠ بأغنية الختام أو الرقصة النهائية في الدراما الموسيقية العظيمة التي تنتهي بتصفيق مدوّ. ويتساءل الكاتب عن ما يمكن أن تعنيه عبارة «الخلاص لإلهنا» في عقل كاتبها. مشيراً إلى حاجة البشر للخلاص، وأنها كمخلوقات ضعيفة وساقطة لدينا مدى غير محدود من الاحتياجات وأنها دائماً في حاجة إلى من يخلصنا ويحررنا. وينتقل فيما بعد لجدلية

«الْخَلاصُ لِإِلَهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخُرُوفِ» (رؤيا ٧: ١٠) من هذه الآية ينطلق كريستوفر رايت في كتاب «الخلاص» ليكتشف «ما هي الافتراضات الكتابية والمحتوى والتوقعات والمعاني التي تحتضنها العبارات البسيطة في الآية»، متناولاً النص ومقلباً إياه على كل الوجوه في ضوء باقي القصة الكتابية والتعليم الكتابي، ليوضح القارئ كيف يستخدم الكتاب المقدس لغة الخلاص بهذه الطرق متعددة الأوجه. مثلما أوضح في مقدمته للكتاب.

صدرت النسخة العربية للكتاب عام ٢٠٠٥ من دار الثقافة، وترجمه وليم هارفي. وهو يأتي ضمن سلسلة كتب تحت عنوان المكتبة المسيحية العالمية، والتي صدرت بهدف تقديم المزيد من الكتب من قبل كتاب غير غربيين لكي تعكس ثقافتهم، بهدف نشر الفهم الكتابي بحرية في جميع الاتجاهات. وفقاً لما ورد في مقدمة السلسلة لجون ستوت ودافيد سميث. وصدر عن هذه السلسلة مجموعة من الكتب منها: «إرسالية هذا الجيل» لصمويل اسكوبار، «الإنجيليون

• الإنقاذ من الأخطار الجسدية والروحية
(٢ كورنثوس ١: ٨-١٠)

بعد ذلك يشرح مفهوم الخلاص من الخطية في العهد القديم ثم في العهد الجديد. ويؤكد في نهاية هذا الفصل أن الشمولية الكتابية لعمل الله الخلاصي يجب ألا تفصلها أو نحدد مصطلحات مثل «لاهوتي»، أو «روحي» على أحد أبعاد الخلاص، ففي النهاية إله الكتاب المقدس قد نجى وهو ينجي وسينجي شعبه وعالمه في كل مستويات بشريتنا وخلقنا.

الخلاص وهوية الله الفريدة

يكشف الكاتب في هذا الفصل وجهين للنص الكتابي رؤيا ٧: ١٠:

- الخلاص هو لله: بمعنى أن الخلاص أمر يملكه الله وليس نحن
- الخلاص يخص إلهنا: أي جزء من هوية الله، فهو الله المخلص

ومن هذين الوجهين يتشعب في موقف هوية الله من الخلاص؛ فهو صفة الله. مؤكداً أننا نميل للتفكير في الخلاص بأنه شيء متمركز في نفوسنا: نحن الذين نحتاج للحصول على الخلاص ونريد أن نعرف كيف نجد الخلاص ونخبر الآخرين عن كيف وجدنا الخلاص وكيف يمكنهم أن يجدوه، مشدداً على «أن الخلاص هو شيء يخص الله ولا يخصنا نحن. الخلاص ملك لله. ويؤكد على أن الله مركز الخلاص، وأنه كما يفهم كتابياً ليس تدبيراً بشرياً أو

الاحتياجات المادية أم الروحية، مؤكداً أن أجندة الخلاص الواسعة تشتمل على بعض الأشياء أكثر أهمية من غيرها، وأن الكتاب المقدس نفسه يوضح أن الخلاص من غضب الله هو أكثر أهمية من الخلاص من المرض أو الظلم. لكن الكتاب المقدس يتحدث عن كلا الأمرين باعتبارهما جزأين من عمل الله الخلاصي.

وينتقل بعد هذا لمناقشة مفهوم الخلاص بصفة عامة في العهد القديم، محدداً خمسة معانٍ من نصوص عديدة شارحاً سياقها ومعناها:

- الخلاص من المضطَّهدين أو الأعداء (خروج ٣: ٧-٨؛ قضاة ٢: ١٥-١٦)
- النصر في معركة (مزمور ٢٠: ٦-٩)
- الشفاء من المرض (إشعيا ٣٨)
- الإنقاذ من الأعداء والحاquدين (مزمور ٧: ١-٢)
- البراءة في المحاكمة (مزمور ٧٢: ٤، ١٣)
- ثم يشرح مفهوم الخلاص في العهد الجديد:
- الإنقاذ من الفرق (متى ٨: ٢٤-٢٥)
- الشفاء من مرض مميت (يوحنا ١١: ١٢-١١)
- الشفاء من عجز (متى ٩: ٢١-٢٢)
- النجاة من الموت (لوقا ٢٣: ٣٥-٣٩)



الكبرى في العهد الإبراهيمي نصًا ولاهوتيًا. ويشير إلى أن علاقة العهد الفريدة بين بني إسرائيل في العهد القديم ومخلصهم -إله العهد- هي تمامًا علاقة من أجل الأمم الأخرى الذين لم يعرفوا الله بهذه الطريقة، وأن اختيار وخلص إسرائيل العهد القديم كان في النهاية من أجل بركة جميع الأمم. وأن البركة مرتبطة بالعالمية وبشخصية المسيح.

ويشدد الكاتب على أننا نحتاج أن نقاوم فكرة أن «البركات الروحية» فقط هي التي تعتبر بركات «حقيقية» أو أن الخلاص هو حصريًا لا يرتبط سوى بالبركات الروحية. وأن أبعاد البركة في العهد القديم متضمنة في البركة الكلية للخلاص في المسيح.

ويرصد عدة سمات للبركة المقصودة:

- البركة خلاقة وموطدة للعلاقات
- البركة لا تعني بالضرورة الرخاء

مادة إنجاز بشري، ولا نستطيع أن نملكه أو نوزعه أو نبيعه أو نقرر من الذي يحصل عليه، وأنه مبادرة من الله وإنجاز قوة الله وقُدِّم للإنسان بكلمة الله وضمنته قدرة الله وسلطانه. ويشرح أيضًا كيف أن الله هو مصدر الخلاص، وأنه وحده يستطيع أن يخلص، وأن الخلاص هو هوية الله الخاصة.

الخلاص وبركات عهد الله

يهتم هذا الفصل بالبعد العهدي (الخاص بالعهد بين الله وشعبه) للخلاص الكتابي، ويتناول فكرة البركة والتي هي جزء مكمل للخلاص من خلال العهد. ويتساءل هنا: ما الذي يعنيه بالضبط الكتاب المقدس عندما يتكلم عن بركات الخلاص؟

يبدأ من بركة إبراهيم مؤكدًا أن العهد الإبراهيمي اشتمل على الوعد بالبركة لجميع الأمم، وأن هذه هي النقطة الجوهرية



مع موسى، مع داود، وصولاً إلى العهد الجديد .

يرى رايت أن رؤية العهد الجديد لم تكن مختلفة جذرياً عن العهد الأصلي، ولكنها وعدت بعلاقة جديدة كاملة بين الله وشعبه. وأن الكتاب المقدس في ختامه يرينا الإتمام الصحيح لعهد الله مع إبراهيم وذلك في سفر الرؤيا. وأن كل العهود الكتابية العظيمة موجودة في سفر الرؤيا.

ومن قصة العهد إلى قصة الخلاص، معتبراً أن قصة الخلاص هي ما يملأ الفراغ بين تشتت الأمم في تكوين ١١ وشفاء الأمم في رؤيا ٢٢. ويرصد قصة الخلاص هذه في ثلاثة أبعاد:

- **الخلاص في زمن الماضي:** إذ يوضح أن ما يصفه الكتاب في لغته اليونانية -خاصة في أفسس ٢: ٨-٩- يتحدث عن الخلاص باعتباره شيئاً حدث في الماضي ولكنه يستمر في الحاضر أيضاً.
- **الخلاص في زمن الحاضر:** وهو يشرح هنا فكرة «نمونا في الخلاص» باعتباره

• البركة توجد في إطار العلاقات

ويربط في هذا الفصل أيضاً بين البركة والإرسالية والتاريخ. معتبراً نص البركة الإلهية لإبراهيم (تكوين ١٢: ١-٢) بداية إرسالية الفداء، وافتتاح عمل الله الإرسالي العظيم في استرداد ما أظهره البشر من نية التخريب وحفظ البشرية نفسها من عواقب حماقتنا الشريرة. وأن هذا النص هو بداية تاريخ الخلاص ولكنه معبر عنه بلغة البركة.

ويلخص أفكار هذا الفصل بقوله إن في جوهر البشارة الكتابية الذي أعلن أولاً لإبراهيم، أن الله حقاً قد صنع البركة لكل الأمم -بركة الخلاص- وأنها متاحة من خلال المسيا، يسوع الناصري، نسل إبراهيم. في المسيح وحده من خلال الإنجيل الخاص بموته وقيامته يوجد رجاء البركة لجميع الأمم.

الخلاص وقصة عهد الله

يفتح رايت هذا الفصل بالتأكيد على أن قصة العهود في الكتاب المقدس هي قصة الله، وأن الله ارتبط بأناس حقيقيين في تاريخ حقيقي والكتاب المقدس هو قصة هذا الارتباط، وأن هذه القصة هي قصة الخلاص، لأن كل عهود الله تسير في خط واحد هو الخلاص.

وإن كان في الفصل الثالث قد تناول بركات العهد الإلهي لإبراهيم وشموليته لكل الأمم، فهو في هذا الفصل يتتبع قصة العهد؛ عهد الله مع نوح، مع إبراهيم،



أفسس ٢: ٤- ١٠ أننا لا نقدر أن نعمل عملاً صالحاً يمكن أن يوفر أرضية لخلصنا ولكننا خلصنا بنعمة الله من خلال الإيمان.

• الخلاص نختبره مع شعب الله: لأن الخلاص مرتبط بالعهد فنحن خلصنا كجزء من شعب الله كله. وأنا نخلص عن طريق الدخول إلى قصة الخلاص مع كل شعب الله.

ثم يتناول وسائط الخلاص:

• واسطة الكتاب المقدس

• واسطة الفرائض

ثم مصادر تأكيد أو يقينية الخلاص:

• موضوعية قصة الخلاص

• مواعيد الله

تحدياً حاضراً وامتيازاً للشخص الذي هو مُخلص، وسيكون مُخلصاً.

• الخلاص في زمن المستقبل: وهو يعتبر توقع مجيء المسيح الثاني هو رجاءنا لخلصنا الكامل في المستقبل.

الخلاص واختبارنا

يقترّب هذا الفصل أكثر إلى الخلاص كملح شخصي، ومادة يختبرها الناس، وكيف يتم استقبال الخلاص واختباره من قبل الشخص. ويضع محدّدَيْن لاختبار الخلاص الشخصي هذا:

• الخلاص يختبر من خلال الإيمان: والإيمان عطية من الله ونحن نتخذ قرار الثقة في المسيح لكن الإيمان ليس نوعاً من الأعمال الصالحة التي نكتسب بها خلاصنا. فقد أكد الرسول بولس في

الخلاص وسيادة الله

O المؤمنون من غير بني إسرائيل

وكل من لم يتم تبشيرهم بالإنجيل. وهو يصل في النهاية إلى نتيجة أنه كما أن من الخطأ أن نقول بكل يقين إنهم جميعاً بكل تأكيد ذهبوا إلى الجحيم، وبالمثل من الخطأ أن نقول، مدفوعين بعطف زائف، إنهم جميعاً ذهبوا إلى السماء. فإن ما نستطيع قوله مع تحذير كتابي واضح أنهم ذهبوا لكي يقفوا بين يدي الله الذي خلقهم وأحبهم وأرسل المسيح لكي يموت لأجلهم، وهو يعرف كل شيء عملوه وكل ما كانوا يعرفونه أو يجهلونه، وسوف يحاكمهم بعدالة ورحمة مطلقة. ويضيف أننا ربما نخجل من أن البشارة لم تصل إلى هؤلاء المؤمنين الجدد حتى وقت قريب ولكننا ربما نكون واثقين بالمثل أن الله أحب أجدادهم محبة ليس أقل من محبته لنسلهم وأحفادهم، وهل «ديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟» (تكوين ١٨: ٢٥).

• سيادة الله والضمان الرعوي: ويسترشد هنا بما ورد عن الإيمان والخلاص في عبرانيين ١١ باعتباره بياناً بالأعمال الخلاصية لله، فيما يتعلق بالإيمان بالنسبة للعديد من الأفراد في العهد القديم. ويؤكد كاتب العبرانيين «أن هؤلاء كلهم، مشهوداً لهم بالإيمان، لم ينالوا الموعد، إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل، لكي لا يكملوا بدوننا». ويشدد الكاتب أن هذه الفقرة تقف ضد كل مزاعم زائفة ومبالغ فيها في قضايا مثل الصحة والثروة باعتبارهما المنتج

يشير الكاتب إلى أن ترنيمة خلاص الله الواردة في رؤيا ٧: ١٠ هي أيضاً نفسها ترنيمة سيادة الله. مؤكداً على سيادة الله في موضوع الخلاص فيما يتعلق بفهمنا للإرسالية والمصير الأخروي للأمم ومصير الذين لم يتم تبشيرهم ومدى الضمان الرعوي. ويذكر أربعة أبعاد للصلة بين الخلاص وسيادة الله:

• سيادة الله والإرسالية: وهو مفهوم متعلق بملك الله وسيادته على الكون. وأن إرساليتنا تتبع من سيادة المسيح على الكون والذي يشهد العهد الجديد عنه أنه هو نفسه يهوه-مالك وحاكم الأرض.

• سيادة الله ومصير الأمم: ويؤكد أن الكتاب المقدس بأكمله أظهر أن خطة الله للخلاص هي لكل الأمم، وأن سفر الرؤيا يظهر كيف أن المجموع الكلي لكل هؤلاء الذين من كل أمة، الذين سيتجاوبون بأن يتجمعوا في يوم واحد باعتبارهم البشر المفديين في الخليقة الجديدة، لكي يسبحوا الله، الذي بواسطة سيادته وعظمته أصبح هذا الخلاص العظيم مقدماً لكل الأمم.

• سيادة الله وامتداد الخلاص: وهو يتطرق هنا لإشكالية امتداد الخلاص لعدة فئات:

O الأسلاف الذين لم يسمعوا الإنجيل على الإطلاق

O المؤمنون من العهد القديم

من الأموات الذي صعد إلى السماء، وهو الملك على العرش. والصورتان كلتاهما أساس بالنسبة للخلاص الذي هو لإلهنا وللخروف. وي طرح هنا أهمية عمل الصليب كأمر مركزي في خطة الله في التاريخ، وإنجاز لإرسالية الله للخليقة كلها، وتشكيل لإرساليتنا بالكامل.

• يسوع- الخروف على العرش: وهو هنا يؤكد على موقع القيامة من عمل الخلاص، فالخلاص لا ينتمي فقط للخروف المذبوح وإنما للخروف على العرش. ويتناول دور القيامة في خلاصنا. ودلالاتها على ربوبية المسيح الكونية.

يختتم كريس رايت كتابه بالتأكيد على عدة حقائق حول الخلاص الكتابي باعتباره:

١. خلاص الله، وليس ملكنا
٢. عمل الإله الحي الحقيقي الوحيد
٣. يمتد في كل التاريخ الكتابي ومركزه عند صليب المسيح وذروته عند المجيء الثاني
٤. يأتي إلينا من خلال دعوة الإنجيل
٥. يؤثر على الزمن والأبدية؛ هذا الدهر والدهر الآتي
٦. مضمون بواسطة سلطان الله ومقرر بواسطة نعمته الفائقة
٧. أنجزه حمل الله، الرب يسوع المسيح الذي ذبح لأجلنا وقام، وجلس عن يمين الله ووحده يستحق كل إجلال وتسبيح.

المؤكد الذي يأتي به الإيمان. فيظل الله هو السيد، والخلاص بكل معانيه هو أمر خاص بالله، وأنا يمكننا أن نعد بما وعد به الله يقيناً (الحياة الأبدية لمن يتوبون ويؤمنون به) ولكن ليس باستطاعتنا أن نعد بما لم يعد به الله (التحرر من كل المشكلات أو الآلام والمعاناة في هذه الحياة الحاضرة).

الخلاص وحمل الله

في النهاية يأتي الكاتب إلى الخلاص الكتابي وارتباطه بالمسيح وصلبه وقيامته. الخلاص الذي ينتمي فقط إلى الله - إلى الإله الكتابي صاحب العهود الكتابية- ينتمي فقط إلى حمل الله؛ لأنه هو الوحيد الذي من خلاله أنجز الله مشيئته القديرة في الخلاص. ويتناول الفصل عدة أفكار رئيسة حول الخلاص من خلال الرب يسوع وعمله الخلاصي لأجلنا:

• يسوع- الإله المخلص: أتباع يسوع الأوائل كانوا يهوداً يعرفون أن يهوه فقط هو الله وأنه مصدر الخلاص الحصري. لذلك نستطيع أن نرى كيف كان مدهشاً أنهم كانوا قادرين على تقديم نفس التأكيد عن يسوع.

• يسوع- الحمل المذبوح: يقدم رؤيا ٥: ٦ صورة «حمل قائم كأنه مذبوح» الحمل المذبوح الجالس على العرش؛ الصورة الأولى تمثل يسوع المخلص المصلوب، والثانية تشير إلى يسوع المخلص المقام



شذرات كتابية



الشيخ أسامة رشدي

فُتحت،

شذرة (١)

صاحبُ الخيرِ ابتسم لك، وفى يده مكافأة
إيمانك، وتعبك، وصبرك، وانتظارك.

ابتسامه مُحب

«وَلَا تَحْزَنُ عِيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ لِأَنَّ خَيْرَاتِ
جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ»

(تكوين ٤٥: ٢٠)

شذرة (٢)

العَجَلَاتِ... آتية

«ثُمَّ كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلَامِ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ
بِهِ وَأَبْصَرَ الْعَجَلَاتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ
لِتَحْمِلَهُ. فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ.»

(تكوين ٤٥: ٢٧)

ما أعظم الرب! ما أعظمه حينما أحيا قلب
يعقوب بالرجاء والأمل بعد سنوات طويلة
من اليأس والحزن؛ فعاشت روحه. ما
أعظمه حينما جبر قلبه الكسير، وأرسل له
البشارة المفرحة «يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ» (تكوين
٤٥: ٢٦)، فتشجع يعقوب وقال «أَذْهَبُ

يا لها من رسالة جميلة جاءت إلى يعقوب،
ليأتي إلى مصر!

ويا لها من رسالة جميلة ومشجعة لك أيضاً،
فلا تحزن على خسارة أرضية، أو شيئاً
غالياً فقدته. ارفع عينيك على خير الرب
القادم لحياتك، ارفع عينيك على تعويضات
إلهك السخية، وانس ما وراء وامتد إلى
قدام، فليس هذا هو وقت الندم، ما أعدّه
الرب لك أروع، واترك كل القديم بذكرياته
الحلوة والمرّة في أرض الجوع، وافرح
فسنوات التعويض قد بدأت، وأبواب الخير

ليلاً ونهاراً من الخطر والفشل، ويسقيها كل لحظة بروحه القدوس، ويقويها بالإيمان والمواعيد، ويسندها بالرجاء والأمل، إلى أن تزهر وتثمر،

نعم، نبتة الإيمان تنمو وتنمو إلى أن تأتي لك بأمر جديد تراه بالعيان، فتقو في إيمانك وتشجع.

شذرة (٤)

يعلم المسافة

«ثُمَّ عَادَ مَلَكَ الرَّبِّ ثَانِيَةً فَمَسَّهُ وَقَالَ قُمْ وَكُلْ لَأَنَّ الْمَسَافَةَ كَثِيرَةٌ عَلَيْكَ»

(ملوك الأول ١٩: ٧)

ما أروعها رسالة رجاء من الرب لعبده
المُحِبِّطِ إِيْلِيَا!

وهي رسالة رجاء لي ولك أيضاً. نعم، هو يعلم المسافة كلها (لأن المسافة كثيرة عليك) (٧٤)، يعلم طولها وزمانها ومشقتها، هو يعلم مقدار احتمالك لمشوار البرية الطويل قبل أن تسيره، لا يتركك بدون رفيق أو سند، يأتي لك بلمسة العطف والحنان (وإذا بملاك قد مسّه) (ع ٥)، لا يتأخر في أن يرسل لك سداد لاحتياج قبل أن تطلبه، أو حتى تشعر به (فتطلع وإذا كعكة رصف وكوز ماء عند رأسه) (ع ٥)، لا يدعك تمكث في مغارة اليأس، والإحباط كإيليا بل يقول لك بصوته الحلو العطوف «مالك ههنا» (٩٤)، هو يمنحك روح القوة والإرشاد، يقويك، ويسندك لتستكمل مسيرتك، وتتم رسالتك، فاطمئن، هو يعلم المسافة.

وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ» (تكوين ٤٥ : ٢٨)، ما أعظمه حينما رفع رأسه بكرامة ومجد، بعد تجارب ومحن قاسية في حياته، وأعطاه أوقات فرج وتعويض بل وفتح عينيه «وَأَبْصَرَ الْعَجَلَاتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ» (تكوين ٤٥ : ٢٧)، فهذا هو يعقوب الفقير عابراً نهر الأردن قديماً بعصا واحدة، الآن يعبر إلى مصر بجلال في عجلات يوسف الملكية، وهذا هو إلهك وإلهي.

فلا تُحْبِطِ وَلَا تَفْشَلِ وَأَنْتِ فِي أَزْمَةِ قَاسِيَةٍ أَوْ امْتِحَانِ صَعْبٍ، إِيْلَهُ عَظِيمٍ وَقَدِيرٍ، صَالِحٍ وَحَكِيمٍ، إِيْلَهُ الرَّجَاءِ.

شذرة (٣)

نبتة جديدة

«هَآنَذَا صَانِعُ أَمْرًا جَدِيدًا. الْآنَ يَنْبُتُ»

(إشعياء ٤٣: ١٩)

ما أروع إلهنا!

صَنَعَ أَمْرًا جَدِيدًا فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَعْطَاهُ إِسْحَقَ،

صَنَعَ أَمْرًا جَدِيدًا فِي حَيَاةِ حَنَّةَ وَأَعْطَاهَا صَمُوئِيلَ،

صَنَعَ أَمْرًا جَدِيدًا فِي حَيَاةِ بَطْرُسَ وَجَعَلَهُ صَيَادًا لِلنَّاسِ،

صَنَعَ أَمْرًا جَدِيدًا فِي حَيَاةِ شَاوُلَ وَجَعَلَهُ بُولَسَ كَارِزَ الْأُمَمِ،

وما زال يصنع الرب كل يوم أمراً جديداً في حياتك، يبدأ بـ «نبتة» صغيره، يغرُسها بكلمة إلهيه عميقه في قلبك، ويحرُسها



مقدمة لسفر رؤيا يوحنا تقرأ ليلة سبت الفرح للصفي ابن العسال

عن مخطوط الدار البطريركية ١٩٠ مقدسة



إعداد: إسحق إبراهيم الباجوشي

مقدمة:

أيضاً تقدم بهدف تعليمي، وفيها أيضاً مديح يصف كاتب الأبوغالمسيس يوحنا ابن زبدي الرسول القديس، نقدم لهذا النص ونشره محققاً على عدة مخطوطات يأتي ذكرها لاحقاً.

نسبها بعض الكُتّاب من بينهم الأب جراف والأب أثاسيوس ترجيحاً إلى المؤتمن إسحق إبراهيم بن العسال أو الصفي بن العسال ولكن من خلال كتاباتهم وتخصصهم ووضع الصفي ابن العسال لبعض الخطب (أكثر من ٢٦ خطبة) للأعياد والأحاد والأصوام يجعلنا نرجح أن هذه المقدمة السجعية من وضعه، لأنها عبارة عن خطبة لسبت الفرخ، وتشهد بغزارة فهم ابن العسال للأسفار الإلهية العتيقة والحديثة وكذلك توظيفه الآيات في هذه الخطبة المسجوعة، والمنهج المتبع ضبط الحد الأدنى من الأخطاء وكذلك تقسيم النص فقرات وترقيمه، واستخراج الشواهد الكتابية الصريحة ووضعها داخل النص والضمنية في الهامش.

بنية النص:

أما عن هذه المقدمة فتبدأ بالعنوان (ف: ١)، ثم المقدمة اللاهوتية الشارحة للألام الخلاصية للسيد له المجد فتحتوي على البسملة للأقانيم الثلاثة صفاتهم الأَقنومية (ف: ٢ - ٥)، ثم بيتدئ في سرد عمل الفداء وعمل الله الخلاصي ونزوله للجحيم وقيامته (ف: ٦ - ٨)، ثم تقديم

أولاد العسال هم عائلة تتكون من أربعة أبناء لرجل واحد من امرأتين نبغوا جداً في القرن الثالث عشر ووضعوا كتباً وموسوعات تفسيرية ولاهوتية وفقهية، وقاموا بعمل مختصرات وترجمات لكثير من النصوص الكتابية ولاسيما العهد الجديد فقد قام الأسعد بن العسال بترجمة العهد الجديد إلى العربية فقد ذكر البعض أن دوره لم يكن إلا تنقيح ولكن يثبت الكثير من العلماء أن دوره كان ترجمة، لذا قام الدكتور صموئيل بنشر الأربعة أناجيل ترجمة الأسعد بن العسال، وقد وجدنا باقي أسفار العهد الجديد من ترجمته أيضاً في بعض المخطوطات قيد النشر، أما عن هذا النص فهو عبارة عن مقدمة تقرأ في يوم سبت النور المعروف بليلة الأبوغالمسيس قبل قراءة سفر الرؤيا عربياً - حيث كان يُقرأ قبطياً وعربياً - وهذه المقدمة وإن كانت وضعت في الترتيب الطقسي ولكنها

١٤٨ عام: تاريخ الانتهاء من نساخته يوم الأربعاء الموافق ٥ أمشير ١٥١٧ش (١٨٠١م) - في أول جمعة من الصوم المقدس- ٢٧ رمضان ١٢١٥ للهجرة العربية، سنة ٩ للجمهور الفرنسي، والناسخ الشماس حنا ميخائيل بكنيسة العذراء حارة الروم، والمهتم [المُنْفَق] البابا مرقس الثامن البطريرك الثامن بعد المائة (١٧٩٦ - ١٨٠٩ م)، وقف كنيسة مار مرقس بالأزبكية ١٥١٧ش. (ص ٢٠١)، والنص من ص ٢١٥ إلى ٢٠٦.

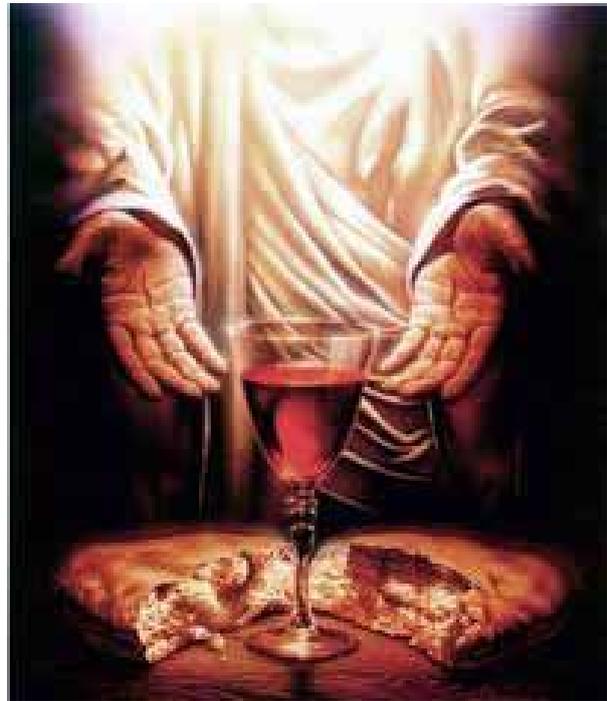
٢. مخطوط منشستر قبطي رقم ٤٢٣ تاريخه ١٣٧٥م، (ورقات ١٤٩-١٤٢).
٣. مخطوط كورزون رقم ١٥ (ص ١٠٥).

النص:

١. (٢١٥) مقدمة وضعها أولاد العسال تقال قبل قراءة سفر الرؤيا عربياً. [البسمة التالوثية والصفات الأَقنومية]
٢. بسم الآب القدوس الكائن في كل مكان. السابق وجوده وجود الأزمان.
٣. والابن الرحوم الذي اشترى نفوسنا بأنقى الأثمان.
٤. والروح القدس المنبثق من الآب قبل كل الدهور والأحيان.
٥. الإله الواحد بالذات. المثلث الأقانيم والصفات. المصطفى الأذهان. [فداء الله للبشرية وقيامته]

١ أثناسيوس المقاري: 581. Graf. G, Geschichtc, II. p. 413.
٢ (يو ١٥: ٢٦).

الحمد والشكر والسجود والابتهاال (ف: ٩- ١٢)، ويعدد من صفات الله وعلاقته بالإنسان (ف: ١٣- ٤٢)، صفات وعمل اتقيائه (ف: ٤٣- ٥٥)، وصف ليوم سبت النور وتذكار عمل الله فيه (ف: ٥٦- ٩٣)، وصايا للإنسان المسيحي بين أوامر ونواهي (ف: ٩٤- ١٤١)، عظمة سر الاتحاد بالمسيح في الإفخارستيا (ف: ١٤٢- ١٥٢)، رهبة والحضرة الإلهية (١٥٣- ١٦٣)، تحذير وسؤال (١٦٤- ١٦٧)، طلبه للشفاعة (١٦٨- ١٨٦)، عن يوحنا ورؤياه (١٨٧- ٢٠٩)، عن القارئ والسامع للرؤيا (٢١٠- ٢٣١)، وفيها يذكر أخطاء القراء والنسخ (ف: ٢٢٩- ٢٣٠)، خاتمة (٢٣٢- ٢٤٢).



مخطوطات النص:

١. مخطوط القاهرة: مكتبة دار البطريركية القبطية رقم ١٩٠ مقدسة/

٦. الذي فداننا بدمه، وخلصنا بصلبه، وعتق نفس كل امرئ منا من عبودية ذنبه.
٧. وكسر آلات الجحيم بصوارم قيامته، وطعنات جنبه.
٨. وقطع أعناق الشك بمجد انبعاثه، وعزته.
١. [الحمد والشكر والابتهال]
٩. نحمده حمداً نستفيد كل لحظة في أعداده الألوف والملايين.
١٠. ونشكره كل ساعة بفصاحة اللسان، ولسان الصدق، والصدق اليقين.
١١. ونسجد له كل دقيقة. سجد يصفاح فيه وجه الأرض الجبين.
١٢. ونبتهل إليه كل طرفة عين. ابتهال زكريا،^٢ واللص اليمين.^٣
- [صفات الله وعلاقته بالإنسان]
١٣. فإنه سبحانه مانح مَنْ سأل أفضل المطالب.
١٤. وواهب مَنْ شكر له في السراء والضراء أجزل الرغائب.
١٥. مخلص المتوكلين عليه من بواتق الضوائق وأنياب النوائب.
١٦. منجي البائسين والمساكين. منقذ الهالكين واليائسين.
١٧. المانن على عبيده بشفائهم. المتدارك أرماق شعبه عند ضلالهم وشقائهم.
١٨. الذي لا يدوم إلى الأبد حقه،^٥ ولا يخلف عن طول الأمل وعده.
١٩. ولا يخيب مَنْ توكلَّ عليه^(٢١٤) بصدق النية.
٢٠. ولا يرد دعوة مَنْ دعاه بنقاوة الضمير، وحسن الطوية.
٢١. الجائد علينا بإحسانه. الصافح عن آثامنا التالفة بفضوه وغفرانه.
٢٢. ليس بأعمال بارة قدمناها، ولا بتوبة نقية أسلفناها.^٦
٢٣. ولا بدموع مرة أمامه. ولا بإقلاع عن العادات المذمومة التي ألفناها.
٢٤. بل برحمته خاصة أحيانا. وبرأفته نجانا. ورد وجهه إلينا، ولم يذكر خطايانا.
٢٥. وبمنته اجتذبنا إلى بيعته، وما أقصانا.
٢٦. رحمة منه فائضة على جماعة المسيحيين.
٢٧. وتبصره لنا لنكون من المعتبرين.
٢٨. ولكي ما نعلم أن مَنْ رجاه الصبر تعطف عليه.
٢٩. ومَنْ طلب منه بالفكر نظر إليه.
٣٠. ونتحقق قوله الحق: أنه يكون معنا طول الأيام، وإلى انقضاء الدهور والأعوام.^٧

^٥ (مز ٨٥: ٥): (الحكمة ١٦: ٦).

^٦ (تي ٣: ٥).

^٧ (مت ٢٨: ٢٠).

^٢ (لو ١: ٦٧-٧٩).

^٣ (لو ٢٣: ٤٢).

٣١. ونصدق قول نبيه المغبوط: «أن حافظ إسرائيل الذي يحفظنا لا يغفو ولا ينام»^٨.
٣٢. نقدم له الشكر على ما أفاضه علينا من جلائب نعمائه.
٣٣. وجلاه عنا من غرائب ظلم المُحال وإغوائه.
٣٤. ووهبناه من رحمته التي أحيا بها النفوس.
٣٥. وأزال بها العكوس، ودفع بها من الذل الرؤوس.
٣٦. وفتح لنا أبواب بيعته المغلقة.
٣٧. وفك أعناقنا من رباط الخطايا، التي بها كانت مطوّقة.
٣٨. ومنّ بافتداء رعيته من عبودية الطغيان. لتكون من أسره وقصره مطلقة.
٣٩. وأنطق ألسنتنا بعد خرس الهموم، فها هي بتسبحته منطلقة.
٤٠. ولنحدث جيلاً بعد جيل يعدل الرب وفضله، ولنخبر بنعيم إحسانه وفعله.
٤١. لكي يقال في الأمم قد أكثر الصنيع إلى هؤلاء، فصاروا فرحين^٩.
٤٢. وتصعد صلواتنا، وتقديساتنا ورائحة بخورنا إلى بين يديه. كالدخنة الطيبة كل حين^{١٠}.
- [صفات أصفياؤه]
٤٣. (٢١٣) معشر الخراف المسيحيين الصائرين إلى صيرة راعيهم. الصابرين إلى أن ظفروا يُنجح مساعيهم.
٤٤. المقتنين بصبرهم نفوسهم^{١١}. المتوجين ببرهم رؤوسهم.
٤٥. المرتقين بإيمانهم إلى أشرف المراتب والدرجات.
٤٦. الفائزين بتدوين أسماءهم في ملكوت السموات^{١٢}.
٤٧. المعدودين مع الشهداء المحسوبين مع السعداء.
٤٨. المستحقين أن يكونوا للكلمة خدماً.
٤٩. المصونين بالعناية الإلهية عن السقطة التي توجب للساقطين ندماً.
٥٠. المجتمعين اليوم في البيعة الأرضية، وغداً في أورشليم السمائية.
٥١. المعترزين الآن بالأمانة الأرثوذكسية، وفي المستأنف بالنعمة الملكوتية.
٥٢. المسرورين بهذا الاجتماع الذي كانوا له يتشوقون ويتلهفون.
٥٣. ومن قوة هييبته يجزعون، ويتخوفون.
٥٤. المتلذذين في هذا المجمع المقدس بما يُتلى عليهم من الأقوال الإلهيات.
٥٥. التي هي على مسامعهم مقروءات.
- [وصف ليوم سبت النور وتذكار عمل الله فيه]

^{١١} (لو: ٢١: ١٩).

^{١٢} (لو: ١٠: ٢٠).

^٨ (مز ١٢١: ٤).

^٩ (مز ١٢٦: ٣).

^{١٠} (مز ١٤١: ٢).

وأصبحاً .

٦٥ . كتبت فيها دساتر الحياة في ديوان
الدوام .

٦٦ . ومزقت صكوك موت الخطية،
واستجال الجرائم والآثام .

٦٧ . فيا لها من ليلة! ملأت القلوب مسرةً
وسروراً .

٦٨ .^(٢١٢) والعيون قرّة وقروراً، والخواطر
فرحاً وحبوراً .

٦٩ . حمل حمام الإملاك كتائب الأفراح .

٧٠ . طار مبشراً بالسلام لأصقاع
الأرواح.^{١٦}

٧١ . [في] هذا اليوم انبعث ناسوت السيد
المسيح .

٧٢ . وفتح إلى الفردوس الطريق الفسيح .

٧٣ . وأعلنت الرموز باللسان الفصيح .

٧٤ . واتضح الأسرار على النهوض من
الضريح .

٧٥ . توشح جبرائيل بجلباب البياض لآية
السرور .

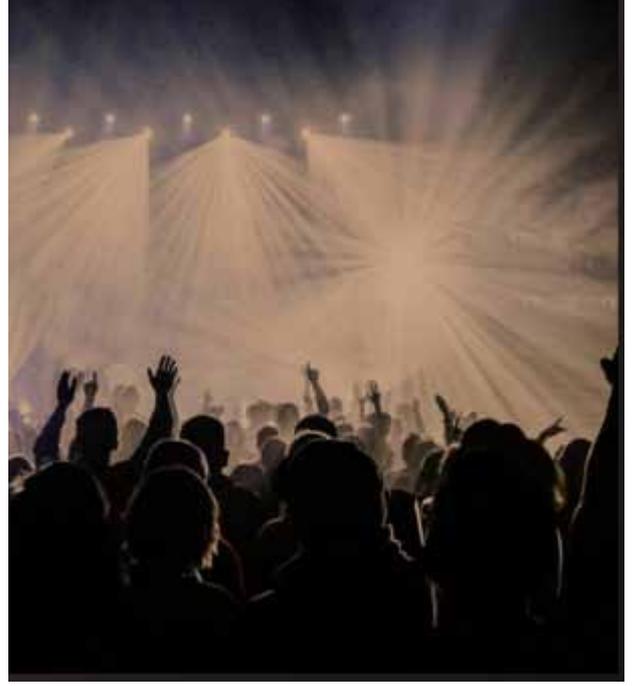
٧٦ . تردأ ميخائيل بحلة الأفراح، وأزقة
النور .

٧٧ . بشر بقيامة المسيح النسوة ذات
البخور .

٧٨ . وأقمرت وجبات الوعود . واسودت
وجوه اليهود .

٧٩ . وتآلفت طواع الأمان . وانمحقت
أقمار الطغيان .

^{١٦} (إش ٥٢ : ٧)، (أف ٤ : ٨) .



٥٦ . اعلموا أن الرب قد تعطف عليكم .

٥٧ . ونظر بعين تحننه إليكم، وأصعدكم
من جب الهلاك . وطين الفساد.^{١٣}

٥٨ . وعقل [أي: قيد] إبليس، وأحدره إلى
الجحيم، وكل جنوده الحُشاد .

٥٩ . فهذا هو اليوم الذي صنعه الرب
الإله.^{١٤}

٦٠ . وهذا هو الوقت الذي أعده للرحمة
وحياه .

٦١ . هذا اليوم أعظم أيام السبت.^{١٥}

٦٢ . الذي ظهر فيه نور الحق الذي لا
يموت .

٦٣ . ليلته فاقت على الضحى ضوء
وصباحاً .

٦٤ . وصالت على الأصايل بهاءً

^{١٣} (مز ٤٠ : ٢) .

^{١٤} (مز ١١٨ : ٢٤) .

^{١٥} (يو ١٩ : ٣١) .

٨٠. واحترقت بشعاع الحق نجوم الزور،
وكواكب البهتان.
٨١. فهذا هو يوم الخلاص، وموسم
العتق.^{١٧}
٨٢. هذا أوان الفكاك من عبودية الرق.
٨٣. فنجعل أيامه للفرح، والتقدیس،
والتعييد.
٨٤. ولياليه للتراتيل، والتسبيح، والتمجيد.
٨٥. الرب فتح لنا أبواب رحمته فدخلنا،
ونشكر نعمته.
٨٦. ونبارك اسمه القدوس في بيعته.
٨٧. ادخلوا أبوابه بالشكر، ودياره
بالتسبيح.^{١٨}
٨٨. انطقوا بتمجيده واعترفوا بحسن
صنيعه.^{١٩}
٨٩. فإنه أنقذنا وخلصنا من يد المضاد
الشحيح.
٩٠. قد رد الرب سبينا.^{٢٠} قد جبر الرب
كسرنا.^{٢١}
٩١. قد جمع في بيعته بعد الشتات شملنا.
٩٢. قد نظر الرب بالرحمة هو المرجو
لتمامها.
٩٣. قد أزال أوقات الشدة. وأذن بانقضاء
أيامها
- [وصايا للإنسان المسيحي]
٩٤. فقابلوا هذه الرأفة بأعمال تلائمها.
٩٥. وتناولوها بأيدي الطهارة، وأعين
المهابة النقية من جرائمها.
٩٦. ونقلع عن ذنوبنا، ونرجع عن عيوبنا،
وننق قلوبنا.
٩٧. ونغض أبصارنا، ونظهر ألسنتنا،
وأجسادنا، وأفكارنا.
٩٨. (٢١١) ونستأنف توبة تستديم لنا
هذه المراحم.
٩٩. ونستدفع عنا حدود النقم التي ليس
فيها إلا الإله راحم.
١٠٠. أخلصوا طوبيات القلوب. ليكمل لكم
الرب جميع المطلوب.
١٠١. فكأنكم إن شاء الرب بشأنكم، وقد
صلح.
١٠٢. وبقصدكم الجميل، وقد نجح.
١٠٣. وبشذتكم، وقد زالت. وبنعمتكم، وقد
آلت.
١٠٤. وبمسماع الصباؤوت، وقد صفت.
إلى طلباتكم، وقد مالت.
١٠٥. فإن الرب قال على لسان النبي: «إنه
لا يحل إلا في القلوب النقية. ولا يسكن
إلا في القلوب الخاشعة» (إشعيا ٥٧:
١٥).
١٠٦. ولا يتصل به إلا أفكارٍ لعلائق الرذائل
قاطعة.
١٠٧. وقال أيضاً على لسان إرميا النبي:

^{١٧} (إش ٦١: ١)؛ (إر ٣٤: ١٧).

^{١٨} (مز ١٠٠: ٤).

^{١٩} (١ تي ٦: ١٢).

^{٢٠} (مز ١٢٦: ٤)؛ (إر ٢٩: ١٤).

^{٢١} (مز ٦٠: ٢)؛ (مز ١٤٧: ٣)؛ (إش ٣٠: ٢٦).

١١٦. ولنقتدي أيها الإخوة الأحباء بقول الرسول الإلهي: «وليكفيننا ما قد مضى من الزمان الذي عملنا فيه بهوى الشعوب، وسعينا بسعي اللاعب اللاهي» (ابط ٤: ٣).

١١٧. وقوله أيضاً: «أيها الإخوة لا تتنفسوا الصعداء بعضنا على بعض فيذهب تعبنا باطلاً» (يع ٥: ٩٩).

١١٨. لا نترك التحلي بالتواضع^(٢١٠) والتوبة والمحبة فمن خلا منهم كان ضالاً.

١١٩. لا نكون كالقبور التي هي مزينة الظاهر، وباطنها عظام الأموات.^{٢٤}

١٢٠. لا نظهر خارج الكأس والسُّكْرَجَةُ^{٢٥} [أي: الصفحة] وداخلهما مملوء بوسخ الزلات.^{٢٦}

١٢١. وخبث النيات، ولنترك عنا الافتخار بالشهوات العالمية، والانجذاب إلى الأمور البهيمية.

١٢٢. ولنلزم الأدب والطاعة لئلا يسخط الرب فنضل عن سبيله.^{٢٧}

١٢٣. وليقوم كل منا طريقه^{٢٨} في أقواله وأعماله وأفكاره وفعله.

١٢٤. لاسيما في البيعة الجامعة المقدسة الطاهرة التي هي بيت الله للصلاة والطلبية.



«لا يفتخر الحكيم بحكمته.

١٠٨. ولا الجبار بقوته» (إر ٩: ٢٣). ولا المُعطي بصدقته.

١٠٩. وليعلم كل أحد إنني أنا الرب الذي يفعل المعروف.

١١٠. ويُظهر البر في الأرض (إر ٩: ٢٤)، والطاعة لله وأنبيائه سُنَّة وفرض.

١١١. والسليح يعقوب الرسول^{٢٢} يقول: «فليفتخر الأخ المسكين برفعته. والغني باتضاعه» (يع ١: ٩-١٠).

١١٢. يشير إلى قول سيدنا له المجد: «أن المساكين بالروح يرثون ملكوت السموات» (مت ٥: ٣).

١١٣. ويبين أن الأغنياء بالجسد يجب عليهم أن يتواضعوا بالقلوب والنيات.

١١٤. ولقوله تعالى: «مَنْ تَابَ إِلَيَّ لَا أُخْرِجْهُ خَارِجًا» (يو ٦: ٣٧).^{٢٣}

١١٥. يعني إذا طلبه حق الطلب، وسلك معه واجبات الأدب.

^{٢٢} في المخطوط (بطرس رأس الرسل).

^{٢٣} (٢ بط ٣: ٩).

^{٢٤} (مت ٢٣: ٢٧).

^{٢٥} راجع: أسامة رشيد السفار، المعرب والدخيل والألفاظ العالمية

(دراسة نقدية تأثيلية في تاج العروس)، ص. ١١٣.

^{٢٦} (مت ٢٣: ٢٦).

^{٢٧} (مز ٢: ١٢).

^{٢٨} (أم ١١: ٥).

١٢٥. لا للقلق والاضطراب والأفكار الخبيثة
لنتزين فيها بالإيمان وصالح الأعمال.
١٢٦. ونتجمل بالبر والمحبة. فما أحسن
ذلك الجمال.
١٢٧. ولا نتباهى بالملابس التي مآلها إلى
الزوال.^{٢٩}
١٢٨. ولا نتنافس في المواقف العالية
ليوقفنا الرب على اليمين لا على الشمال.
١٢٩. ولنحسب أننا واقفين بين يدي إله
الآلهة جل جلاله في أرضه السمائية
وسمائه والأرضية.
١٣٠. ونشهد قدسه الذي تخف منه الجنود
الملائكية. والقوات النورانية.
١٣١. ولا نمل من الصلوات والطلبات
والأدعية لا بالاختلاف بل بالائتلاف.
١٣٢. ولا بالتحاسد بل بالتعاضد، ولا
بالشقاق بل بحسن الاتفاق.
١٣٣. ولا بكثرة الكلام والشلش والهزؤ
والمجون والسلب والتلب.
١٣٤. الذي يحل من قبله على مَنْ يفعله
غضب الرب.^{٣٠}
١٣٥. بل نتساوى في الهدوء والوقار
والخشوع والاستغفار، وجميع الحواس
والأفكار.
١٣٦. وحسن الزي والشكل والعمل وحميد
القول والفضل والأمل للنساء والرجال
والشيوخ والأطفال والأكابر، والأصاغر.
١٣٧. ليكونوا جميعهم ناصتين بالقلوب
قبل الاسماع.
١٣٨. مستعدين للصالحات، فما استعد من
استعد لها حسب الاستماع.
١٣٩. فاحصين عن معاني أقوال الكتب
البيعية، والأوامر الإلهية.
١٤٠. قابليها بأذهان نقية صافية من الفتن
الدنياوية.
١٤١. عاملين بها في السر والجهر
والعلانية.
- [عظمة سر الإفخارستيا وعدم التجاسر
عليه بدون استحقاق]
١٤٢. لنستحق التناول من جسده ودمه
الشريفيين.
١٤٣. اللذين بهما خلاص البشرية. ليكونوا
غفراناً لآثامكم ودواء لأسقامكم.^{٣١}
١٤٤. ولا نتجاسر على الازدحام في هياكل
الله وقت القداس والقربان، ولا في كل
الأوقات والأحيان.
١٤٥. إنه لا يزيد من الرب دنواً، ولا ينيلنا
منه مرجواً.
١٤٦. فإن هيكل الله هو محل قدسه
وشكره.
١٤٧. الذي يجب الأدب عنده والمعرفة
بقدره.
١٤٨. ويكره أن أحد منا يزدحم فيه ويدفع
بيديه وصدرة.

^{٣١} (مت ٢٦: ٢٨).

^{٢٩} (مت ٦: ٢٨).
^{٣٠} (كو ٣: ٦): (رو ١: ١٨).

١٥٥. ولتبجيل هياكله المقدسة ملازمين.
 ١٥٦. ولما أمرنا به من الصمت والسكون
 وجميع وصاياهم قائمين.
 ١٥٧. لما أغلق الرب دوننا أبوابه،^{٢٤} ولا
 أسبل بيننا وبين قدسه حجابيه.
 ١٥٨. وإذا كان الوقوف بين ملك أرضي لا
 تستطيع الكلام.
 ١٥٩. ولا نُقدم على نقل الأقدام.
 ١٦٠. ولا نسلك إلا سبيل الرهبة والخافة
 والاحتشام.



١٦١. فكيف ونحن في موقف الملك
 السمائي تعترف له الطغمات.
 ١٦٢. وتخضع بين يديه الألوف والريوات.
 ١٦٣. وتهاب عظمة مجده^(٢٠٨) الملائكة
 والقوات.

[تحذير وسؤال]

١٦٤. فلنتحذر غاية الحذر. من رجز الرب
 الإله وغضبه وعظم الكدر.^{٢٥}
 ١٦٥. ونصنع جميع أوامره ونواهيته، وما
 يرضيه ونتجنب عما يسخطه ويغضبه
 ويعصيه.

١٦٦. ونسأله الصفح عنما تقدم ومضى
 والحفظ والصيانة فيما تأخر وبقي.

١٦٧. فإنه قادر ومليء على إجابة سؤالنا
 وبلوغنا آمالنا.

[طلبة للشفاعة]

١٦٨. ونتشفع إليه بكرامة سيدتنا كلنا،
 وفخر جنسنا. الست الطاهرة الشريفة.

١٤٩. وقد قال الله لموسى: أن مَنْ دنا
 من قدس القبة الزمنية المتخذة للملة
 الإسرائيلية على غير الموضع المأمور،
 والنهج المذكور هلك من شعبه، ويسقط
 من حزبه (لا ١٦: ٢؛ عدد ١٧: ١٣)،^{٢٢}
 وهي التي بطلت أحكامها وردلت
 قرايينها.^{٢٣}

١٥٠. فكيف يكون حال من تعدى في
 القداس المسيحي الرفيع محله؟
 ١٥١. العظيم فضله الثابت إلى الأبد
 كهنته.

١٥٢. الخالد إلى دهر الدهرين ملكوته.

[رهبة والحضرة الإلهية]

١٥٣. فلو كنا طائعين الله، وفي طرق الأدب
 له سالكين.

١٥٤. ولما يجب علينا من الوقار لبيعته
 حافظين ماسكين.

^{٢٤} (لو ١٣: ٢٥)

^{٢٥} (مز ٧٨: ٤٩)؛ (سيراخ ٥: ٧)؛ (لو ٢: ٧)؛ (يو ٣: ٣٦)؛ (روا: ١٨)

^{٢٢} (عب ١٢: ١٨-٢٣)

^{٢٣} (عب ٨: ٦)



- بأوضح الدلالات.
١٧٨. الذين أشرقوا نجم الإيمان. وأقاموا منار الدين.
١٧٩. وأبطلوا إثم الطغيان. وأخزوا الكافرين.
١٨٠. وبطلبات الشهداء المكملين، وجميع السواح والقديسين.
١٨١. وكل مَنْ أرضاه ويرضيه من الماضين والمستأنفين.
١٨٢. فإن لا دعاء يستجاب إلا بضراعهم، ولا نداء يُجاب إلا بشفاعتهم.
١٨٣. ولا حاصل يتحصل إلا في انشاء طاعتهم.
١٨٤. ولا واصل يتوصل إلا بجماعتهم.
١٨٥. فهم دائماً سرمداً أمامه سبحانه مقبولين.
١٨٦. كل حين إلى أبد الأبدين، ودهر الدهارين.
- العذراء الفاخرة العفيفة. مرتميم والدة الخلاص.
١٦٩. التي لولاها ما كان لنا هذا الاختصاص، ولا الإفراج من القصاص.
١٧٠. المشاهدة لصلبه وآلامه، والشاهدة لنهوضه وقيامه.
١٧١. ورؤساء الملائكة المقربين، والحيوانات الغير متجسدين.
١٧٢. والقسوس الروحانيين، وسائر الطقوس العلويين النورانيين.
١٧٣. والآباء المكرمين. والأنبياء الصادقين المُعظمين.
١٧٤. وسادتنا وآبائنا الرسل الأطهار. صفوته ومختاربه الأنصار.
١٧٥. الذين اختصهم له تلاميذ من جميع أمم الأقطار.
١٧٦. الصادقين المقالات والروايات والأخبار.
١٧٧. الناهضين بأعباء الرسالة الناطقين

- [عن يوحنا ورؤياه]
١٨٧. وأخبركم أيها السادة الحاضرين المؤمنين.
١٨٨. بأنوار السنايا. المعطين أسنى العطايا.
١٨٩. الفرحين بظهور نعمة خالق^(٢٠٧) البرايا.
١٩٠. وخلص نفوسهم بمغفرة الخطايا.
١٩١. بما رأت رؤيا الأب الفاضل البتول.
١٩٢. والحبر الكامل الرسول.
١٩٣. والثالث من عدة الاثني عشر الحواريين.
١٩٤. والرابع من عدة الأربعة رمامين الذهب الإنجيليين.
١٩٥. الذي كان له الدالة في السؤال لسيده كل حين^{٢٦}.
١٩٦. واتكأ على صدره الشريف وقت العشاء^{٢٧}.
١٩٧. وشده بالزونية عندما نشأ، وقال عنه: أنه يبقى هذا إلى أن أجيء إن كنت أشاء^{٢٨}.
١٩٨. وأخفى الله حالة انتقاله ومكان دفنه عن جميع العالمين.
١٩٩. بعد بلوغه من العمر مئة عام وسنة من السنين.
٢٠٠. حبيب المسيح والجرس الذهب
- المبشر بقاعدة الإيمان.
٢٠١. والمذهب ابن الرعد صاحب رسائل القتاليقون.
٢٠٢. الناطق بالإلهيات في الرؤيا عن ما سيكون.
٢٠٣. التاولوغس المؤمن على السر العجيب.
٢٠٤. لما أشار إليه رب المجد وهو على عود الصليب.
٢٠٥. عن سيدتنا والدة الابن الحبيب.
٢٠٦. أن هذه أمك، ولها أن هذا ابنك، ولم يسلمها لأحد غريب^{٢٩}.
٢٠٧. القديس الرئيس. الحكيم النفيس.
٢٠٨. يوحنا ابن زبدي. القائل الأبوغالمسيس.
٢٠٩. الذي كتبه في جزيرة بطمس وهو منفياً حبيس.
- [عن القارئ والسامع للرؤيا]
٢١٠. وقارئه العبد الحقير. الذي بذنوبه أسير.
٢١١. الخاطئ المسكين. المرذول المهين.
٢١٢. المنحني من ثقل الأوزار. المقاتل من سوء الأفكار.
٢١٣. التابع هواه لذاته. المخالف للطبيب في دواه.
٢١٤. الغارق في بحار العيوب. العادم السباحة من كثرة الخيوب.

^{٢٩} (يو ١٩: ٢٦ - ٢٧).

^{٢٦} (يو ١٣: ٢٥).

^{٢٧} (يو ٢١: ٢٠).

^{٢٨} (يو ٢١: ٢٢).

- [خاتمة]
٢١٥. المدلهم العقل في الفعل والنقل.
٢١٦. الآرث المنطق من اللسان المشكول.
٢١٧. والأبج الصوت من القلب المبتول.
٢١٨. المعترف بالنقص والتقصير.
٢١٩. الناظر إلى هفواته، وهو متغافلاً بصير.
٢٢٠. العاري من جميع الفضائل. المكمل بكل الرذائل.
٢٢١. العاجز الكسلان الذي لا يدعي بين الخلق إنسان.
٢٢٢. ولا يستحق أن يتلو (٢٠٦) لفظة من هذا الجليان.
٢٢٣. الرفيع المحل العظيم الشأن.
٢٢٤. إلا أن خبث الأوان، وفقر الزمان.
٢٢٥. أوجبانا جرأته على تلاوته وقراءته. هو سيل صدق محبتكم
٢٢٦. ويتضرع أمامكم. خاضعاً بهامته الخاطئة تحت أقدامكم.
٢٢٧. أن تميلوا إليه مسامع قلوبكم وأذانكم.
٢٢٨. وتصغوا لما يشرحه على مسامعكم.
٢٢٩. وتحرروه من النقل بصحة أفهامكم.
٢٣٠. وتردوا عليه السهوة، والغلظ، والذهول، والنسيان.
٢٣١. ليخلص هو وإياكم من تبعة الحرمان بصحة البيان.^{٤٠}
٢٣٢. ونستمد من كرمه أن يُسمعنا ذاك الصوت المملوء فرحاً وبهجة في يوم مجيئه الثاني،^{٤١} ويوقفنا على اليمين لا على الشمال.^{٤٢}
٢٣٣. ونسأل تحننه حُسن التوفيق والعناية من البداية إلى النهاية.
٢٣٤. ولنحظى بجزيل الامتتان.
٢٣٥. ونقوم بالزلفى العظيمة بين يدي الإله الديان.
٢٣٦. ويجعل لنا النصيب التام الوافر الأقسام.
٢٣٧. مع الرائي والراوي لهذا الكلام.
٢٣٨. وجميع من توسلنا شفاعتهم بالتمام.
٢٣٩. وكافة المسيحيين المسافرين والحاضرين أجمعين.
٢٤٠. الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين وأبد الأبدين آمين.
٢٤١. تم وكملت التقدمة بسلام من الرب الرحمن.
٢٤٢. ويتلوه قراءة السفر عربياً.

^{٤١} (مت ٢٥ : ٣٤).

^{٤٢} (مت ٢٥ : ٢٣ ، ٤١).

^{٤٠} (رؤ ٢٢ : ١٨).

مؤتمر الجمعية العامة الثانية عشرة لمجلس كنائس الشرق الأوسط في مصر



«أنا هو لا تخافوا»



أ. يوسف إدوارد

كلمة رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر
في يوم العائلة الإنجيلية ضمن فعاليات
مؤتمر الجمعية العمومية لمجلس كنائس
الشرق الأوسط

يرتبط حضور الله بالسلام والتغلب على المخاوف

الله هو مصدر الطمأنينة والسلام

كلمة «لا تخافوا» ليست فقط وصيةً من الله لكنها أيضاً تحمل

إرسالية ومسؤولية كبيرة علينا

عن لقاء رئيس الجمهورية

يعكس حرص الدولة المصرية على احترام وتقدير الجميع

وبمسؤولية وطنية مخلصية

نحن أمام قيادة مصرية وطنية تسعى بشتى الطرق الممكنة

لتأصيل المواطنة

روفائيل ساكو، بطريرك الكلدان في العراق والعالم، والقس الدكتور حبيب بدر، رئيس الإتحاد الإنجيلي الوطني في لبنان، ورؤساء الكنائس الأعضاء أو ممثليهم، وأعضاء اللجنة التنفيذية، والأمين العام الدكتور ميشال عبس، والعاملين في المجلس، وبمشاركة ممثلي كنائس وهيئات مسكونية .

وضم وفد رئاسة الطائفة الإنجيلية بمصر، القس كمال رشدي، رئيس سنودس النيل الإنجيلي، والقس رفعت فتحي، الأمين العام لسنودس النيل الإنجيلي، والقس نادي لبيب راعي الكنيسة الإنجيلية بالمقطم، والقس رفعت فكري، رئيس مجمع القاهرة، والأمين المساعد لمجلس كنائس الشرق الأوسط .

وفي بداية كلمته أعرب رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر عن سعادته بلقاء الجمعية العامة لمجلس كنائس الشرق الأوسط،

شارك رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر الدكتور القس أندريه زكي، في الجمعية العامة الثانية عشرة لمجلس كنائس الشرق الأوسط، بمشاركة الكنائس الأعضاء من العائلات الكنسية الأربع التي يتألف منها المجلس: العائلة الأرثوذكسية الشرقية، والعائلة الأرثوذكسية، والعائلة الكاثوليكية، والعائلة الإنجيلية، وذلك في جمهورية مصر العربية للمرة الأولى منذ تأسيسه، من ١٦ إلى ٢٠ مايو ٢٠٢٢، بمركز لوجوس- المقر البابوي بدير الأنبا بيشوي في وادي النطرون، بحضور رؤساء المجلس: مار اغناطيوس أفرام الثاني، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم أجمع، يوحنا العاشر، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، الكردينال لويس

وسط الأبواب المغلقة، وسط الخوف، ويأتي وسط العاصفة الشديدة التي نشعر أن لا مهرب منها، ويأتي حين نشعر أن الأمور قد خرجت بالكامل عن السيطرة، يأتي ليؤكد قدرته وسلطانه، ويمنحنا السلام والطمأنينة».

وفي نهاية كلمته قال الدكتور القس أندريه زكي: «لدينا اليوم إرسالية وتكليف، كل في موقعه، لنشر هذا السلام والدعوة إليه، أن نذهب لكل من يعيش خلف أبواب مغلقة، لكل من يعاني وسط اضطراب أو عاصفة، من الخوف والقلق، من الفقر والعوز والشك ونحمل رسالة السلام بكل أشكاله لتغيير واقع الإنسانية من حولنا. يدعونا السيد المسيح ككنيسة أن ننطلق للعالم ونحمل همومه ونشاركه اضطراباته ونجعل السلام رسالة فعلية وسط العالم المضطرب».

وخلال فعاليات المؤتمر استقبل فخامة الرئيس عبد الفتاح السيسي، رئيس جمهورية مصر العربية، صاحب القداسة، قداسة البابا تواضروس الثاني، بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية، وأصحاب القداسة والغبطة والسيادة، قادة ورؤساء الكنائس العربية، بمناسبة انطلاق أعمال الجمعية العامة الثانية عشرة لمجلس كنائس الشرق الأوسط في مصر لأول مرة.

وقال رئيس الطائفة: «لقاء الرئيس اليوم يعكس حرص الدولة المصرية على احترام وتقدير الجميع وبمسؤولية وطنية مخلصه»، مضيفاً: «نحن أمام قيادة مصرية وطنية تسعى بشتى الطرق الممكنة لتأصيل المواطنة».

والذي تستضيفه بلادنا الحبيبة مصر، كما وجه الشكر للدكتور ميشال عبس، الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط، على دعوته لتقديم هذه الدراسة.

وقال رئيس الطائفة: «يرتبط حضور الله بالسلام والتغلب على المخاوف، والتعرف



على الله هو مصدر الطمأنينة والسلام. وإذ يجتاز عالمنا اليوم ظروفًا قاسيةً من حروب وأوبئة وأزمات اقتصادية، فإننا مكلفون ليس فقط بالثقة في الله وقدرته وسلطانه، لكن أن نطمئن الآخرين أيضًا، فكلمة «لا تخافوا» ليست فقط وصية من الله لكنها أيضًا تحمل إرسالية ومسؤولية كبيرة علينا».

وأضاف رئيس الطائفة: «إن رسالتنا هي رسالة السلام وسط التحديات؛ فإن كان الموت هو أكثر ما يخيف الإنسان، فالمسيح انتصر عليه وعلى كل ما يخيف الإنسان ويهدده، وإن كان لا أحد يستطيع أن يسيطر على الطبيعة، فالسيد المسيح مشى على الماء وهدأ البحر. لهذا نتذكر دائمًا أن الله موجود ويرى، ويشعر بنا وبتحدياتنا، ويأتي

and to carry the message of peace in all its forms. The mission of the Resurrection includes changing the reality of humanity around us. The Lord Jesus Christ invites us, as a church, to go out to the world, carrying its concerns, sharing its troubles, and making peace a real message in the midst of the troubled world.

Christian leaders have proclaimed this call to the warring parties that the church's mission is to declare that war does not fulfill God's will. And when the Church proclaims this message, it carries the mission of Christ truly and effectively amid the global turmoil. Destroying the other does not achieve the purposes of God. Rather, it is an evil that springs out of the envy, hatred and greed of humanity.

Today, as Christian leaders, we offer the call from the pulpit for the church to come out to the community and bear its suffering. Give to the poor and needy. Help the poor and the oppressed. Think of ways to change the condition of the vulnerable and the marginalized in society. To celebrate the Resurrection is to carry out its mission by: Creating peace where there is no peace...

In the Resurrection, there is a message of renewal for the creation. A renewal of our personalities, just as the disciples' troubled personalities were renewed to people who boldly professed the truth, so God wants to renew us, to make us personalities capable of resistance and steadfastness, gaining ability, strength, and readiness to face all circumstances from the difficult circumstances and challenges we face.

Let the call be for all of us today, to be renewed from within, to change ourselves, to submit to the mighty hand of God capable of bringing about a profound change to our souls, and let us proceed to preach peace, for the Lord Jesus Christ praised the peacemakers, saying: «Blessed are the peacemakers, for they will be called children of God.» (Matthew 5: 9 NIV). We are mandated by God to help the marginalized, the poor, and all who are troubled and frightened by life's circumstances and challenges.

I pray for our beloved country and its leadership for the success of all their efforts and pursuit of peace and social cohesion, changing the lives of millions of poor people and providing a decent human life for people. I also pray for the president and the government, may God always help them in the face of all challenges, and grant them success in serving our country and building its future.

historian Josephus, who lived in the first century AD. In addition, the people were burdened with taxes imposed by the Roman colonizer, not for the public good, the thing which caused many revolts.

These political and economic conditions were reflected in the social reality. Philo, the Alexandrian Jewish historian who lived in the first century AD, records that the society in Jerusalem was full of tension between the different groups of society. Christ lived -in the heart of this scene- declaring the values and principles of the kingdom of God.

The gospel of John 20: 19-23 narrates how the Lord Jesus Christ appeared to the disciples post His resurrection to snatch them out of the spirit of turmoil and fear. We read: «On the evening of that first day of the week, when the disciples were together, with the doors locked for fear of the Jewish leaders, Jesus came and stood among them and said, «Peace be with you!» After he said this, he showed them his hands and side. The disciples were overjoyed when they saw the Lord. Again Jesus said, «Peace be with you! As the Father has sent me, I am sending you.» And with that he breathed on them and said, «Receive the Holy Spirit.» (NIV)

A group of disciples whose teacher was crucified, feel threatened and afraid to meet the same fate. They live experiencing an extraordinary state of social turmoil, hiding in a room with «closed» doors, gripped by the fear of an uncertain future and a difficult economic situation as the majority of them left their jobs and followed Christ.

The greatness of God is manifested here, that He is more powerful than all closed doors. Whatever it is that controls our feelings, be it anxiety or fear, God in the Most High is more powerful, and His interventions are supernatural, beyond our human imaginations and solutions.

The message of the Resurrection for us today is a message of peace amidst challenges. If death is what frightens man the most, Christ has triumphed over it and everything that frightens and threatens the human. That is why today, as we celebrate the Resurrection, we remember that God exists and He sees and feels us and our challenges. He comes amid closed doors, amidst fear, and amidst wars to save humanity.

The Resurrection is a mission and a mandate for us today, each in his position, to spread this peace and call people to it. Yes, the Resurrection is a mandate for all of us to go to everyone who lives behind closed doors, from fear and anxiety, from poverty and need, from doubt and turmoil

Written by
Chief Editor



Rev. Dr. Andre Zaki

President of the Protestant
Churches in Egypt
President of the Coptic Evangelical
organization for Social Services

The Resurrection Message to a Troubled World

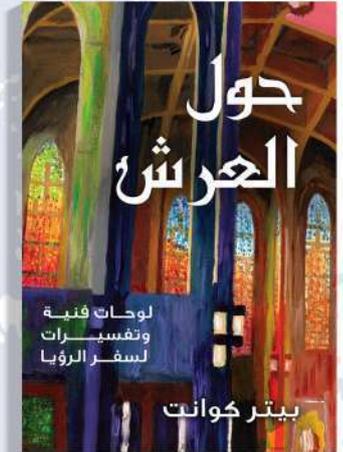
Resurrection from the dead, this title that carries with it great joy, and a victory over death and evil. Even if we celebrate it in circumstances marred by turmoil and anxiety in various parts of the world; for the fear of the Corona pandemic and its consequences still prevails in the world, although it is among the blessings of God on humanity that he gave us the vaccine that helped control the pandemic and the spread of the virus to a large extent. Unfortunately, humanity had not yet learned the lesson from the pandemic, to be surprised by a devastating war between Russia and Ukraine that destroyed much of Ukraine's infrastructure, and the effects of this war extended to the whole world, in the form of economic crises caused by high oil prices and the depreciation of local currencies in several countries against the US dollar.

These circumstances lead us to ask: What does it mean to celebrate the Resurrection in light of these challenges?

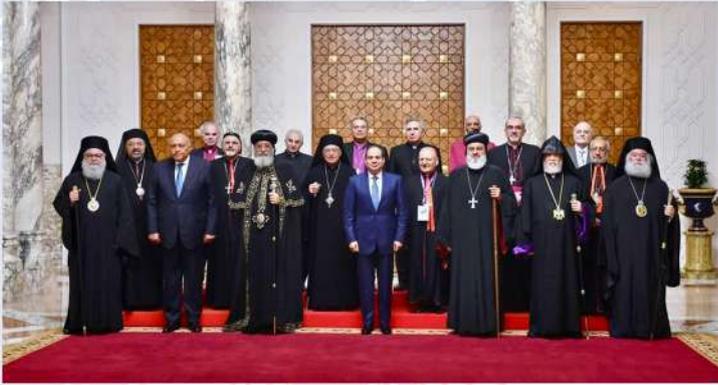
So let's read the scene in Jerusalem at the time of the resurrection. A city in crisis, living under political turmoil, by a ruthless and arrogant Roman colonizer. And economic turmoil represented in the increase of poverty and the rise in the prices of goods, and the inability of many to secure a qualitative housing, according to what was recorded by the Jewish

أهم إصدارات دار الثقافة بالهيئة القبطية الإنجيلية

صدر حديثاً



مؤتمر الجمعية العامة الثانية عشرة
لمجلس كنائس الشرق الأوسط في مصر



العنوان: الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية
العنوان البريدي: مربع ١٣٣١ ش. الدكتور أحمد زكي - النهضة الجديدة
تليفون: ٠٢ ٢٦٢٢١٤٢٥/٦/٧/٨
فاكس: ٠٢ ٢٦٢٢١٤٣٤
الموقع الإلكتروني: en.ceoss-eg.org
البريد الإلكتروني: info@ceoss.org.eg



ملحق العدد



حرب الخليج ونهاية العالم



الدكتور القسّ فايز فارس
تحرير وتقديم: القسّ عيد صلاح

يتناول طيب الذكر الدكتور القسّ فايز فارس (١٩٢٨ - ٢٠١٢)، الراعي الأسبق للكنيسة الإنجيلية الثانية بالمنيا في هذه العظات الثلاث تحت عنوان «حرب الخليج ونهاية العالم» نظرة موضوعية لعلاقة الحرب بالنبوات في الكتاب المقدس، العظات الثلاث هي: الأولى «أزمة الخليج ونبوات انتهاء العالم»، ويناقش فيها موضوع علاقة حرب الخليج وأية حروب بالأيام الأخيرة، وموضوع تحديد الأوقات والأزمات وواجب الاستعداد الدائم ثم المسؤولية الحاضرة. الثانية تحت عنوان «صور من انهيار الأمان» التي تُبنى على ثلاثة أمور، وهي: الطمأنينة الباطلة، الحكمة المضللة، الأنانية القتاتلة. الثالثة تحت عنوان «ملكوت الله وحركة التاريخ» يتحدث فيها عن أمرين هما: ملكوت الله في التاريخ الإنساني، ودور أبناء الله في التاريخ الإنساني.

وبرغم مرور ٣١ عاماً على إلقاء هذه الدروس إلا أنها مفيدة في سياق الحرب بين روسيا-أوكرانيا، والتي بدورها أثارت نفس الأسئلة التي أثارت من قبل في حرب الخليج. ومَنْ يقرأ هذا الملحق تحت عنوان: «حرب الخليج ونهاية العالم» سيجد إجابات مفيدة لأسئلة مثارة حول نصوص نبوية ووقائع سياسية معاصرة، وهذه العظات تُعبّر عن تفاعل المنبر مع الواقع المعاش في شرح كلمة الله بغنى وعمق.

والتوجه الذي اتخذه فايز فارس هو التوجه الذي نحتاجه في التركيز على هل من علاقة بين النبوات الكتابية بالأحداث السياسية المعاصرة ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط، وفي كل مرة يثار فيها ريط ما يحدث من حوادث جارية بالكتاب المقدس، مثل ما يحدث الآن لدى البعض الذين يربطون ما يجري في الحرب بين روسيا وأكرانيا بالكتاب المقدس، وهو ريط في ذاته غير منطقي، وغير منضبط، وغير كتابي.

أسلوب الدكتور القسّ فايز فارس:



٤- يظهر فكر لاهوتيّ متكامل ومتربط. وهو فكر لاهوتيّ ينبع من النصّ الكتابيّ وليس مفروضاً عليه من خارج، أي من الواعظ، فهو يخضع للنصّ الكتابيّ ولا يُخضع النصّ له.

٥- من الواضح أنه لا يتقيد بالحرف في النصوص الكتابيّة، أي لا يفسر بظاهر النصّ لكنه يبحث في المقصود الحقيقي من النصّ من خلال بحث جاد ومضنّ.

٦- من الواضح أيضاً أنّ هناك قيماً تظهر خلف كل عظاته وكتاباته، أهمها:

أ. الدعوة إلى التتوير ورفض التعصب والسلفيّة،

ب. دعوة المستمعين إلى العمل الوطنيّ والإيجابيّ من خلال أمانتهم وفي علاقتهم بجميع المواطنين على حد سواء،

ج. رفض فكرة الهجرة لأي سبب من الأسباب على أساس أن مصر بحاجة إلى كل أولادها،

د. الدعوة الدائمة إلى التفكير في المسلمات حتى تكون محكاً دائماً لتثبيت الإيمان بها،

هـ. رفض الأحكام المسبقة على شخص أو جماعة دون تعمق معرفي بهم،

و. التأكيد على قيم الحب والسلام والعطاء دون انتظار مقابل.

ز. المحاولة الذاتيّة لجعل الكتاب المقدّس

في عرضنا لفكر الدكتور القسّ فايز فارس، أعود للتحليل الرائع الوارد في كتاب قصة خادم، الذي صدر بمناسبة الاحتفال باليوبيل الذهبيّ له عن الكنيسة الإنجيليّة الثانية بالمينا، وقد جاء في هذا الكتاب تحليل وافٍ في فصل كامل عن فكره وتوجهاته، ألتقطُ منها هنا بعض النقاط الهامة قد تميز خطابه الفكريّ بالآتي:

١- التفكير المنظم الذي يصل من المقدمات إلى النتائج.

٢- القدرة على التحليل اللغويّ للنصّ Verbal Analysis واستخدام التعبيرات البيئيّة المتصلة بنشاط الإنسان اليوميّ.

٣- إبراز القرائن المختلفة للنصّ سواء القرينة التاريخيّة أو الحضاريّة

Contextual Analysis

الروحية على توضيح وجهة نظره في هذه القضية الهامة.

وهذا الكتاب يحوي ثلاث عظات حول هذا الموضوع أقيمت في التواريخ الموضحة بكل منها، يمكن أن نستخلص منها العديد من الدروس.

(١)

أزمة الخليج ونبوات انتهاء العالم

أقيمت صباح يوم الأحد الموافق ٣٠
سبتمبر ١٩٩٠م

أزمة الخليج والأيام الأخيرة

"هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ
فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ... لِذَلِكَ
كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ
لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ". (مت ٢٤ : ٣٣،
٤٤).

نشرت جريدة التايمز الإنجليزية مقالاً
يوم السبت الموافق (٢٢ / ٩ / ١٩٩٠) قالت
فيه إنه بالرغم من أن منطقة الخليج تبعد
عن أمريكا آلاف الأميال، إلا أن بعض الشيع
والجماعات الدينية في أمريكا كعادتها في
كل المناسبات اتخذت من أزمة الخليج
برهاناً لتأييد نظرياتها التي تقول إن نهاية
العالم قد اقتربت جداً.

وقد امتلأت المكتبات بالكتب التي تشرح
النبوات التي تتحدث عن مجيء المسيح ثانية.
وقال البعض إن تقارب أمريكا مع روسيا

الذي كتب من ألفي عام يصلح لإنسان
العصر، أو كما يقول: ليكن الواعظ هو
الكوبري الموصل بين الجريدة اليومية
بأحداثها المتلاحقة والكتاب المقدس.
(قصة خادم، ١٩٩٨م، ٣٣ - ٤٤).

يبقى أن مشروع الدكتور القس فايز
فارس الفكري-والذي ألحقنا سرداً له في
نهاية هذا الملحق-يحتاج إلى قراءة ودراسة
ونقد لكي نستفيد منه.

المحرر

القس عيد صلاح

راعي الكنيسة الإنجيلية بعين شمس-القاهرة

الفصل الأول

حرب الخليج ونهاية العالم

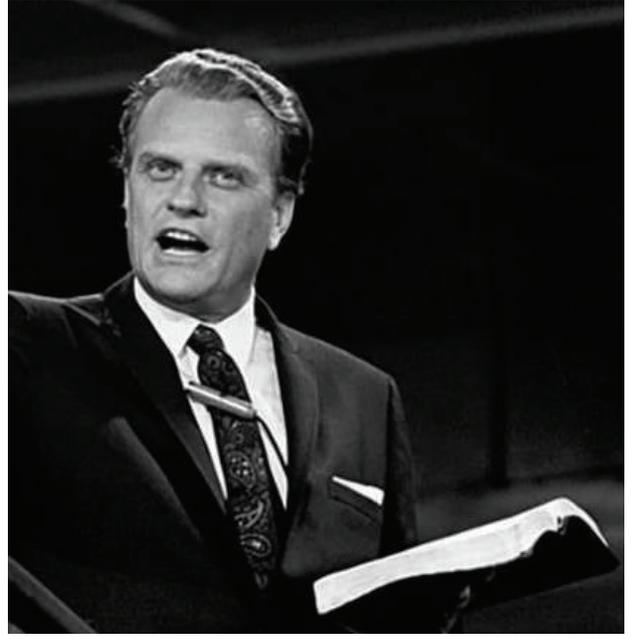
الدكتور القس فايز فارس

مقدمة دار الثقافة عام ١٩٩١م:

كانت أزمة الخليج التي نشأت نتيجة
استيلاء العراق على الكويت، والحرب التي
دارت لتحريرها مثار تساؤلات كثيرة بين
الناس، فمنهم من رأى أنها تحقيق لنبوات
وردت في الكتب المقدسة، ومنهم من قال
إنها إنذار بنهاية العالم.

وكان لابد أن يقوم علماء الدين بتوضيح
رأيهم للناس في هذه الأمور من واقع
مسئوليتهم في التعليم. وهذه محاولة لواحد
منهم، يحرص أن تكون رسائله من على
منبره مواكبة ومعاصرة للأحداث. لذلك
فمنذ أزمة الخليج وهو يحرص في رسائله

طريق صديقه الواعظ الشهير بيلى جراهام. فقد كان يعظ في موطن الرئيس بوش في Kennebunk port بولاية Maine وكان الرئيس بوش حاضراً في الكنيسة، ووعظ بيلى جراهام عن المعنى الكتابي لبابل وقال للسامعين إنَّ الأحداث التي تجري الآن في الخليج قد تكون لها دلالة روحية، فإنَّ الموقع الجغرافي لبابل هو الآن في العراق. وقال بيلى جراهام إنَّ هذا المكان هو الذي ابتداءً فيه التاريخ، وإنَّ الكتاب المقدس يعلمنا أنَّ التاريخ سينتهي من حيث ابتداءً.



وهنا في مصر، نجد نفس الأفكار والتفسيرات، وقد جاءني كثيرون يستفسرون ما إذا كان ما يحدث الآن يعتبر تحقيقاً لما جاء في نبوات وردت في سفر إشعياء أو دانيال، أو زكريا. هل العراق الآن يمثل أشور الذي قالت عنه النبوة في إشعياء في إصحاح ١٠ "وَيْلٌ لِأَشُورَ قَضِيبِ غَضَبِي، وَالْعَصَا فِي يَدِهِمْ هِيَ سَخَطِي. عَلَى أُمَّةٍ مُنَافِقَةٍ أُرْسِلُهُ، وَعَلَى شَعْبٍ سَخَطِي أَوْصِيهِ، لِيَقْتَتِمَ غَنِيمَةً وَيَنْهَبَ نَهْبًا، وَيَجْعَلَهُمْ مَدُوسِينَ كَطِينِ الْأَزِقَّةِ". (إش ١٠: ٥-٦).

أو هل ما يحدث الآن -خاصة ما يجري بين العراق وإيران- هو تحقيق لما جاء في إشعياء ١٣ عن بابل والماديين؟ والتي فيها تصوير بابل هي زينة فخر الكلدانيين كسدوم وعمورة؟ أو هل المحاولات التي يقوم بها اليهود لإعادة بناء الهيكل في أورشليم هي التمهيد لنهاية العالم ومجيء السيد المسيح ثانية؟

والاتفاق بين الرئيسين بوش وجورباتشوف هو بداية لأنَّ تلعب روسيا دوراً في الشرق الأوسط. تكون نتيجة الحرب مع إسرائيل، والتمهيد لمعركة هرمجدون ونهاية العالم. كذلك تهلل شهود يهوه وهم يطرقون أبواب البيوت من باب إلى باب ليعلنوا هم أيضاً نظريتهم بأنَّ ملكوت الله قد اقترب.

وقد تطوع أحد المبشرين الغيورين في أمريكا بأنَّ يضع رسالة مُسجَّلة في تليفون خاص تنبه كل من يطلب الرقم الذي ذكره إلى أنَّ نهاية العالم قد اقتربت، وأنَّ اقتران استخدام الأسلحة النووية مع الأسلحة الكيماوية وتلوث البيئة وظهور أمراض خطيرة لم تُعرف من قبل مثل مرض الإيدز وزيارة التعصب والانفجار السكاني وازدياد التوتر بين مختلف القوميات. كل هذه الأمور تنذر بأنَّ خراب العالم قريب وأنَّ البشر بشرورهم قد عجلوا بقدوم هذا الخراب.

بل إنَّ هذه الرسالة قد وصلت بصورة معتدلة إلى أسمع الرئيس بوش نفسه عن

والجهد في محاولة توفيق تفسير بعض عبارات ونبوات الكتاب المقدس، وتطبيقها على ظروف معينة في التاريخ المعاصر، ليستتجوا من ذلك أن هذا الحدث أو ذلك الشخص أو تلك الظروف هي المقصودة في النبوات.

والحقيقة أن نبوات الكتاب المقدس مكتوبة بأسلوب رمزي حتى يمكن أن يفهما كل فرد بالأسلوب الذي يحمل إليه رسالة روحية خاصة. وبعض النبوات تحققت في أحداث معينة في الماضي، ويمكن أن تتحقق بصورة أخرى في المستقبل، ولذلك لا يمكن أن تنطبق النبوة وتقتصر على حدث معين بالذات. ولا ينبغي أن ننسى أن مختلف الأديان عندها نفس هذه المسألة، ففي تراثها الديني وكتبها المقدسة ما يشبه النبوات عن نهاية العالم، وهي متقاربة ومتشابهة مع ما ورد في العهد القديم.

وقد التقيت منذ أسابيع مع صديق مسلم من أساتذة الجامعة، وذكر لي أنه في التراث الإسلامي ما ينبئ أيضاً عن نهاية العالم وظهور المسيح الدجال، وهذا مرتبط أيضاً بالحروب بين الأمم وبعودة اليهود إلى فلسطين. وعند اليهود أنفسهم انتظارات لمجيء المسيح، وهم لا يعتقدون أنه قد جاء بالفعل، ويريدون بأساليبهم السياسية أن يحققوا هذه الانتظارات.

وأغلب الناس يقعون في مصيدة التفسير الحرفي لهذه النبوات مع أن الجزم والقطع بتفسير حرفي معين يعرض الناس لكثير من الأخطاء. فالذين يظنون اليوم أن صدام

لكل هذا شعرت أنه من واجبي أن أقدم لكم رسالة توضح الموقف المتوازن الذي يجب أن نتخذه من هذه التيارات الفكرية المتعددة. وسأقصر حديثي على ثلاث نقاط، هي:

أولاً: مجال تحديد الأزمنة ليس من سلطان البشر.

ثانياً: واجب الاستعداد الدائم لمواجهة الله لا يتطلب تحديد الأزمنة.

ثالثاً: الانشغال بفكرة نهاية العالم لا يجب أن يعوقنا عن مسؤولياتنا الحاضرة.

أولاً: مجال تحديد الأزمنة ليس من سلطان البشر

من طبيعة البشر حب استطلاع المستقبل، والتلذذ بالقدرة على عمل حسابات وتقديرات تُوحي لهم بأنهم تمكنوا من اختراق غياب المجهول، واستطاعوا أن يعرفوا شيئاً عن آخر الأيام. وحتى تلاميذ المسيح أنفسهم كانت لديهم هذه الرغبة. ذلك أنه فيما كان الرب يسوع نفسه يُحدث تلاميذه بعد القيامة عن موعد الروح القدس، إذ بهم يسألونه ما كان شائعاً عندهم عن الأمور المتعلقة بالآخرة. فقال لهم بصورة قاطعة: "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْأَزْمَنَةَ وَالْأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الْآبُ فِي سُلْطَانِهِ" (أع ١: ٧). وفي موضع آخر من الأناجيل قال المسيح: "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْآبُ، إِلَّا الْآبُ" (مر ١٣: ٣٢).

وبالرغم من ذلك فالناس يصرفون الوقت

اقتناء أشرطة تسجيل هذه العظة.

وقد انتهزت فرصة لقاء ودي مع هذا الواعظ والصديق العزيز، وسألته لماذا يصر على أسلوب تحديد مواعيد ولو تقريبياً لمجيء الرب مع أن هناك احتمال الخطأ في هذا التفسير. فقال لي: وما الضرر إذا كان هذا يساعد على توبة الناس؟

وهكذا يُفكر البعض، مدفوعين بدوافع الغيرة على خلاص النفوس وتقريب البعيدين، كما أن بعض المؤمنين الذين يعانون آلام هذه الحياة يشناقون إلى مجيء الرب لتنتهي الآلام والدموع، وتزول المتاعب، ومن ثم يبدأون حياة السعادة الأبدية مع الرب. على أنني اعتقد أن واجب الاستعداد الدائم، لا يقتضي تحديد موعد لمجيء الرب والتركيز عليه، لأسباب كثيرة أذكر منها سببين:

السبب الأول: السيد المسيح نفسه أراد أن يبقى هذا الأمر مجهولاً ومخفياً عن البشر، لكي يكونوا مستعدين في كل لحظة. وقد قال بوضوح: "فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ! فَلَا تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ! فَلَا تُصَدِّقُوا. لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هَكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ" (مت ٢٤: ٢٣-٢٧).

ومع أنه قال: "هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ". (مت ٢٤: ٣٣). لكنه قال أيضاً "اسْهَرُوا إِذَا لَأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ".



حسين هو الوحش، أو المسيح الدجال لأنه اتخذ لنفسه أسماء مثل أسماء الله، يقعون في الخطأ الذي وقع فيه آخرون في الماضي، عندما ظنوا أن نابليون أو هتلر أو موسوليني هو المسيح الدجال أو الوحش، وحاولوا توفيق رموز الحروف على اسمه ليجدوا أنها ٦٦٦ بطريقة أو بأخرى وقد ثبت أن واحداً من هؤلاء جميعاً لم يكن هو المسيح الدجال.

إنَّ الله وحده يحتفظ لنفسه بسلطان معرفة الأزمنة والأوقات، وهو يمسك بزمام التاريخ وأحداثه ويتمجد في كل ما يحدث. هذا ما يجب أن ندركه ونثق به. لكن محاولة اختراق حجب المستقبل أمر ينهى عنه الكتاب المقدس.

ثانياً: واجب الاستعداد الدائم لمواجهة الله لا يتطلب تحديد الأوقات

منذ أربعة أعوام قدّم أحد الوعاظ المشهورين عظة رائعة في مدينة المنيا. فهم منها الناس أن الشواهد تؤكد أن نهاية العالم ومجيء المسيح ثانية ستكون خلال عام ١٩٨٨ أو ١٩٨٩ بحسب استنتاجات أوردتها في العظة، وتهافت الناس على

مع المسيح. وفي كل مناسبة نتخذ فيها قراراً. وفي كل حالة اضطراب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي. في موقف الاختيارات الصعبة. في أوقات الألم أو الخسارة أو المرض أو الحزن العميق، كل هذه مواقف نواجه فيها المسيح. بل إن بعض النبوات التي يظنها الناس إشارة إلى نهاية العالم، لا تشير إلى انقضاء العالم، بل إلى انتهاء حقبة من التاريخ وبداية حقبة أخرى. وهذا الانتقال من مرحلة إلى أخرى يتضمن قلقاً واضطرابات. أمور تزول وأمر يبزغ نورها من جديد.

وهذا يحدث كثيراً، وربما عدة مرات في الجيل الواحد. وبعض ما جاء في متى ٢٤، ومرقس ١٣ كان لا يشير إلى نهاية العالم، بل إلى يوم الرب، الذي خربت فيه أورشليم تنفيذاً لقول المسيح "هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!" (لو ١٣: ٣٥). وقد قال المسيح: "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ." (مت ٢٤: ٣٤). كان ذلك اليوم كأنه نهاية الدنيا بالنسبة للسكان في تلك البلاد.

والمسيح لا يسعده أن نظل لاهين عنه، منشغلين بنزواتنا أو أطماعنا أو أنانيتنا. ثم ننتظر لكي يأتينا إنذار من واعظ يقول لنا بحساباته وتفسيراته إنَّ نهاية العالم قد اقتربت، فنترك ما نحن فيه ونبدأ في التوبة والرجوع إلى الله. كلا. إنَّ هذا الأسلوب المسرحي لا يتلائم مع رغبة الله أن نحيا له كل الوقت، أن نسلك بحسب وصاياه كل يوم.

(مت ٢٤: ٤٢) .. "لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ." (مت ٢٤: ٤٤). فالمسيح يريدنا أن نكون مستعدين في كل وقت. لأنه لا يعلم أحد الموعد ولا الساعة حتى أن الرسول بولس قال لأهل كورنثوس مرة: "نَحْنُ الَّذِينَ أَنْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ" (١ كو ١٠: ١١).

فتحديد سنة معينة في ظروف معينة لنهاية العالم ثم عدم حدوث ما تتوقعه لا يساعد الإنسان على التوبة بل قد يزيد القلوب قساوة، أو يجعل الشكوك تساور البعض في صدق النبوات. والحقيقة أن النبوات صادقة لكن تفسير البعض لها هو الذي جانبه الصواب.

النبوات توضح لنا أن هناك دينونة للشرك، وأن هناك فرصاً جديدة يمنحها الله للخير. وأنه في وسط الدينونة والخراب، ينبت الله زهرة حياة جديدة، وفي وسط الغضب يذكر الرحمة. هذا هو المضمون الأساسي للنبوات، دون الدخول في تفاصيل محدّدة، قد نتلذذ بوضع جداول وخرائط لها، لكننا عندما نتبين عدم حدوث ما توقعناه. نضطر إلى تعديلها وإعادة تشكيلها.

السبب الثاني: حتى إذا لم تكن نهاية العالم خلال سنوات عمرنا فإن مواجهتنا لدينونة المسيح كأفراد وكأمة قد تكون في أي لحظة وفي كل موقف. لماذا نتصور أننا سنواجه الله والمسيح عند نهاية العالم فقط؟

إنَّ كل موقف نجتازه، هو مواجهة لنا



إليهم بولس الرسول قائلاً: "فإننا أيضاً حين كنا عندكم، أوصيناكم بهذا: أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً. أننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب، لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء، ويأكلوا خبز أنفسهم". (٢ تس ٣: ١٠-١٢).

وإذا كانت نهاية العالم قد اقتربت، فلنقم بمسئولياتنا الحاضرة خير قيام وعندما يجيء المسيح فإنه يجدنا نقوم بواجبنا، فيكافئنا على جهادنا. إن انتظارنا لنهاية العالم لا يجب أن يشجعنا على الأحلام بل على الكفاح. كذلك فإننا لا ينبغي أن نفترض أن تفسير بعض الناس للنبوات هو خطة الله الحتمية للعالم. فنندفع إلى قبول بعض الأوضاع الخاطئة ونحجم عن محاولة تصحيح هذه الأوضاع. فإذا قيل لنا إن الأحداث الفلانية هي تحقيق لنبوات الكتاب المقدس، وقبلنا هذا التفسير كحقيقة مؤكدة، فإننا نتعرض لقبول المظالم

أنت تواجه المسيح دائماً. إن لم يأت المسيح لك على سحاب السماء وتسمع أصوات البوق الأخير، فسيأتي إليك المسيح في أزمة تعانيها. في موقف يهزك ويجعلك تعيد حساباتك، أو في دعوة شخصية لك أن تلاقي الرب بانتهاء حياتك. فكن دائماً مستعداً أن تلاقي الرب الهك.

ثالثاً: الانشغال بفكرة نهاية العالم لا يجب أن يعوقنا عن مسئولياتنا الحاضرة

جميل أن نكون مستعدين دائماً لمجيء الرب يسوع المسيح. لكن هذا الانتظار الجميل لا يجب أن يأخذنا في أحلام وردية، وشطحات روحية، تجعلنا ننسى أو نهمل مسئولياتنا الحاضرة. وقد حدث مثل هذا الأمر في أيام حياة بولس الرسول، وفي كنيسة تسالونيكي كان الناس يتوقعون أن المسيح سيأتي سريعاً في غضون حياتهم الحاضرة. لذلك امتنعوا عن العمل، وسلخوا بلا ترتيب، وقالوا ما فائدة العمل والمجهود والمسيح آتٍ سريعاً وقريباً. هؤلاء كتب

والشروع التي تحدث من بعض الشعوب أو الدول ولا نقاومها.

وهذا في حد ذاته هروب من مسؤولياتنا الأخلاقية. وبعض الدول تستغل أحلام الناس وانتظارهم الدينية لكي تحقق أهدافها السياسية. إن مسؤوليتنا هي أن ننظر إلى كل عمل وكل حادث في ضوء الواقع، فنقاوم الشر حيثما وجد، ونصحح الخطأ إذا استطعنا. لنترك التاريخ لسيد التاريخ، ولنقم نحن بمسئوليتنا، عالمين أن الله سيحاسبنا عن مسئوليتنا الشخصية.

إن هذا العالم سيزول حتماً.

اليوم وغداً أو بعد ألف سنة.

لكننا سنواجه المسيح اليوم.

وسنواجهه كل يوم.

وقد تكون المواجهة النهائية بالنسبة لأي شخص منا أقرب مما نتصور. فيا من تضيعون وقتكم وجهدكم في تخمينات وتفسيرات للنبوات اعلموا أن الله يواجهنا في كل لحظة من حياتنا. فانشغلوا بمسئوليتكم الروحية والاجتماعية والوطنية، قوموا بالواجب الذي يطلبه الله منكم الآن، فإذا جاء المسيح إلينا أو أخذنا المسيح إليه نكون بالحق في أمان.

(٢)

صورة من انهيار الأمان

ألقيت في صباح يوم الأحد الموافق ٢٠

يناير ١٩٩١م

"وَأَنْتَ اطْمَأَنَّتْ فِي شَرْكَ (وثقت بخبثك) قُلْتَ: لَيْسَ مِنْ يَرَانِي. حَكَمْتُكَ وَمَعَرَفْتُكَ هُمَا أَفْتَنَّاكَ (أزاعاك - أضلاك) فَقُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَنَا وَلَيْسَ غَيْرِي فَيَأْتِي عَلَيْكَ شَرٌّ لَا تَعْرِفِينَ فَجَرَّهُ، وَتَقَعُ عَلَيْكَ مُصِيبَةٌ لَا تَقْدِرِينَ أَنْ تَصُدِّيَهَا، وَتَأْتِي عَلَيْكَ بَغْتَةً تَهْلِكُ لَا تَعْرِفِينَ بِهَا." (إش ٤٧: ١٠، ١١).

إذا قرأنا هذه الآيات، فأول ما يتبادر إلى أذهاننا أنها نبوة قد تحققت هذا الأسبوع في دولة العراق التي هي الموقع الحالي لمملكة بابل القديمة، والكلام في هذه الآيات موجه بالفعل إلى بابل كما يظهر في بداية الإصحاح. والناس عادة يسعدهم أن يكتشفوا أقوالاً قديمة، تتحقق في العصر الحاضر، ويعتقدون أن هذا الاكتشاف يزيد من إيمان الناس بالوحي الإلهي. والواقع أن الكتاب المقدس لا يحتاج إلى اكتشافات وظنون وحجج البشر الحديثة للبرهنة على صدقه. فقد ثبت ذلك منذ كتابته، بآيات الله، وسلطان كلمة الله في نفوس البشر على مدى التاريخ الإنساني.

والكتاب المقدس فيه كثير من النبوات التي تحققت في زمانها، وعرف الناس بعد وقوع الأحداث أنها تحقيق للنبوات، كما أن الكتاب المقدس فيه نبوات تحققت مرة بصورة ما، وربما تتحقق مرة أخرى بصورة مختلفة.

لكن الأهم في الكتاب هو رسالته الباقية الخالدة لكل الناس في كل عصر. وإنني شخصياً أقرأ الكتاب المقدس من هذا المنطلق فأجد فيه رسالة روحية عظيمة

وسأحاول أن أقرأ بعض كلمات هذه القصيدة من (إش ٤٧: ١- ١١) مع تبسيط وتوضيح بعض المعاني الصعبة، وإذا تابعت الكلام معي في الكتاب المقدس يمكنكم استيعاب المعاني بشكل أفضل. يقول الله لبابل: «انزلي واجلسي على التراب أيتها العذراء ابنة بابل. اجلسي على الأرض بلا كرسى يا ابنة الكلدانيين، لأنك لا تعودين تدعين ناعمة ومترفة. خذي الرخي واطحني دقيقاً. اكشفي نقابك. شمري الذيل. اكشفي الساق. اعبري الأنهار. تتكشف عورتك وترى معاريك. آخذ نعمة ولا أصالح أحداً. فادينا رب الجنود اسمه. قدوس إسرائيل. اجلسي صامتة وأدخلي في الظلام يا ابنة الكلدانيين، لأنك لا تعودين تدعين سيده الممالك. غضبت على شعبي. دنست ميراثي ودفعتهم إلى يدك. لم تصنعي لهم رحمة. على الشيخ ثقلت نيرك جداً. وقلت: إلى الأبد أكون سيده! حتى لم تضعي هذه في قلبك. لم تذكري آخرتها. فالآن اسمعي هذا أيتها المتعمة الجالسة بالطمأنينة، القائلة في قلبها: أنا وليس غيري. لا أقعد أرملة ولا أعرف الشكل. فيأتي عليك هذان الاثنان بغتة في يوم واحد: الشكل والترمل. بالتمام قد أتيا عليك مع كثرة سُحورك، مع وفور رُفاك جداً. وأنت اطمأنت في شرك. قلت: ليس من يراني. حكمتك ومعرفتك هما أفتتاك، فقلت في قلبك: أنا وليس غيري. فيأتي عليك شرٌّ لا تعرفين فجره، وتقع عليك مصيبة لا تقدرين أن تصديها، وتأتي عليك بغتة تهلكة لا تعرفين بها». (إشعيا ٤٧: ١- ١١).

خالدة. وبهذا المعنى قرأت القصيدة الشعرية الرائعة والعميقة والمؤثرة الموجودة في الأصحاح السابع والأربعين من سفر إشعيا. فهي مكتوبة بالشعر العبراني، والترجمة العبرية لها نثرًا فيها الكثير من الصور الأدبية والبلاغية التي تترك في النفس أبلغ الآثار. هي قصيدة شعرية ونبوة عن بابل في نفس الوقت، وجهها الله إلى بابل على فم إشعيا النبي.

ودارسو التاريخ يعلمون أن الله سيد التاريخ، يستخدم الدول والممالك والشعوب كلها لتحقيق مقاصده لكنه في نفس الوقت يتطلب من الجميع السير حسب مبادئه في العدل والرحمة والحق والفضيلة، ويعاقب كل أمة وكل فرد لا يطيع وصاياه، ولا يسلك في سبله.

لقد غضب الله على شعبه في العهد القديم وأراد أن يعاقبهم، فسمح لمملكة بابل أن تهزمهم وتسبيهم وتأسر أفضل الناس وتأخذهم عبيداً في مملكة بابل. لكن مملكة بابل، تكبرت وتجبرت، وظنت أنها دولة لا تقهر وأساءت معاملة الناس الذين سببتهم وأسرتهم ولم ترحمهم بل استعبدتهم عبودية قاسية، ولم ترحم حتى الشيوخ منهم. وجاء وقت عقاب تلك الدولة. إن الله لا يترك عملاً شريراً دون عقاب. وفي وقت معين، هياً الله دولة فارس لتكون أداة عقاب لبابل.

هذه النبوة التي جاءت على لسان إشعيا النبي في صورة قصيدة شعرية أو مرثاة، هي إعلان من الله لبابل أن عقابها قد حان.

قَلْبِي. إِنَّ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ... لِأَنَّهُ (الرب) يُخَبِّئُنِي فِي مَظَلَّتِهِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ. يَسْتُرُنِي بِسِتْرِ خِيَمَتِهِ. عَلَيَّ صَخْرَةٌ يَرْفَعُنِي. (مز ٢٧: ١، ٣، ٥).

هذه هي الطمأنينة الحقيقية، لأنها مؤسسة على الإيمان بالله، الذي هو فوق الظروف والأحداث. لكن هناك اطمئناناً باطلاً وكاذباً وخادعاً. وهو المبني على الأوهام وعلى الغرور. وهكذا كان اطمئنان بابل. لقد اعتمدت على الثروة والسلطان. فقادها ذلك إلى الغرور والأوهام. لأنَّ غرور الغنى يخدع الإنسان، والثروة قد تأخذ جناحين وتطير في لحظة. والسلطان قد يزول، والامتيازات قد تضيع.

ونحن نسمع الوحي يخاطب بابل ويقول لها إِنَّ عَرْشَهَا سَيَنْهَارُ فَتَجْلِسُ عَلَى التَّرَابِ وَعَلَى الْأَرْضِ. وَلَا تَعُودُ تَحِيَا فِي رِفَاهِيَةِ بَلْ تَطْحَنُ الدَّقِيقَ عَلَى الرَّحَى كَالجَوَارِي. لَقَدْ اتَّكَلْتَ عَلَى سُلْطَانِهَا وَقُوَّتِهَا وَتَصَوَّرْتَ أَنَّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتْرَمَلَ وَتَفْقَدَ أَوْلَادَهَا، وَإِذَا بِهَا تَفْقَدَ أَبْنَاءَهَا وَتَتْرَمَلَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. لِأَنَّهَا لَمْ تَعْتَرَفْ بِالْوَاقِعِ، وَقَالَتْ فِي قَلْبِهَا لَنْ يِرَانِي أَحَدٌ. لَيْسَ مِنْ يِرَانِي، أَي أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَرِيدُ دُونَ أَنْ يِرَاجِعَهَا أَحَدٌ. اسْتَمَعْتَ إِلَى الْمَنَافِقِينَ الْمُطْبِلِينَ لَهَا وَلَمْ تَسْتَمِعْ إِلَى صَوْتِ اللَّهِ يَحْذَرُهَا.

وهذه هي المأساة في حياة الأمم وفي حياة الأفراد. عندما لا يستمع الإنسان إلى النقد البناء، ولا يسمع سوى أصوات المادحين الذين يكلمونه بالناعمات. فيصل إلى الحالة التي يقول فيها: "لأنك تقول: إني

لو قرأنا هذه القصيدة على أنها نبوة تحققت مرة في القرن الرابع الميلادي، وقد تتحقق مرة أخرى في القرن العشرين. فقد ندخل في جدل لا فائدة منه، ولا يُجدينا نفعاً. لكننا لو قرأناها على أنها رسالة دائمة من الله لكل الشعوب ولكل الأفراد، استطعنا أن نجد فيها درساً، وتعلمنا كيف يتعامل الله مع الإنسان، سواء كجماعة أو عائلة أو فرد. وإني أرجو أن يكون هذا هو اتجاهنا عندما نقرأ الكتاب المقدس، فنجد لأنفسنا دروساً بدلاً من مجرد الانبهار بالتاريخ، فإن الذي لا يتعلم من التاريخ جاهل.

في هذه الآيات نجد صورة من انهيار الأمان والسلام فجأة. هنا نجد دولة قد أعطاه الله قوة وسلطاناً وحكمة وثروة واستطاعت أن تتال انتصارات على جيرانها. لكنها تكبرت وتجبرت ولم ترحم، لذلك تكلم عليها الله بهذه النبوة. وهذا أسلوب يعامل به الله الجميع. دعونا نبحث عن أسباب الأمان والسلام في هذه الآيات، ونحن نجده على الأقل في ثلاثة أمور:

الأول: الطمأنينة الباطلة

الثاني: الحكمة المضللة

الثالث: الأنانية القاتلة

أولاً: الطمأنينة الباطلة

جميل أن يعيش الإنسان مطمئناً في سلام. يقول المرنم: "الرَّبُّ نُورِي وَخَلَاصِي، مَمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حَصَّنَ حَيَاتِي، مَمَّنْ أَرْتَعِبُ؟... إِنَّ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لَا يَخَافُ

وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعَدَ مَا كَرَّرْتُ لِلْآخِرِينَ لَا أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا. (١ كو ٩: ٢٧).
فإذا كان بولس يقول هذا. فماذا يمكن أن نقول نحن؟ السبب الثاني لانتهيار الأمان هو:

ثانياً: الحكمة المضللة

يقول الوحي لبابل: "حِكْمَتُكَ وَمَعْرِفَتُكَ هُمَا أَفْتَتَاكَ (أزاعاك)". وهل يمكن أن تكون الحكمة مضللة تفتن الإنسان؟ نعم، فإن المعرفة العقلية بدون الإيمان والمحبة تقود إلى الخراب. وهذا ما نشاهده بوضوح في أنواع الأسلحة الفتاكة التي توصل العلماء إليها. فهي تقود العالم إلى الخراب والدمار. بينما لو ارتبط العالم بالإيمان والمحبة فإنه يساعد على خير الإنسانية وتقدمها. فالعلم وحده والحكمة البشرية وحدها قد تصيب الإنسان بالكبرياء والقسوة فتكون شراً عليه. لذلك قال الرسول بولس بالوحي: "الْعِلْمُ يَنْفُخُ، وَلَكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي" (١ كو ٨: ١).

إن الحكمة السماوية تقود إلى التصرف الحسن والوداعة لا الكبرياء. والعالم الحقيقي متواضع. أما أدعياء العلم فهم متكبرون. لقد اتكلت بابل على علمها وعلى أوهامها من السحر والتعاويد ولم ينفعها هذا العلم، ولم تنفعها التعاويد وأعمال السحر. ومن يطلبون العلم والحكمة، يجب أن يطلبوا معها الإيمان لكي ينالوا من الله حكمة السماء لا حكمة الأرض.

وقد شرح يعقوب الرسول هذا الأمر بوضوح في الأصحاح الثالث من رسالته

أَنَا غَنِيٌّ وَقَدْ اسْتَغْنَيْتُ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَيْسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ. (رؤ ٣: ١٧). وهو لا يعلم أنه الشقي والبائس والفقير والأعمى والعريان. كالمريض الذي لا يعترف بالمرض، بينما المرض يسري في أوصاله وفجأة يسقط صريعاً بلا قوة ولا حركة.

إن صوت الحق مكروه عند بعض الناس. فقديمًا قال إرميا النبي الحق وأعلن دينونة الله على شعبه، فما كان من الكهنة وقادة الشعب إلا أن حبسوه بل ضربوه. وقال الله إن أنبياء الكذب: "يَشْفُونَ كَسْرَ بِنْتِ شَعْبِي عَلَى عَثَمِ قَائِلِينَ: سَلَامٌ، سَلَامٌ. وَلَا سَلَامٌ." (إرميا ٨: ١١).

وفي عهد حزقيال النبي غضب الله على أنبياء الكذب الذين يروه لأورشليم رؤى سلام ولا سلام: "أَيُّ أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ لِأُورُشَلِيمَ وَيَرَوْنَ لَهَا رُؤَى سَلَامٍ، وَلَا سَلَامٍ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (حز ١٣: ١٦). ويقول بولس الرسول عن هؤلاء الذين يعيشون في اطمئنان كاذب: "لأنه حينما يقولون: سَلَامٌ وَأَمَانٌ، حينئذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلَاكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحَبْلَى، فَلَا يَنْجُونَ." (١ تس ٥: ٣).

فلنحذر من الطمأنينة الكاذبة.

ولنتمم خلاصنا بخوف ورعدة.

ولنحرص على سماع صوت الله لنا ولا نتصور أننا فوق مستوى النقد، بل ندرب أنفسنا دائماً ليكون لنا ضمير بلا عثرة.. فقد قال بولس الرسول "بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي

وهي تدفع آخرين كثيرين أن لا يروا إلا نفوسهم، ويؤلهون نفوسهم. ففي نظر أنفسهم هم لا يخطئون. ولا يسيئون الفهم. رأيهم في نظرهم دائماً صواب وغيرهم خطأ. يطلبون أن يعتذر لهم الناس، وهم لا يعتذرون لأحد، ويطلبون أن يفكر فيهم الناس ويخطبون ودهم لكنهم لا يفكرون في أحد.. هذه هي الأنانية القاتلة.

ثم لاحظوا أيضاً أن هذا القول لا يُقال علناً. أي أن الإنسان لا يصرح به. ولكنه يقول ذلك في قلبه «قُلْتُ فِي قَلْبِكَ: أَنَا وَلَيْسَ غَيْرِي». أما في الظاهر فقد يظهر الإنسان بمظهر المتواضع والضعيف والخجول لكن المشكلة هي ما يعتقد في نفسه. هذه هي مشكلة كثيرين من الناس. شعارهم المثل المصري الشعبي الدارج «يا روح ما بعدك روح» أو «أنا وبعدي الطوفان»، أو المثل العربي «إذا مت ظمآنًا فلا نزل القطر» أي إذا كنت أنا سأموت من العطش، فلا يهمني إذا كان المطر ينزل أم لا.

- هذه هي الأنانية القاتلة.
- وهي قاتلة لأنها مرتبطة بالكبرياء.
- والكبرياء جعلت الملاك شيطاناً.
- وهي قاتلة لأنها تفقد الإنسان إنسانيته.

فيكون الإنسان هو مركز ذاته. لا يهتم إلا بمصلحته. وهذا هو انعدام الحب. لأن جوهر الحب هو العطاء. وكم من أناس عاشوا لأنفسهم في أنانية وحب ذات. ومر الزمان، وانفض عنهم الناس الذين كانوا

قائلاً: "مَنْ هُوَ حَكِيمٌ وَعَالِمٌ بَيْنَكُمْ، فَلْيُرِ أَعْمَالَهُ بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ فِي وَدَاعَةِ الْحِكْمَةِ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ لَكُمْ غَيْرَةٌ مَرَّةً وَتَحَزَّبَ فِي قُلُوبِكُمْ، فَلَا تَفْتَخِرُوا وَتَكْذِبُوا عَلَى الْحَقِّ. لَيْسَتْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ نَازِلَةً مِنْ فَوْقُ، بَلْ هِيَ أَرْضِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ.. "وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقُ فَهِيَ أَوْلَا طَاهِرَةً، ثُمَّ مُسَالِمَةً، مُتَرَفِّقَةً، مُدْعِنَةً، مَمْلُوءَةً رَحْمَةً وَأَثْمَارًا صَالِحَةً، عَدِيمَةَ الرَّيْبِ وَالرِّيَاءِ." (يعقوب ٣: ١٣-١٥، ١٧).

- فاحذروا من الحكمة الأرضية لأنها مضللة.

- احذروا من الحكمة والمعرفة التي تزيدكم قسوة وكبرياء ولا تترفق بالجهال البسطاء لأنها معطلة.

- احذروا من الحكمة المبنية على الخرافات والتعاويد لأنها باطلة.

- واطلبوا حكمة الله الوديعه المتواضعة ورأس الحكمة مخافة الرب.

السبب الثالث لانهييار الأمان هو:

ثالثاً: الأنانية القاتلة

اسمعوا إلى صوت بابل وقد اغتارت بما لها من قوة وسلطان. اسمعوها تنسى الغير. بل تنسى الله وتقول في قلبها: "أنا وَلَيْسَ غَيْرِي". لاحظوا أمرين هنا: الأمر الأول هو أن هذا القول لا يستطيع أن يقوله غير الله سبحانه وتعالى. وهو ليس غيره إله.. لكن الكبرياء مع الجهل دفعت دولة بابل أن تقول هذا القول.

إنَّ من يقول «أنا وليس غيري» سواء أكان فرداً أو عائلة أو دولة سيكتشف يوماً ما انهيار أمانه ومستقبله.

وفي ختام هذه الرسالة أرجو أن أقول في المحبة لمن هم منشغلون أكثر من اللازم بالنبوات وتحقيقتها:

- انشغلوا بالرسالة الروحية للأنبياء فإنها مؤكدة وحاسمة، ومطالب الرب واحدة من الجميع، ومسئولية الكل أمام الرب واحدة، وما ينطبق على بابل ينطبق على آشور ومصر والعراق وأمريكا وكل الدول.
- «الْبَرُّ يَرْفَعُ شَأْنَ الْأُمَّةِ، وَعَارُ الشُّعُوبِ الْخَطِيئَةُ.» (أم ١٤: ٣٤).
- والبر يرفع شأن الفرد وعار الفرد الخطية.
- واعلموا أنه عندما ينهار الأمان. يكون ما أتعس الإنسان.

يحيطون بهم بسبب مراكزهم أو سلطانهم. ووجدوا أنفسهم في وحدة وعزلة قاتلة. بلا صديق. فمن لا يعطي. لا يجب أن يتوقع أن يأخذ. هذه الأنانية موجودة في الأفراد وموجودة أيضاً في المجتمعات.

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، فالمجتمعات التي لم تفكر في مستقبل الأجيال القادمة بالتخطيط السليم. ربما تمتعت قليلاً في الوقت الحاضر، لكنها قتلت المستقبل.

تجريف الأرض الزراعية وبنائها مساكن للحصول على مكسب كبير وسريع. جعل بلادنا التي كانت تُعطي من خيراتها لغيرها وتُمنون الجيران بالقمح والحبوب جعلها تشتري شهرياً بالمجهود الشاق أو بالديون أو بالمعونات الحبوب اللازمة لإطعام شعبها. عدم تنظيم الأسرة اعتماداً على أقوال مرسله لها مظهر الإيمان. جعل الانفجار السكاني يبتلع كل مجهود للتنمية.



"قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ" (مرقس ١: ١٥).

"فَقَالَ لَهُمْ: مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ" (لوقا ١١: ٢).

نسمع كل يوم أخبار الحرب والدمار، ونرى صوراً حزينة مؤسفة من مآسيها، ويتساءل البعض: لماذا سمح الله بهذا الخراب؟ لقد خلق الله العالم جميلاً، فلماذا يرضى بخرابه على هذه الصورة؟ فهل هو حقاً صاحب الأمر والنهي في هذا العالم، أم أن حركة التاريخ بعيدة عن سلطانه. وما هي نتيجة هذه الأحداث المحيرة التي تقع حولنا؟ أرجو أن أتأمل معكم اليوم في العلاقة بين ملكوت الله وحركة التاريخ. ولنفكر أولاً في كلمة "التاريخ".

يدرس الطلاب في المدارس مادة التاريخ، وفي دراستهم يتعلمون تعاقب الحكومات على مختلف الدول، وحركات الشعوب والأمم، والصراعات والحروب بين مختلف الدول وما شابه ذلك من الموضوعات. والتاريخ مرتبط بالجغرافيا. بل إن الجغرافيا تلعب دوراً كبيراً في أحداث التاريخ، فالدول تتصارع ضد بعضها البعض بسبب الجغرافيا التي تحدد أهمية مواقع البلاد، وتحدد ثروات كل منطقة سواء في المحاصيل أو المعادن أو البترول وغيرها. أفكارنا والإجابة على بعض تساؤلات الناس: أولاً: ملكوت الله في التاريخ الإنساني.

اسمعوا قول الله لبابل القديمة: وَأَنْتِ وَثِقْتِ بِخَبْتِكَ وَشَرِكِ. قَلْتِ لَيْسَ مِنْ يِرَانِي.

حكمتكِ ومعرفتكِ هما أزاغكِ. قَلْتِ فِي قَلْبِكِ أَنَا وَلَيْسَ غَيْرِي. فَيَأْتِي عَلَيْكِ شَرٌّ لَا تَعْرِفِينَ فَجْرَهُ.

وتأتي عليكِ مصيبة لا تقدرين أن تصديها.

وتأتي عليكِ بغتة تهلكة لا تعرفين بها.

عندما نسمع هذا نقول يارب احمنا من هذا الخطر الفظيع. يارب لا تسمح لنا أن نختبر-سواء في بلادنا أو في أشخاصنا-هذه الصورة المفزعة لانهايار الأمان. لكن التمنيات وحدها لا تكفي لكي تحمينا من هذا الخطر. يجب أن نعرف أسبابه ونبتعد عنها.

○ عن الطمأنينة الباطلة المعتمدة على أوهام ومظاهر وإمكانات من دون الله.

○ عن الحكمة المضللة التي مصدرها الأرض بشرها وخرافاتهما.

○ عن الأنانية القاتلة.

○ بهذا يحمينا الله من انهيار الأمان.

(٣)

ملكوت الله وحركة التاريخ

ألقيت في صباح يوم الأحد الموافق ٢٧ يناير ١٩٩١م

"أَنَّ الْعَلِيِّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ وَيُعْطِيهَا مَنْ يَشَاءُ." (دانيال ٤: ٢٥).

في البحر وغيرها توحى لنا بأن ملكوت الله سيتحقق في المستقبل، ولذلك نحن نطلب مجيئه. فكيف نوفق بين الأمرين؟ الجواب على ذلك هو:

إنَّ الله هو سيد التاريخ، لكن عدو الخير يعمل في قلوب البشر لكي يقاوموا سلطان الله. وكأنَّ الله يوجه رسالة الدينونة على الشر، ورسالة الرحمة للتائبين عن طريق الأنبياء في العهد القديم. لكن في ملء الزمان عمل الله شيئاً عجيباً. أراد أن يصلح العالم الشرير لنفسه، فدخل الله في التاريخ الإنساني واخرقه في شخص يسوع المسيح كلمة الله المتجسد.

أراد الله أن يجسّد ملكوته وسلطانه وحبه للعالم وانتصاره على الشر عن طريق الإنسان يسوع المسيح. أراد الله أن يؤسّس ملكوته بصورة ظاهرة من خلال هذا الشخص الطاهر القدوس الذي وقف ضد شر العالم وأنانيته، فأعلن عن طريق كلماته وتعاليمه وحياته مبادئ ملكوت الله، كما أعلن عن طريق آلامه وموته وقيامته هزيمة الشر، وسلطان الله على البشر. وبهذا المعنى نستطيع أن نقول إن ملكوت الله قد أقبل بمجيء المسيح إلى العالم.

لكن هذا الإله الذي اخترق التاريخ الإنساني بتجسد المسيح، لا يزال يعمل في العالم، ليجعل جميع الأشياء تعمل على تحقيق قصده الكامل. فلم يكن التجسد هو النهاية، بل كان البداية. والله يعمل كما يقول بولس الرسول في رسالة أفسس "لتدبير

ثانياً: دور أبناء الملكوت في التاريخ الإنساني.

أولاً: ملكوت الله في التاريخ الإنساني

تحدث السيد المسيح كثيراً عن ملكوت الله أو ملكوت السموات. وفي بعض الأحاديث يبدو لنا أن ملكوت الله قد أقبل إلى العالم بمجيء السيد المسيح. وفي بعض الأحاديث الأخرى يبدو لنا أن ملكوت الله أمر نتطلع إلى مجيئه في المستقبل. ففي بداية خدمة السيد المسيح، يصف مرقس البشير هذه الخدمة بالقول: "وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبَشَارَةِ مَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ". (مرقس ١: ١٤-١٥).

وفي حديث السيد المسيح إلى اليهود الذين اتهموه بأنه يخرج الشياطين بقوة بعزبول رئيس الشياطين قال لهم يسوع إنه لا يمكن أن يكون الأمر هكذا لأن الشيطان لا يحارب نفسه. وكل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب ثم قال لهم: "وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ بِأَصْبَحُ اللَّهُ أَخْرَجُ الشَّيَاطِينَ، فَكَيْفَ أَقْبَلُ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ". (لو ١١: ٢٠). إذاً فملكوت الله قد جاء بمجيء المسيح. لكن بعض أقوال المسيح الأخرى تظهر لنا كأن هذا الملكوت شيء ننتظره في المستقبل.

فعندما علم المسيح تلاميذه الصلاة الربانية طلب منهم أن يطلبوا قائلين "ليأت ملكوتك" وبعض أمثال المسيح، ومنها مثل الحنطة والزوان، ومثل الشبكة المطروحة

مِلءِ الْأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ"
(أف ١ : ١٠).

إذا فملكوت الله قد أتى بالفعل، لكنه سيأتي أيضاً، أي سيتحقق كماله عند انقضاء العالم، فهو عملية مستمرة متحركة في التاريخ.. والتاريخ كله-تاريخ الملكوت بشكله الجديد-يتحرك بين هاتين الفترتين: مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني.

وإن كنا أحياناً لا نستطيع أن نفهم تماماً ما يعمل الله في حركة التاريخ، ونتساءل: ما هي حكمة الله في هذه الحوادث أو المآسي التي يقاسيها الأبرياء، كما يحدث اليوم، فإن هذا التساؤل أمر طبيعي بالنسبة للبشر لأن الله لا يكشف كل خطته للناس مسبقاً، أو كما قال بولس الرسول: "لأن من عرف فكر الرب؟ أو من صار له مشيراً؟ أن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين" (رو ١١ : ٣٤، ٣٦).

لكننا وإن كنا لا نعرف خطة الله إنما نعلم أنه يعمل، وبالنسبة لبعض الحركات والأحداث التي تجري في العالم، نعلم أنها إعلانات عن دينونة الله ورحمته. الله يعمل في هذا العالم، لكن هذا العالم يتكون من بشر خطاة، يثورون ضد الله وضد مشيئته ويسيئون لأنفسهم مؤسّسات تتحدى الله.

وعلى مدى التاريخ نرى كيف أراد الإنسان أن يتحدى الله ويستقل عنه، ويجعل لذاته اسماً أو يجعل نفسه نداً لله. وكثير من المؤسّسات السياسيّة تشهد بكبرياء الإنسان ونحن نرى نتيجة هذه الكبرياء في

أنواع الصراع بين القوى في العالم.

والله يعمل في العالم، بمزيج من الدينونة والرحمة. فهو لا يسمح لأي مؤسّسة بشريّة أن تتحداه وتضع نفسها مكان الله وتتسلط على الناس. لذلك فهو يزلزلها ليقوم من بين حطامها فجر نور جديد وحياء جديدة للتائبين الطائعين لله.

نقرأ قصة قديمة في سفر التكوين عن الناس الذين أرادوا أن يبنوا لأنفسهم مدينة وبرجاً رأسه في السماء لكي يصنعوا لأنفسهم اسماً في الأرض-هذه هي كبرياء الإنسان-لذلك بلبل الله ألسنتهم وبددهم على وجه الأرض، ودعى اسم تلك المدينة التي لم يكملوا بناءها بابل (تك ١١).

هذه القصة تتكرر في التاريخ بصورة أو بأخرى، فإن الله يزلزل كل مؤسّسة وكل دولة تريد أن تؤله نفسها. فهكذا فعل مع بابل قديماً، فعل مع الإمبراطوريّة الرومانيّة، ومع ألمانيا الهتلريّة، ومع الدولة الشيوعيّة. وهكذا يفعل مع كل دولة تتحدى الله، فكل هذه المحاولات تقع تحت دينونة الله.. لكن-لأن الله صالح العالم بنفسه في المسيح-لذلك فإنه في وسط الدينونة يذكر الرحمة، ويقدم الخلاص، وذلك عن طريق هدم القديم وبناء الجديد.

هذه هي ثوريّة الإنجيل أن إله الدينونة هو نفسه إله الرحمة، وأن كل دينونة وخراب، تشتمل على فرصة للتوبة والتغيير فعندما يهدم الله شيئاً فإنه يقيم مكانه إمكانات جديدة للحياة. هذه هي الرسالة التي يوجهها

تعلن للناس رسالتها للعالم، وعليها أن تشعر دائماً بهذا الالتزام، إنها نور للعالم، وملح للأرض. هذا الالتزام يفرض على أبناء الملكوت عدة مواقف أذكر منها ثلاثة:

الالتزام الأول: [الاشتراك في الحركات السياسية المعاصرة]

إنه من منطلق إيمان المسيحيّ بسيادة الله على العالم، يجب عليه أن يشترك بجدية في الحركات السياسية المعاصرة. لكن اشتراكه يجب أن يكون مختلفاً عن اشتراك الشخص العادي الذي يتحيز ويتعصب وينافق ويتربح من مواقفه السياسيّة. ذلك لأن المسيحيّة تساعد الإنسان أن يتخطى محدودية الرؤية التي تفرضها الحركات السياسيّة على الإنسان؛ فأناس أحياناً يؤلّهون النظم التي تحفظ حياتهم، ويدافعون عنها بتعصب أعمى خاصة إذا شعروا أنها مهددة. لكن المسيحيّ من واقع إدراكه أنه لا يوجد نظام بشري كامل ومطلق، يدرك أن كل النظم يجب أن تخضع للإصلاح الدائم، لذلك لا يتعصب المسيحيّ أو (يتشنج) وهو يحاول أن يبرهن على صحة قضيته السياسيّة، أو عدالتها، لكنه يهتم بالتأكد من أن موقفه لا يبتعد كثيراً عن مبادئ الملكوت التي غرسها المسيح فيه، ويكون على استعداد للتراجع إذا اكتشف ابتعاده عنها.

وعلى المسيحيّ وهو يشترك في خدمة القضايا العامة ألا يتسرع ويتصرف كأنه هو الذي يعبر عن فكر الله، أو كأن الله دائماً في جانبه، ويعتبر غيره من أعداء الله.. فقد يكون مخطئاً أو متحيزاً. فإن الله ليس

الله إلينا. إننا في كل أزمة نجتاز فيها، لا بد أن يكون في مضمونها معنى تبحث عنه لنفهمه. فلا ننظر فقط إلى الخراب والدمار ودينونة الأنانيّة والظلم فنشعر بالإحباط، بل يجب أن ننظر أيضاً إلى الجانب الآخر من أعمال الله إنه في الغضب يذكر الرحمة، ويعطي فرصاً جديدة للتوبة والحرية، التي عبر عنها السيد المسيح بحياته وتعليمه وموته وقيامته.

ولقد كان صليب المسيح نفسه صورة حية لما يمكن أن يفعله شر الإنسان. كان الصليب بالنسبة للتلاميذ أزمة حقيقية ومأساة مفعجة هزت كيانهم. لكن الله أخرج من آلام الصليب وظلامه الدامس فجر القيامة ونور الخلاص.

وأزمة الصليب بما فيها من معاناة تتكرر في كل أزمة في التاريخ، فنحن نجتاز في النار، لكن النور يخرج من النار، ونحن قد نعيش فترة في المجهول، لكن اليقين والفرج يأتي إلينا من وسط الشكوك والضيق. وهذه هي قصة ملكوت الله وسط حركة التاريخ، ومن الضروري علينا أن نستوعبها جيداً.

ثانياً: دور أبناء الملكوت في حركة التاريخ

إذا كان الله يعمل في العالم لتحقيق أهداف ملكوته وسلطانه، فما هو دور أبناء الملكوت؟ الجواب هو أن الله يعمل عن طريق أبنائه المؤمنين به ومن خلالهم. مع أن الكنيسة لها ضعفاتها كمؤسسة تتكون من بشر لهم نقائص وعيوب.. لكن الله يريد أن يحقق قصده من خلال الكنيسة إذ إنها

الاستسلام السلبي للأمر الواقع، أو الخضوع للأقدار. لأنه يتميز بالإيجابية والتفكير الخلاق والتجاوب المستمر مع ما يشعر به المسيحي أنه إرادة الله.

الالتزام الثالث: [حياة الأمل والرجاء]

أو الموقف الثالث هو أن المسيحي وسط كل عوامل الاضطراب، عليه أن يحيا على أمل ورجاء. حتى لو كان المستقبل أمامه مجهولاً أو مظلماً. هذا هو المعنى الحقيقي للرجاء المسيحي والثقة في الله. إن بعض الناس يتصورون أن الرجاء معناه أن الله يعفي المؤمنين من اجتياز الآلام أو معاناة التغيير. وبعض الناس يتصورون أن الرجاء المسيحي هو في الحياة الأخرى فقط فيما بعد انتهاء هذه الحياة. ولذلك يعيش الإنسان متضرراً من الحياة متوقفاً وطالباً انتهاء حياته ليتمتع بالأمجاد.

صحيح أن لنا رجاء في المسيح، رجاء في الحياة الأخرى. لكن لنا فيه أيضاً رجاء في هذه الحياة، عندما قال بولس الرسول: "إِنْ كَانَ لَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطُّ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّا أَشَقَى جَمِيعِ النَّاسِ." (١ كو ١٥: ١٩). لم يقصد أن ينفي رجاءنا في المسيح في حياتنا الأرضية بل ثبته وجعل الرجاء يتعدى هذه الحياة إلى الحياة بعد الموت. والله قد أنار لنا بواسطة الإنجيل الحياة والخلود.

نحن لا نهرب من الواقع بالأحلام أو التمنيات. لكن رجاءنا مؤسس على أننا نعرف التاريخ، وندرك أن الله في وسط الديونة

بالضرورة في جانب الاتجاه الذي يختاره المسيحي، فقد يخطئ المسيحي كإنسان محدود في الاختيار، لكن الله دائماً في جانب العدالة والحق، لذلك يجب أن يكون المسيحي ضميراً ناقداً في وسط كل نظام يحيا فيه، ليكون أقرب ما يكون إلى العدالة والحق.

الالتزام الثاني: [إدراك القصد من التغيير]

هو أن يحاول المسيحي إدراك القصد من التغيير، فلا يتعصب دائماً للوضع الراهن، إنه من طبيعة الإنسان أن يخشى التغيير لأنه يهدد مواقع أمنه واستقراره، لكن المسيحي -وهو يدرك أن الله يتحرك في التاريخ ليقوده إلى تحقيق قصده- يجب أن يدرك أن التغيير سيأتي حتماً، وسوف تتهاوى بعض المؤسسات وتحل محلها نظم وأفكار جديدة. فلا يجب أن ينزعج المسيحي من التغيير كأن نهاية العالم قد جاءت، بل يجب أن يفهم ماذا يريد الله من هذا التغيير للعصر الذي يعيش فيه.

وعندما ينظر المسيحي إلى التغيير في ضوء نشاط الله الدائم في التاريخ فإنه بذلك ينتصر على الخوف وبدلاً من أن يشل الخوف تفكيره، ويتوقف عن الحركة الفكرية. فإنه يعيش في حالة من التفكير الخلاق ويتعلم كيف يتقدم وسط القلاقل بخطوات ثابتة نحو ميادين التغيير التي يعمل الله فيها.

هذا الاتجاه يختلف تماماً عن مجرد

الفصل الثاني

كتابات الدكتور القسّ فايز فارس

(١٩٢٨-٢٠١٢) مسرد أدبيّ

إعداد

القسّ عيد صلاح

نتناول في هذا الفصل الكتابات التي كتبها وترجمها الدكتور القسّ فايز فارس وهي مرتبة زمنياً، والسرد الأدبيّ هنا مُقتصر فقط على الكتب، ومن المعلوم أنّ القسّ فايز فارس كتب مقالات كثيرة في مجلات: الهدى، وأجنحة النسور، الصحيفة، وشمس البر وغيرها من الصحف العامة كالأهرام والخاصة كالأهالي وهي-أي المقالات والدراسات بالعربية والإنجليزية-تحتاج لتوثيق وجمع لهذا التراث الفكريّ الثريّ. والهدف من هذا السرد هو لمن يريد أن يعرف ويقرأ أكثر للدكتور فايز فارس.

والذي يقرأ جيداً ما كتبه يدرك اهتمامه الشديد بالكتابة والتعليم ويتبين مشروعه الفكريّ الذي يدور حول التنوير واللاهوت الواقعيّ المبنيّ على فهم القرينة وفهم الواقع وسبل التطبيق. وهو مشروع فكريّ وتراث تنويريّ يستحق الإشادة به، وقرائه، وفهمه، والاستفادة منه، والبناء عليه، قمت بترتيب الكتب حسب صدورها زمنياً، وهي:

١. الحَيَاةُ الجَدِيدَةُ فِي المَسِيحِ تَأليف بولس كلاسبر، مُترجم، صدر عن دار الثقافة، ١٩٦٣م، ويقع في ١٢٨ صفحة من القطع الصغير.

التي يدين بها شرور العالم، يذكر الرحمة. وبينما يشعر الكثيرون باليأس نحيا نحن على رجاء فلا يتسرب اليأس إلى حياتنا، لأننا نعلم أنّ الله سيد التاريخ فنستطيع أن نقول بحق: "إِنَّ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لَا يَخَافُ قَلْبِي. إِنَّ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ." (مز٢٧: ٣). "لَوْلَا أَنَّنِي آمَنْتُ بَأَنَّ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ." (مز٢٧: ١٣).

هذا الرجاء لا يجعلنا كسالى أو خاملين أو سلبيين أو حالمين، لكنه يجعلنا أكثر اجتهاداً، لنفهم أمور الدنيا، ونعمل في مختلف المجالات بهمة وتكريس وجدية عالمين أننا لسنا تحفاً تزين الملكوت إلى أن يجيء الملك لكننا أدوات في يد الله نستخدمنا لتحقيق قصده في التاريخ، بالمشاركة الجادة المسؤولة.

إنّ ملكوت الله بدأ بصورة ظاهرة بدخول المسيح إلى عالمنا كإنسان، والملكوت يتحرك مع التاريخ ومع الأحداث ليصل إلى نهايته وكماله بمجيء المسيح ثانية. وهذا يحتم علينا ألا نبقى خاملين ونقول إنّنا في انتظار مجيء المسيح، ولا نبقى مهملين الحاضر في انتظار المستقبل. بل يجب أن نعلم أنّ ملكوت الله داخلنا فيجب أن نتحرك في الحاضر، لنحقق المستقبل. فإن لم نقم بمسؤوليتنا في الحاضر، فلن نتمتع بالمستقبل بل لن يكون لنا مستقبل.

- ص ٩٥ - ١٠٣.
٩. إيماني الإنجيلي دروس لراغبى الانضمام للكنيسة، بالاشتراك مع القسّ منيس عبد النور والقسّ إميل زكي، دار الثقافة، ١٩٧٧م. عدد الصفحات ١٤٧ من القطع المتوسط.
١٠. حقائق أساسية في الإيمان المسيحي. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٩م. عدد الصفحات ٣٠٧ من القطع الصغير.
١١. الصوم، صدر عن سلسلة الأغصان، ١٩٧٩م.
١٢. القديس مرقس الإنجيلي والكنيسة التي أسسها في مصر. صدر عن سلسلة الأغصان، ١٩٧٩م.
١٣. في رفقة المسيح. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٠. عدد الصفحات ٣٤٧ من القطع المتوسط، وأعيد طبعه تحت عنوان: مع المسيح. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٧م.
١٤. مدخل أساسي لفلسفة أصيلة للأخلاق المسيحية للمسيحيين المصريين (رسالة الدكتورة باللغة الإنجليزية) ١٩٨٠م.
١٥. الزواج والطلاق في المسيحية: دراسة لاهوتية أخلاقية، سلسلة البحوث
٢. المسيحي ومُشكلات الحياة المعاصرة. القاهرة: دار الثقافة المسيحية، ١٩٦٤م. عدد الصفحات ٢٣٧ من القطع الصغير.
٣. زوجة بيلاطس: تمثيلية بمناسبة عيد القيامة المجيد. القاهرة: دار الثقافة المسيحية، ١٩٦٤م وأعيد طبعها في عام ١٩٨٦م. عدد الصفحات ٥٢ من القطع الصغير.
٤. النظام المالي ومرتببات القسوس في الكنيسة الإنجيلية بمصر، ١٩٦٥م.
٥. المسيحية والصحة النفسية. القاهرة: دار الثقافة المسيحية، ١٩٦٧م وأعيد طبعه في ١٩٨٠م. عدد الصفحات ٢١٩ من القطع المتوسط.
٦. مجيء المسيح ثانية، دار الثقافة بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأدنى ١٩٦٩م، يقع في ٦٤ صفحة من القطع المتوسط.
٧. نشيد المحبة، صدر عن دار الثقافة ١٩٧١م في ٨٨ صفحة من القطع المتوسط، وصدر أيضاً في "نشيد الحبة وقطوف منها" عن الكنيسة الإنجيلية الثانية بالمنيا، ١٩٩٨م.
٨. رسامة المرأة نظرة لاهوتية شاملة، دراسة في كتاب: هل تجوز رسامة المرأة شيخاً، الصادر عن دار الثقافة ١٩٧٤م،

- ١٩٢ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ. الصَّفَحَاتِ
٢٢. علم الأخلاق المَسْحِيَّة، الجزء الأول. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٧م. عدد الصفحات ١٧٤ مِنَ الْقَطْعِ الْمُتَوَسِّطِ.
٢٣. نَشِيدُ الْمَحَبَّةِ وَقُطُوفُ مِنْهَا. المِنِيَا: الكَنِيسَةُ الْإِنْجِيلِيَّةُ الْثَانِيَّةُ بِالْمِنِيَا، ١٩٩٨م. عدد الصفحات ٢١٠ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
٢٤. دَعْوَةٌ إِلَى التَّغْيِيرِ. المِنِيَا: الكَنِيسَةُ الْإِنْجِيلِيَّةُ الْثَانِيَّةُ بِالْمِنِيَا، ١٩٩٠م. عدد الصفحات ١٥٦ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ. وهو ثمرة خطاب حفل كلية اللاهوت الإنجيليَّة بالقاهرة تحت عنوان: دعوة إلى إعادة البناء والمكاشفة في الكنيسة الإنجيليَّة، الجمعة ١٦ مايو ١٩٩٠م بالكنيسة الإنجيليَّة بقصر الدوبارة.
٢٥. حَرْبُ الْخَلِيْجِ وَنَهَايَةُ الْعَالَمِ. الْقَاهِرَةُ: دَارُ الثَّقَافَةِ، ١٩٩١م. عدد الصفحات ٥٥ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ
٢٦. علم الأخلاق المَسْحِيَّة، الجزء الثاني. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٢م. عدد الصفحات ٢٩٢ مِنَ الْقَطْعِ الْمُتَوَسِّطِ.
٢٧. أَعْطَنِي حُرِّيَّتِي: دَرَاْسَةُ مُعَاَصِرَةٍ عَنِ مَوْقِفِ الْمَسِيْحِيِّ مِنَ الْوَصَايَا الْعَشْرِ. الْقَاهِرَةُ: دَارُ الثَّقَافَةِ، ١٩٩٢م. عدد الصفحات ١٦٣ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
- الدِّيْنِيَّة. الْقَاهِرَةُ: دَارُ الثَّقَافَةِ، ١٩٨٢. عدد الصفحات ٦٣ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ. وقد أعيد طبعه ثانية تحت عنوان: زواج وطلاق المسيحيين في مصر بين النظرة المتمزمتة وروح الغفران المسيحي، دار الثقافة ٢٠٠٨م.
١٦. أَضْوَاءٌ عَلَى الْإِصْلَاحِ الْإِنْجِيلِيِّ. الْقَاهِرَةُ: دَارُ الثَّقَافَةِ، ١٩٨٤م. عدد الصفحات ١٠٠ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
١٧. يَنَابِيعُ السَّعَادَةِ. صدر عن دار الثقافة ١٩٨٨م عدد الصفحات ٨٠ من القطع الصغير.
١٨. مَفْهُومٌ جَدِيدٌ لِلْخِدْمَةِ الدِّيْنِيَّةِ، كُتِبَ. ١٩٨٥م
١٩. الْإِقْتِرَابُ إِلَى اللَّهِ. الْقَاهِرَةُ: دَارُ الثَّقَافَةِ، ١٩٨٥م. عدد الصفحات ١١٧ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ. وقد صدر في طبعة رابعة ١٩٩٨م.
٢٠. رُؤْيَا كِتَابِيَّةٌ لِمَعْمُودِيَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ: رُؤْيَا مُعَاَصِرَةٍ لِمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ. الْقَاهِرَةُ: سَنُودُسُ النَّيْلِ الْإِنْجِيلِيِّ، مَجْلِسُ التَّهْذِيبِ الْمَسِيْحِيِّ، ١٩٨٥م. عدد الصفحات ٢٠ مِنَ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ. كتبه بالاشتراك مع القسِّ رضا عدلي.
٢١. إِلَهِي. مَا أَعْظَمَكَ! دَرَاْسَةُ لَاهُوتِيَّةٌ عَنِ شَخْصِيَّةِ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. الْقَاهِرَةُ: دَارُ الثَّقَافَةِ، ١٩٨٦م. عدد

٢٨. أَحَادِيث الرَّحِيل: قُطُوفٌ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا. القَاهِرَة: دَارُ الثَّقَافَة، ١٩٩٣م. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ٤٣٣ مِنْ الْقَطْعِ الْمُتَوَسُّطِ.
٢٩. تَفْسِيرٌ وَلِيمِ بَارَكْلِي لِإِنْجِيلِ مَتَّى (ترجمة)، صدر عن دار الثقافة، ط٢ ١٩٩٣م.
٣٠. نَحْوُ فَجْرٍ جَدِيدٍ: لِرِسَالَةِ الْكَنِيسَةِ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمِ. القَاهِرَة: د. ن، د. ت. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ١٩٢ مِنْ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ. ترجمه بالاشتراك مع الدكتور القس منيس عبد النور.
٣١. شَعْبُ الرَّبِّ وَأَخْلَاقِيَّاتُ السَّلُوكِ: الْمَحَبَّةُ كَقِيَمَةٌ فِي الْمَلَكُوتِ، سَلْسَلَةُ الدَّرَاسَاتِ الْكِتَابِيَّةِ. القَاهِرَة: دَارُ الثَّقَافَة، ١٩٩٩م. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ٦٧ مِنْ الْقَطْعِ الْمُتَوَسُّطِ.
٣٢. اللَّهُ الْمُحِبُّ وَالْإِنْسَانُ الْمُتَأَلِّمُ. القَاهِرَة: دَارُ الثَّقَافَة، ١٩٩٩م، عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ٦١ مِنْ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
٣٣. حَوْلَ أَزْمَةِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُعَاصِرِ. القَاهِرَة: دَارُ الثَّقَافَة، ٢٠٠٢م. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ١٠٧ مِنْ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
٣٤. الْعِبَادَةُ: رُؤْيَا شَامِلَةٌ لِعِلَاقَةِ الْكَنِيسَةِ الْحَمِيمَةِ مَعَ اللَّهِ. القَاهِرَة: دَارُ الثَّقَافَة، ٢٠٠٣م. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ١٤٣ مِنْ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
٣٥. الرَّاعِي وَالْكَنيسة: مَنْ هُوَ الرَّاعِي فِي الْكَنِيسَةِ الْإِنْجِيلِيَّةِ. القَاهِرَة: دَارُ الثَّقَافَة، ٢٠٠٤م. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ٩٠ مِنْ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
٣٦. الْمَاضِي يَنْهَارُ. فَأَيْنَ الْأَمَلُ الْجَدِيدُ؟ يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ رُدُّ اللَّهِ الْإِيجَابِي فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ. القَاهِرَة: دَارُ الثَّقَافَة، ٢٠٠٤م. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ٤٣ مِنْ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
٣٧. صَحْوَةُ النَّفْسِ فِي اخْتِبَارِ اللَّهِ: رِسَائِلُ تَنْوِيرِيَّةٍ. القَاهِرَة: دَارُ الثَّقَافَة، ٢٠٠٨م. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ١٢٥ مِنْ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
٣٨. قَرَارَاتُ وَتَوْصِيَّاتُ مُؤْتَمَرِ الْوَكَالَةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأَوَّلِ. القَاهِرَة: سَنُودَسُ النَّيْلِ لِلْأَقْبَاطِ الْإِنْجِيلِيِّينَ، د. ن، د. ت. عَدَدُ الصَّفَحَاتِ ٢٢ مِنْ الْقَطْعِ الصَّغِيرِ.
٣٩. الدَّلِيلُ الرُّوحِيُّ لِلْأُسْرَةِ الْمَسِيحِيَّةِ -مُتَرْجَمٌ. د. ت.
٤٠. التَّعْلِيمُ وَالنَّهْضَةُ، تَحْرِيرُ الْقَسِّ عِيدِ صِلَاحٍ، نَشْرُ الْإِيكْتَرُونِي، دَارُ الْحَقِّ وَالْحَيَاةِ، ٢٠٢١م.

كُتَابَاتُ عَنْهُ:

- ١- قصة خادم، اليوبيل الذهبي للدكتور القس فايز فارس ١٩٤٨-١٩٩٨م صدر عن الكنيسة الإنجيلية الثانية بالمنيا ١٩٩٨م.